الدكتور محمود محمد الطناحي

مدخل إلى

تاريخ نشر التراث العربي

مع محاضرة عن

التصحيف والتحريف

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الدكتور محمود محمد الطناحي



مع محاضرة عن

التصحيف والتحريف

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م

مطبعة المدنى

المؤسسة السعودية بمصر

٦٨ شارع العباسية - القاهرة ت : ٨٢٧٨٥١

الإهداء

إلى هؤلاء الأعلام

أحمد محمد شاكر
محمود محمد شاكر
عبد السلام محمد هارون
السيّد أحمد صقر
عبد العزيز الميمني الراجكوتي
أحمد راتب النفّاخ

الذين قاموا على حراسة العربية
وجاهدوا في سبيلها
وكشفوا عن جوانب فذة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين . اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين ، ومن دعا بدعوته وتمسَّك بسنّته إلى يوم الدين .

ثم أما بعد :

فهذان موضوعان يتصلان بتحقيق النصوص ونشرها ، وكنت على أن أفرد كلاًّ منهما ببحثٍ جامعٍ محيط ـــ إذ كان مجال القول فيهما واسعاً ، والحاجةُ إلى إشباع الحديث عنهما ماسَّة ـــ لولا رغبة كريمة من بعض إخوانى ، لأن أعْجَلَ وأُخرجَ ما بيدى منهما الآن ، وقد استجبت لتحقيق تلك الرغبة ، يدفعنى إلى ذلك أمران :

أوّلهما : أن كلية اللغة العربية ، بجامعة أم القرى ، بمكة المكرمة ، عهِدَتْ إلىَّ تدريسَ مادة « تحقيق النصوص » على طلبة الدراسات العليا ، فكان واجباً علىَّ أن أسرع بإعداد مادة علمية ، يكون للطلاب فيها غناءٌ ونفع .

والأمر الثانى : أننا فى زمن : الصَّوارِفُ فيه جَمَّة ، والعزائم فيه مسترخية ، ولا خير فى عزم بغير حزم ، وقد نتحمَّس لشئ مّا ، ثم تأخذُنا عنه الحياةُ أخذا ، وتلفِتنا عنه التفاتا ، وقد كنا نقرأ فى كتب الأوائل أن سوقَ العلم كسَدت ، وكنّا نردُّ هذا إلى مبالغات الأقدمين ، حتى رأيناه عِيانا ، وعشناه واقعاً ملموسا ، إلى ما يشيع فى زماننا هذا من الإسفاف والادّعاء ، والجَوْرِ وعدم الإنصاف ، وبالله نستدفع البلايا .

والموضوعان اللذان يعالجهما هذا البحث المتواضع ، هما : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى ، وقضية التصحيف والتحريف . وقد يبدو الجمع بينهما قلقا متباعدا ، ولكنى أردت بهما تلبية حاجةٍ لطلبة الدراسات العليا العربية ، لم أجدها فيما كتب عن تحقيق النصوص . نعم عرض شيخنا العلاَّمة عبد السلام هارون للتصحيف والتحريف ، فى كتابه « تحقيق النصوص ونشرها » [1] ، ثم تحدث عن إحياء التراث فى كتابه « التراث العربى » ولكنَّ طبيعة الأمر كانت تقتضى منه الوجازةَ والاختصار .

---

(١) من تمام الفائدة أن أشير إلى من كتبوا فى فنّ تحقيق النصوص . فأول من ارتاد الطريق شيخُنا الأستاذ عبد السلام هارون ، فى كتابه « تحقيق النصوص ونشرها » ، وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م ، وهو كما قال بحق : « أول كتاب عربىّ فى هذا الفن يوضح مناهجه ويعالج مشكلاته » . وكان المستشرق الألمانى برجستراسر قد ألقى محاضرات فى أصول نقد النصوص ونشر الكتب على طلبة قسم اللغة العربية ـــ الدراسات العليا ـــ بكلية الآداب (جامعة القاهرة) سنة ١٩٣١ ـــ ١٩٣٢ م ، ولكن هذه المحاضرات لم تطبع إلاَّ عام ١٩٦٩ م ، بدار الكتب المصرية ، بعناية الدكتور محمد حمدى البكرى . ثم كتب الدكتور صلاح الدين المنجد ، فى ذلك شيئا نشره فى العدد الثانى من مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة ، ثم نشره بعد ذلك مستقلا ببيروت . وتحدثت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) فى المبحث الثالث ، من كتابها « مقدمة فى المنهج » عن توثيق المخطوطات والمصادر ، وتحقيق المتن ، ودراسة النص . وتكلم الدكتور شوقى ضيف ، فى الفصل الثالث من كتابه « البحث الأدبى » على التوثيق والتحقيق . والجديد فى هذا البحث ـــ كما يقول الصديق الدكتور أحمد مطلوب ـــ « أن المؤلف استفاد من تجاربه فى تحقيق الكتب ، وضرب الأمثلة من كتبه ، وبذلك كان أكثر دقّةً ممن لم يعانوا مصاعب التحقيق » . وأخرج الدكتور نورى حمودى القيسى والدكتور سامى مكى العانى كتاب « منهج تحقيق النصوص ونشرها » ، واعتمدا على القواعد العامة التى وضعها السابقون ، وعلى تجاربهما فى هذا الميدان . وكان المرحوم الدكتور مصطفى جواد ، قد ألقى سنة ١٩٦٥ م ، على طلبة الدراسات العليا (دائرة اللغة العربية) بجامعة بغداد ، محاضرات فى تحقيق النصوص ، =

ويفيدنا تاريخ نشر التراث العربى فائدتين : الأولى معرفة تاريخ العلماء والرجال الذين مَهَدُوا الطريقَ لنا ، وسلكوا دروباً مضنية ، واحتملوا عناءً باهظا ، وأظهرونا على مداخل هذا التراث ومساربه ، حين قاموا على نشره وإذاعته .

والثانية : معرفة فَرْق ما بين الطبعات ، فإن كثيرا من كتب التراث قد طبع أكثر من طبعة ، وتتفاوت هذه الطبعات كمالاً ونقصا ، وصحّة وسقما . وعلى سبيل المثال فإن كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام ، قد طبع عِدَّة طبعات لاخَيْرَ فيها ، وقد أكلتْها جميعاً طبعةُ شيخ العربية الأستاذ محمود محمد شاكر ، حفظه الله . وكتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان ، طبع غير طبعة ، وأعلى طبعاته وأكملُها طبعة الأستاذ الدكتور إحسان عباس ، التى نشرتها دار صادر ببيروت عام ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م . وكتاب « طبقات الشافعية الكبرى » لابن السبكى ، طبع طبعتين : الأولى بالمطبعة الحسينية بمصر عام ١٣٢٤ هـ ، فى ستة أجزاء ، والثانية بمطبعة عيسى البابى الحلبى بمصر عام ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م ، وهذه هى الطبعة الكاملة الموثَّقة ، وقد جاءت فى عشرة أجزاء ، وقام على تحقيقها الدكتور عبد الفتاح

=وقد قام أحد طلاّبه النجباء ، وهو الأستاذ عبد الوهاب محمد العدوانى بنشرها ، فى مجلة المورد البغدادية ــ العدد الأول من المجلد السادس ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م ، بعنوان « أمالى مصطفى جواد فى فن تحقيق النصوص » . راجع « نظرة فى تحقيق الكتب ــ علوم اللغة والأدب » للدكتور أحمد مطلوب . مجلة معهد المخطوطات . المجلد الأول ــ العدد الأول . الكويت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م . ثم كتب الدكتور عبد الهادى الفضلى ، كتاباً فى هذا الفنّ . نشره منذ سنتين بجدّة . بعنوان : تحقيق التراث .

محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحى . و « ديوان ذى الرمّة » طبع أكثر من مرة ، ولكن أكمل طبعاته وأوثقها تلك التى نشرها الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، فى مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م بعد أن حصل بها على شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة .

وما أشبه العنايةَ بفَرْق ما بين الطبعات ، بالعناية بفَرْق ما بين نُسَخ الكتاب المخطوط ، فقد جرى القدماء والأثبات من المحققين المعاصرين على اعتبار منازل نُسَخ الكتاب المخطوط ، فقدَّموا نسخة المؤلف التى كتبها بيده ، على سائر النسخ ، ثم تليها النسخة التى أملاها على تلاميذه ، أو أجازها ، أو اطّلع عليها ، ثم يأتى فى مرتبة بعد ذلك النسخةُ المنقولة عن واحدة من تلك النُّسَخ ، أو تلك التى كتبها أحد العلماء ، أو قرئت عليه ، أو ثبت عليها خطُّه بالقراءة أو التملك ، فإذا عدمنا ذلك كلَّه كان المعيار هو قِدَمَ تاريخ النَّسْخ ، مع الاطمئنان إلى الصحة والسلامة .

وعوداً على بدء ؛ فإن طلبة العلم مطالبون بمعرفة فرق ما بين الطبعات ، حتى تقوم دراساتهم على أساس صحيح متين ، وحتى تمضى إلى ما يراد لها من كمال ونفع ، ولكنّ طلبةَ العلم فى هذه الأيام يجهلون معرفة تاريخ نشر التراث جهلاً يوشك أن يكون تاما ؛ لأن الجامعات العربية لا تكاد تعنى بتأصيل هذا الجانب عند الطلاب .

وليت الأمر قد وقف عند حدّ جهالة الطلبة بفَرْق ما بين الطبعات ، بل إنه قد تعدّاه إلى ما هو أكثر فظاعة وأشدّ نكرا ، وهو ما تراه من تلك المذكّرات والمختصرات التى يُمليها أساتذة الجامعات على طلبتهم ، أو يطبعونها ويضعونها بين أيديهم ، ويكون ذلك هو سبيلَهم الوحيد لتحصيل العلم والمعرفة ، وبذلك حِيل بين طلبة العلم وبين الكتاب القديم بمرَّةٍ واحدة ، وضُرب بينهم وبين جهود الأقدمين بسُورٍ له باب ، ظاهره الرحمةُ بهم

والتيسير عليهم ، وباطنه التضييقُ عليهم وتفريغُ عقولهم . ولم يبق للطلبة من معرفة بالكتب ومدارستها إلاّ بابُ الدراسات العليا ، وهو باب ضيِّق كما عرفتَ .

وحتى هؤلاء الذين وصلوا إلى الدراسات العليا ، وسلكوا سبيلَها ، لم يُتَحْ لهم أن يتصلوا بالمكتبة العربية ، ذلك الاتصالَ الواعىَ ، الذى يعُينهم على جمع مادَّتهم العلمية من أوثق مصادرها وأضبطها . ولن يتمّ هذا إلاّ بمعرفة مَسَارِ التأليف العربى ، وإدراك العلائق والوشائج بين فنون التراث المختلفة ، ثم بين المصنَّفات داخلَ الفنّ الواحد .

ولم يحدُث هذا ، وإنما شُغِل طلبةُ الدراسات العليا بذلك الحديث العامّ الغامض ، عن التفكير الموضوعى ، ومناهج البحث العلمى ، والفرق بين المنهج التاريخى ، والمنهج الوصفى ، والمنهج المعيارى ، والمنهج الاستردادى ، والعمق فى التناول ، والبعد عن الأفكار المُسَطَّحة ، وما تبع ذلك من ألفاظ : المعاناة ، وتعصير [1] التراث ، إلى آخر هذه القائمة التى يصدق عليها ما قاله ابن الطَّراوَةِ الأندلسى ، فى وصف تآليف أبى على الفارسى النحوى : « ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا جسم [2] » . وصارت غاية طالب الدراسات العليا ، أن يستظهر هذه المصطلحات ، ويديرَها فى فمه ، ثم يحسنَ استحضارها ، ويُلقىَ بها فى وجه من يخالفه أو

---

(١) أى جعله معاصرا . وهذه الألفاظ إنما جرت على أفواه أحلاس المقاهى من زعانف الأدباء ثم انتقلت إلى درس الأدب فى الجامعات ، وصار لها هناك مكان ومكانة .

(٢) انظر : ابن الطراوة النحوى ص ٨٨ ، للدكتور عياد الثبيتى . ولا يخفى أن أبا علىّ أجلّ مما قاله فيه ابن الطراوة ، ولكنى استجدت عبارته ، إذ كانت مطابقة لحال القوم .

ينقده ، أمّا قراءة كتابٍ واحدٍ قديم من أوله ، والأخذُ فيه إلى نهايته ، فهذا مما لم يخطر له على بال .

ولا ينبغى أن يظنَّ بنا ظانٌّ ، أننا نهدر قيمة هذه المناهج ، والاهتداء بها ، وتوظيفها فى خدمة البحث ، فإن الباحث فى أىّ فر ع من فرو ع العلم مطالَبٌ بأن ينظّم فكره ، ويخلصه من شوائب الذاتيَّة ، أو ما كان يسمى قديما بالهوى ، ثم هو مطالب أيضا بأن يُخْضِع بحثه لاعتبارات الزمان والمكان ، والتأثير والتأثر ، والنظر والتأمل فى حركة الحياة ، وما تمور به فى أطوارها المختلفة ، مصبوغاً ذلك كلّه بالدقّة والحذر ، فى الفهم والاستنتاج . فهذا حقٌّ كلّه ، يوجبه العقل الصحيح ، وتهدى إليه الحكمةُ المركوزة فى الطباع . ولكنّ الذى يهولنا حقّاً ويُفزعنا : أن يكون الاشتغال بهذه المصطلحات باباً من أبواب الثرثرة والادّعاء ، والتنفّخ المفرَّغ من كلِّ حقيقة ، والمُزْرِى بصاحبه ، والمنتهى به إلى ما لا يُغْنى من العلم شيئا .

وحسْبُنا هذا ، ولنَعُدْ إلى ما كُنّا فيه ، من ضرورة العناية بتاريخ نشر التراث العربى ، فإن هذا البلاءَ الذى استشرى فى الأعوام الأخيرة ، والذى تمثل فى تصوير المطبوعات القديمة ، كاد يغتال تاريخَ الناس وجهودَهم اغتيالا ، حين أسقط مكانَ وزمان الطبعة التى صُوِّر عنها الكتاب ، وتمادى الأمر إلى أن أسقطوا اسم المحقِّق أيضا ، ومن ذلك ما رأيته أخيراً ، فى إحدى طبعات بيروت ، من إسقاط اسم العلاَّمة الشيخ أحمد محمد شاكر ، من غلاف كتاب « لباب الآداب » لأسامة بن منقذ ، وكان الشيخ رحمه الله قد نشره بمصر عام ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٤ م . وإلى الله المشتكى !

وللتاريخ نقول : إن الذى فتح هذا البابَ ، ودلَّ الناسَ عليه ، هو الكُتْبى النابه الخبير قاسم الرجب ، صاحب مكتبة المثنى ببغداد ، لكنّا

للإنصاف نقول : إن هذا الرجل كان أميناً كلَّ الأمانة ، وكان حريصا على إخراج الكتاب بصورته الأولى ، من حيث ذِكرُ محقق الكتاب ، وزمان ومكان الطبع ، ثم هو لم يأكل حقا من حقوق الأحياء أو ورثتهم ، والكتب التى قام بتصويرها أشبه ما تكون بالمخطوطات ؛ لتقادم العهد بطباعتها ، ومعظم ما صور من نوادر مطبعات أوربا القديمة ، وبولاق بمصر ، مثل النقائض لأبى عبيدة معمر بن المثنى ، وشرح المفضلات لأبى محمد القاسم ابن محمد الأنبارى ، وديوان ذى الرمة ، وشرح ديوان المتنبى للواحدى ، والجمهرة لابن دريد ــ وهذه من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند ــ والمصاحف لأبى بكر بن أبى داود السجستانى ، والكتاب لسيبويه ، وألف ليلة وليلة . وقد تَغَيَّا بذلك غايةً نبيلة ، هى خدمة الدارسين والباحثين ، الذين يصعب عليهم الحصولُ على تلك الطبعات . رحمه الله رحمة واسعة ، فقد كان من خير الورَّاقين وأنبلهم وأعلمهم فى هذا الزمان .

ولست أزعم أنى سأوفِّى تاريخ نشر التراث العربىّ حقَّه ، إذ كان ذلك مما يحتاج إلى تتبّع واستقصاء كاملين ، وليس ذلك فى طَوْق ، ولست له بأهل ، ولكن حسْبى أن أضع علاماتٍ وصُوًى على الطريق ؛ تلبية لحاجة المبتدئين من طلاب العلم ، وأيضا فإن الحديث عن تاريخ نشر التراث العربى مُفْضٍ لا محالة ، إلى ذكر شئ عن مناهج المحققين وطرائقهم فى تأدية النصوص وإضاءتها ، وهذا يرجع إلى فن تحقيق النصوص ، ويلتقى مع الكتب المصَّنفة فيه .

وسوف يرى القارئ منى اهتماماً بحركة نشر التراث فى مصر ، لأمور : منها إنشاء المطبعة الأميرية ببولاق ، وقد نهضت هذه المطبعة بعبء ضخم ، ونشرت كثيراً من أصول العلوم ، مما لم يتيسَّر لمطبعة أخرى . ومنها :

وجود الأزهر الشريف بمصر ، وما اقتضاه التدريسُ فيه من نشر الكتب وإذاعتها .

وثالثا : أن مصر كانت منطقة جذب للعلماء وأصحاب المواهب من عرب وعجم ، وقد أعْتَدَتْ لهم مصر مُتَّكَئاً ، فأنتجوا وأبدعوا ، وسترى من نشاط الشَّوام فى هذا المجال عجبا .

ورابعا : أنى مصرى ، « وصاحب البيت أدرى بالذى فيه » . ولعل إخوانى من أبناء البلدان العربية الأخرى يَنْهَدُون إلى تسجيل تاريخ النشر فى بلادهم ، ثم تأتى من بعد ذلك هيئةٌ علمية مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، فتجمع هذه الجهود ، وتخرجها لنا كتاباً نقرأُه ، يكون لنا فيه نفعٌ وغَناء ، إن شاء الله .

أما الموضوع الثانى الذى يعالجه هذا البحث المتواضع ، فهو « التصحيف والتحريف » وقضية التصحيف والتحريف من أخطر القضايا فى تراثنا العربى ، وقد أثارت هذه القضية عَجاجاً كثيرا جرى فى إثره الراكضون ، حين ردُّوا هذه القضيّة برُمَّتها إلى طبيعة الحرف العربى الذى يتشابه ، وأذكر أنى أطلعت شيخى الجليل محمود محمد شاكر ، ذات يوم ، على تصحيفٍ وقع لى فى بعض ما أحقّقه ، فقال لى : « إنك لم تحسن قراءة المكتوب أمامك فتصحّف عليك » . وهذا هو مفتاح القضية : أن كثيراً مما يتصحف إنما يأتى نتيجة للغفلة ، أو الجهل بتاريخ أمتنا ، وتاريخ رجالها ، وعلومها وكل ما أبدعته وأنتجته .

وبدءة ذى بدء : فإنى أعترف أنى لم أكتب تاريخا جامعاً للتصحيف والتحريف ، ولم أستوف كلَّ أسبابه ومظاهره ، ولكنى سجّلت تجاربى الخاصة فى هذه القضية ، وقد حرصت على إبراز حقيقتين :

أولاهما : أن كثيرا من مظاهر التصحيف والتحريف إنما يرجع إلى الغفلة أو الجهل ، وليس إلى طبيعة اللغة العربية والحرف العربى وحدهما .

والثانية : أن بعض صور التصحيف إنما اصطُنِع اصطناعاً ؛ إظهاراً لمهارة ، أو استخراجاً لضحك ، أو تشنيعاً بمن يُنسَب إليه .

وأمرٌ آخر : أنى أغفلت فى ذكر تجاربى ، اسمَ الشخص الذى صحَّف ــ وبخاصة فى المعاصرين ــ والكتابَ الذى وقع فيه التصحيف ، فليس من غايتى أن أجرِّحَ أحداً ، وإنما غايتى أن أدلَّ على موضع الخطأ ، وأرصدَ الظاهرة ، وأعلِّلَ لحدُوثها .

وبعد : فإن الفضل فى كتابة هذا البحث مصروفٌ كلُّه إلى أخى النبيل سعادة الأستاذ الدكتور عليان بن محمد الحازمى ، عميد كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ، بمكة المكرمة . فهو ــ وحده ــ الذى استنهضنى لذلك ورغَّبنى فيه ، حين مكَّن لى من تدريس مادة « تحقيق النصوص » بقسم الدراسات العليا العربية ، وقد استحدث ــ حفظه الله ــ تدريس هذه المادة ؛ مُسْتئنِفاً غيرَ مسبوق . فله أصدق الشكر وأخلصه ، مقروناً بالدعاء له بالسلامة والعافية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد الهادى البشير ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن دعا بدعوته وتمسَّك بسنّته إلى يوم الدين .

مكة المكرمة فى غرّة جمادى الآخرة
من عام ١٤٠٤ هـ

وكتب
أبو أروى
محمود محمد الطناحى



بين يدى البحث

التراث الإنسانىّ ليس مِلْكاً لأحد [١] ، والتقاء الحضارات وتبادل الثقافات معروفٌ مشهور ، والتأثير والتأثّر بين الشُّعوب حتمٌ لازم .

وحضارتنا العربية واحدة من تلك الحضارات الإنسانية الشامخة ، وهى حضارة عريقة ، ممتدّة الجذور ، وقد جلاها وكشفها ونمّاها الإسلام ، حين بزغ فجره على الجزيرة العربية ، ثم امتدَّت فتوحاته ، ودخلت فيه أممٌ كثيرة ، ذاتُ حضارات قديمة ، وقد هجرت هذه الأمم لسانَها القديم ، واتخذت اللسانَ العربىّ أداةَ فِكر وبيان [٢] ، ثم نسيت هذه الأممُ والشعوبُ ما كان يعبد آباؤها من قبل ، حين دخلت فى دين الله أفواجا . ولم يبق مِن فرق بين هذه الأمم والأمة العربية إلاَّ فرقُ اللّون والدم ، وهو فرقٌ ساقطٌ مُهْدَر فى موازين الدين الجديد والرسالة الخاتمة .

---

(١) يقول أبو سعيد السِّيرافى ، فى مناظرته الشهيرة مع أبى بشر متَّى بن يونس — وكان هذا قد أراد أن يُعلى من شأن ثقافة اليونان ، ومنطق اليونان — : « فإنّ عِلْمَ العالَم مبثوث فى العالَم بين جميع من فى العالَم .... وكذلك الصناعات مَفْضُوضةٌ على جميع مَن على جَدَد الأرض » الإمتاع والمؤانسة ١ / ١١٢ . والجدد ، بالتحريك : ما استوى من الأرض .

(٢) لأبى الفتح ابن جنى هنا كلمة حكيمة ، تشهد لما نحن فيه ، يقول رحمه الله من كلام طويل :

« وذلك أنا نسأل علماء العربية ممّن أصله عجمىّ ، وقد تَدرَّب بلغته قبل استعرابه ، عن حال اللغتين ، فلا يجمع بينهما ، بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك ؛ لبُعْده فى نفسه ، وتقدّم لطف العربيّة فى رأيه وحِسِّه . سألت غير مرّة أبا على [الفارسى] — رضى الله عنه — عن ذلك ، فكان جوابه عنه نحواً ممّا حكيته » الخصائص ١ / ٢٤٣ ، وانظر بقية كلامه فإنه عالٍ نفيس .

وقد صار من مكرور القول ومعاد الكلام ، أن الحضارة العربية ــ فوق أنها أبدعت وأنتجت فى شتّى ضروب العلم والمعرفة ــ كانت حلقة اتصال بين تراث اليونانية القديمة ، وبين اللاتينية الحديثة ، ممّا مكّن لأوربا أن تُرْسىَ حضارة وتُبدعَ تراثا ، يعيش عليه الناسُ إلى يومنا هذا ، غافلين عن روافده ومصادره ، والدلائل على ذلك كثيرة ، فى مختلف فروع النشاط الإنسانى ، أذكر منها هنا شيئا يتصل بعلم الطب ، وهو دالٌّ على غيره من ألوان الفنون الأخرى :

فقد كانت مؤلفات الأطباء العرب وتجاربهم جُسوراً عبَر عليها الطبُّ الإغريقى إلى أوربا ، مصبوغاً بالصبغة العربية التى أضافت إليه واستدركت عليه ، وقد اعترف بهذا مؤرخو العلوم ، من المستشرقين وغيرهم :

يقول نيكلسون ، من كلام طويل : « وما المكتشفات اليوم لتُحْسَبَ شيئاً مذكوراً إزاء ما نحن مدينون به للروّاد العرب الذين كانوا مشعلا وضّاءا فى القرون الوسطى المظلمة فى أوربا » .

ويقول البارون كلارادى فو : « إن الميراث الذى تركه اليونان لم يُحْسن الرومان استغلاله ، أما العرب فقد عملوا على تحسينه وإنمائه حتى سلَّموه للعصور الحديثة » .

وقال الطبيب الأوربى دى بور : « كان الطبّ مَيّتاً فأحياه جالينوس ، وكان متفرِّقا فجمعه الرازى » .

وجاء فى كتاب تطور الطبّ ، لوليم أوزلر : « إن العرب أشعلوا سراجهم من القناديل اليونانية ، وبلغت صناعة الطب عندهم حتى القرن الثانى عشر (الميلادى) مكانة وأهمية لا نجد لها مثيلا فى التاريخ » .

ويقول ولز : « إن العرب بلغوا شأواً تفوّقوا فيه على الإغريق ، درسوا

علم وظائف الأعضاء ، وعلم الصحة ، وكانت طرق طبّهم العلمية نظير طرقنا الحاضرة ، ولا نزال نحن إلى يومنا هذا نستعمل كثيرا من عقاقيرهم ، وكان جرَّاحوهم يعرفون التخدير ، ويجرون العمليات الجراحية » .

وقال لكلرك مؤرخ الطب العربى : « لم يكمل القرن التاسع (الميلادى) حتى كان العرب قد ملكوا جميع علوم الإغريق ، فصارت بغداد مركز الحركة العقلية فى العالم ، ثم احتلت طليطلة فى القرن الثانى عشر (الميلادى) المركز الذى كانت تحتله بغداد » .

وقال أيضا : « إنه فى ذلك الوقت حصل حادثان عظيمان ، فى قطبى العالم العربى : أحدهما : الحروب الصليبية التى ساقت إلى الشرق حوالى مليون أوربى . والثانى : هو زحف الأفكار العربية على الغرب عن طريق الأندلس » .

وقالَ كذلك : « إنه كان يوجد بطليطلة تسعون كتابا مترجماً من العربية إلى اللاتينية فى الطب ، منها أربعة لأبوقراط ، وخمسة وعشرون لجالينوس ، والباقى لحكماء العرب والمسلمين » .

ويقول جومار ، وهو أحد العلماء الذين رافقوا نابليون فى أثناء حملته على مصر : أنشئ فى القاهرة منذ ستة قرون عدَّة بيمارستانات ، تضم المرضى والمجانين ، ولم يبق منها سوى مارستان واحد ، هو « مارستان قلاوون » ، وقد صرف عليه مالاً كثيرا ، وأفرد فيه لكل مرض قاعة خاصة ، وطبيب خاص ، يدخله المرضى ، فقراء وأغنياء بدون تمييز ، وكان المؤرَّقُون من المرضى [أى المصابون بأمراض نفسية] يُعزلون فى قاعة منفردة ، يستمعون لألحان موسيقية ، ويدرس بالمستشفى الطبُّ والفقه » .

وقال برايس دافن : « كانت قاعات المرضى تُدفّأ شتاء ، وتبرَّد صيفاً بالمراوح الكبيرة الممتدة من طرف القاعة إلى الطرف الثانى » .

أما عن المستشفيات فى الغرب ، فقد جاء فى كتاب ماكس نوردو : « يستلقى فى فراش واحد ، أربعة أو خمسة ، أو ستة مرضى بأمراض مختلفة ؛ أطفالاً وشيوخا ، ويقدّم الطعامُ للمرضى بمقادير ضئيلة ، فى أوقات غير منتظمة ، وتتراكم الحشرات فى الدار ، وتفسد رائحة الهواء فى قاعات المرضى ، وتبقى جثث الموتى أربعا وعشرين ساعة فى الفراش ، مع الأحياء وذباب الجِيَف ، وكانت حجرات المجانين ملاصقة لمن أجريت لهم العمليات الجراحية » .

ويقول الدكتور الطبيب الألمانى ماكس مايرهوف المتوفى بالقاهرة عام ١٩٤٥ م : « إن الطب الإسلامى قد عكس ضوء الشمس الغاربة فى اليونان ، وتلالأ كالقمر فى سماء العصور المظلمة ، وثمة نجوم سطعت من تلقاء نفسها ، وأضاء سناها ظلمة هذه السماء ، ثم أفل القمر ، وخبا ضوء النجوم فى فجر عهد جديد ... لكن أثرها بقى فى الحضارة حيّاً إلى الآن » [(١)] .

ومن أبرز المستشرقين الذين أظهروا التأثير العربى فى الحضارة الأوربية المستشرق البلجيكى الأصل ، الأمريكى الجنسية والدار جورج سارتون ، المتوفى سنة ١٩٥٦ م . قالت مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، فى

---

(١) انظر لهذه النصوص : الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب . تأليف لجنة من الأساتذة الأطباء ، وإشراف الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين . المنظمة العربيةِ للتربية والثقافة والعلوم ــ القاهرة . بدون تاريخ ، قصة الطب عند العرب . لأحمد حسنين القرنى . الدار القومية للطباعة والنشر (سلسلة من الشرق والغرب ــ العدد ٤٩) مصر ، بدون تاريخ ، من أعلام الطب العربى ، لأبى الفتوح التوانسى . الدار القومية للطباعة والنشر . مصر ١٩٦٦ م ، من تاريخ الطب عند العرب . للدكتور فهيم أبادير . المؤسسة المصرية العامة للأدوية . مصر ، بدون تاريخ .

وصفه : « أخلص الحبَّ للعرب ولغتهم ، وجلا فضل علمائهم على العالم القديم ، فى تجرد وإنصاف » . ومن أجلّ كتبه : « المدخل إلى تاريخ العلوم » بالانجليزية ، فى خمسة مجلدات ، خصّ تاريخ العلوم عند العرب بجزء وافر منه [١] .

ومن أقوال سارتون : إن بعض المؤرخين يحاول أن يبخس قدرَ ما قدَّمه العرب للعالم ، ويصرِّحون بأن العرب والمسلمين نقلوا العلومَ القديمة ، ولم يضيفوا إليها شيئا . وهذا الرأى خطأ ، وإنه لعملٌ عظيم أن ينقل إلينا العرب كنوزَ الحكمة اليونانية ، ويحافظوا عليها ، ولولا ذلك لتأخّر سير المدنيّة قروناً عديدة » .

ويقول مرّة أخرى : إن العرب كانوا أعظم معلِّمين فى العالم ، وإنهم زادوا على العلوم التى أخذوها ، ولم يكتفوا بذلك ، بل أوصلوها إلى درجة جديرة بالاعتبار ، من حيث النموّ والارتقاء [٢] .

* * *

ويُداولُ اللهُ الأيامَ بين الناس ، فتَتَهاوَى عُروش ، وتسقط دُوَل ، وتتطاول أمَمٌ تريد أن تنقضّ كيداً ومكرا ، وتتعرّض الأمة الإسلامية ؛ مشرقا ومغربا ، لخطوبٍ وفتن كقطع الليل المظلم .

علَى أنى أريد أن أنبّه إلى فكرة واضحة فى ذهنى تماماً ، وأُلحُّ على إبرازها فى كلّ ما أكتب : وهى أن الكوارث التى حاقت بالأمة العربية فى

---

(١) الأعلام ٢ / ١٤٥ ، المستشرقون ص ١٠٦

(٢) وانظر ما كتبه المستشرق الروسى ، كراتشكوفسكى ، عن الحضارة العربية فى أسبانيا ، وانتقال العلم والشعر ، إلى أوربا . فى كتابه : دراسات فى الأدب العربى ص ٥٠ ـــ ٧٨ . دار النشر « علم » موسكو ١٩٦٥ م

كلِّ صورها وأشكالها ، لم تصرفْها عمّا هى آخذةٌ فيه من الإبداع وتنمية أسس الحضارة ، ويخطئ كثيرٌ من الدارسين حين يُسرِفون فى تقسيم عصور الفكر العربى ، إلى عصور علوّ ، وعصور انحطاط ، فالمتتبّع لحركة ذلك الفكر العربىّ فى عصوره المختلفة ، يروعه هذا الحشدُ الهائل من العلماء وطلاب المعرفة ، وقد شمل هذا النشاط العالم الإسلامىّ كلَّه ، مشرقه ومغربه ، ولم يفضل عصرٌ أو مِصرٌ سواهما إلاَّ ما يكون من بعض الفروق الهيّنة التى تفرضها طبائع الزمان والمكان ، أما حركة العقل العربىّ من حيث هى ، فلم تخمد جذوتها ، ولم تسكن حِدَّتها ، بتغيّر الحكّام ، أو تبدّل الأيّام ، أو تعاقب الكوارث ، وإن أردت أن تعرف صدق ما أقول فانظر إلى ما اشتمل عليه القرنان ، السادس والسابع الهجريّان ؛ من كبار المفكّرين والعلماء ، مع أن هذين القرنين قد شهدا أعنف هجوم تعرضت له الأمة الإسلامية : الحروب الصليبية ، والغزوة التَّتريّة ، ولقد كان هذا الهجوم الكاسح كفيلاً بالقضاء على هذه الأمة لولا دَفْعُ الله وصيانتُه ، بما أودعه فى روح العقيدة الإسلامية من عوامل النماء والبقاء والازدهار ، واقرأ إن شئت كتابا من كتب التاريخ العامّ ، مثل « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » لابن العماد الحنبلى ، المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ، وقِفْ عند سنوات الفتن والحروب ، ثم تأمّل نشاط العلماء ، ووفرة التصانيف فيها ، تجِدِ الأمر على ما ذكرت لك .

ثم تأمل جيّداً هذا الخبر ، وأرْعِه سمعَك ووَعْيَك :

قال موفَّق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادى [(١)] ، المتوفى سنة ٦٢٩ هـ : « رأيت السلطان صلاح الدين ، على القدس ،

---

(١) هو أحد العلماء ، المكثرين من التصنيف ، فى الحكمة ، وعلم النفس ، والطب ، والتاريخ ، والبلدان ، والرحلات ، والأدب واللغة . طبقات الشافعية الكبرى ٨ / ٣١٣ ، والأعلام ٤ / ٦١

فرأيت ملكاً عظيما ، يملأ القلوب روعة ، والعيون محبّة ، قريباً وبعيداً ،سهلاً محبَّبا ، وأصحابه يتشبّهون به ، يتسابقون إلى المعروف ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنا ما في صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾ [١] . وأول ليلة حضرته وجدت مجلساً حَفِلاً بأهل العلم ، يتذاكرون فى أصناف العلوم ، وهو يحسن الاستماع والمشاركة ، ويأخذ فى كيفيّة بناء الأسوار ، وحفر الخنادق ، ويتفقّه فى ذلك ، وكان مهتمّاً فى بناء سور القدس ، وحفر خندقه ، يتولىَّ ذلك بنفسه ، وينقل الحجارة على عاتقه ، ويتأسَّى به جميع الأغنياء والفقراء ، فيركب لذلك قبل طلوع الشمس إلى وقت الظهر ، ويأتى داره فيمدّ السِّماط ، ثم يستريح ، ويركب العصر ، ويرجع فى ضوء المشاعل ، ويصرف أكثر الليل فى تدبير ما يعمله نهارا ، وكان يحفظ « الحماسة » ويظنّ أن كلَّ فقيه يحفظها » [٢] .

أرأيت ؟ هذا قائد من قوّاد المسلمين ، يقود معركة كبرى من معارك الإسلام الظافِرة ، لم تشغله الحربُ المستعرة عن مجلس العلم ، ومذاكرةِ العلماء [٣] . ورُوى أنه كان يحفظ القرآن الكريم ، وكتاب « التنبيه » فى فقه الشافعية ، و « الحماسة » فى الشعر ، وقد سمع الحديث من حافظ الديار المصرية أبى طاهر السِّلفىّ ، بالأسكندرية [٤] .

كذلك لم تشغله أيامه مع الفرنجة وأهل الصَّليب ، عن تصحيح العقيدة ، والقيام بأمر الدين ، فقضى على الفاطميين بمصر ، ثم

---

(١) سورة الأعراف ٤٣ ، والحجر ٤٧

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٧ / ٣٤٧

(٣) وهذا يدلُّك أيضا ، على أن علماءَنا كانوا داخلَ المعركة ، بل إن بعضهم كان يعيش حياته كلها ، وهو على ثغر من ثغور المسلمين . والثغر : موضع المخافة من العدوّ .

(٤) المرجع السابق ٧ / ٣٤٠

أخذ فى نُصْرة السُّنَّة ، وإشاعة الحقِّ ، وإهانة المبتدعة [١] .

وأيضاً فقد كان غياب حاضرة من حواضر العالَم الإسلامى ، عن السَّاحة الفكريّة ، لِفتنٍ أو حروب ، داعياً لأن تقوم حاضرةٌ أخرى بملء الفراغ ، ودعم المسيرة ، كالذى تراه من نشاطٍ علمىٍّ فى مصر والشام ، بعد ما حَلَّ ببغداد والأندلس ، فى القرنين السابع والثامن :

إذا سيّدٌ منّا خلا قام سيّدٌ قؤولٌ لما قالى الكرامُ فعولُ [٢]

وأمرٌ آخَرُ ، أشدُّ من ذلك وضوحاً فى نفسى ، ولا أملُّ من ذِكره والتأكيد عليه : وهو أن كثيراً من تراثنا قد بقى موفوراً يملأ الخزائن العامة والخاصّة إلى عهدٍ قريب ، وأن ما ضاع منه بسبب غفلة الناس وتفريطهم أكثر ممّا ضاع بسبب عوادى الحروب والأيام ، ودَعْ عنك ما يقال من أن ماء دجلة قد اسودَّ من كثرة ما أُلْقِى فيه من مخطوطات ، أيام غارة التتار ، ففى ذلك من المبالغات ما لا يخفى . وآية ذلك ما تراه فى موسوعات العلماء المتأخرين ، من أمثال جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ ، وعبد القادر البغدادى ، صاحب « الخزانة » المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ ، والمرتضى الزَّبيدى ، صاحب « تاج العروس » المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ ، ففى مصنفات السيوطى ، وفى مقدمة الخزانة والتاج ، وفى أثنائهما كتبٌ كثيرة ، لا نعرف لها وجوداً الآن . ولازالت الأيام تظهرنا على مخطوطات نفيسة ، كنا نعدُّها من المفقودات [٣] ، وكم فى الزَّوايا من خبايا !

---

(١) المرجع السابق ٧ / ٣٤٢

(٢) هذا للسموأل ، ونظيره قول حاتم :

إذا مات منهم سيّدٌ قام بعده نظيرٌ له يغنى غَناهُ ويُخْلِفُ

(٣) أتاح لى عملى بمعهد المخطوطات بالقاهرة أن أقف على شئ كثير من ذلك .

ولكى يعلم القارئ المبتدئ مدى الجهود التى بذلها علماء هذه الأمة العربية المسلمة فى تسجيل تراثها بمختلِف علومه وفنونه ، ولكى يحيط أيضاً بضخامة ما أنتجوه وأبدعوه ــ مخطوطا ومطبوعا ــ أحيله على أبرز ما صنف فى ذلك ، وهى تلك المؤلفات الكُتُبيّة والمكتبَّية ، وما يُعرف فى أيامنا بالكتب الببليوجرافية ، وهى :

الفهرست لابن النديم المتوفى سنة ٤٣٨ هـ ، وفهرسة ما رواه عن شيوخه أبو بكر محمد بن خير الأشبيلى المتوفى سنة ٥٧٥ هـ (١) ، ومفتاح السعادة ومصباح دار السيادة ، لأحمد بن مصطفى الشهير بطاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ ، وكشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لمصطفى بن عبد الله المعروف بالحاج خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ، وهو أنفع وأجمع ما كتب فى موضوعه بالعربية ، كما يقول العلاّمة الزركلى ، رحمه الله (٢) . وذيله المسمّى : إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون ، لإسماعيل باشا البغدادى (٣) ، المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ ، واكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، لإدورد فنديك ، ومعجم المطبوعات العربية والمعرَّبة ، ليوسف إليان سركيس ، المتوفى سنة ١٣٥١ هـ ، وخزائن الكتب العربية فى الخافقين ، للفيكونت فيليب دى طرَّازِى المتوفى سنة ١٣٧٥ هـ ، وقد أحصى فى هذا الكتاب عدد المكتبات العربية فى العالم ، فبلغت نحو ألف

---

(١) ومما يتصل بفهرسة ابن خير هذا : معاجم الشيوخ ، أو المشيخات ، فى المشرق ، وبرامج العلماء فى المغرب .

(٢) الأعلام ٧ / ٢٣٦

(٣) ولا تعوّلْ على كتابه : هديّة العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، فهو قليل النفع كثير الأخطاء .

وخمسمائة مكتبة [١] ، يقدر ما فيها من كتب عربية بنحو ٢٦٢ مليون مجلّد (اثنين وستين ومائتى مليون) ما بين مخطوط ومطبوع [٢] .

ومن وراء ذلك كلّه يأتى كتاب تاريخ الأدب العربى ، للمستشرق الألمانى كارل بروكلمان ، المتوفى سنة ١٣٧٥ هـ ، وهو كتاب نافع جدا ، فى الدلالة على أماكن وجود المخطوطات ، ويشبهه ويُرْبِى عليه كتاب تاريخ التراث العربى ، للعالم المسلم التركى محمد فؤاد سزجين ، وقد أصدر منه عدة أجزاء بالألمانية ، وتقوم على ترجمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . ونرجو له التوفيق فى إكماله ، فإنه عند تمامه يكون آيةً فى بابه .

وبعد : فقد كان تراثنا العربىّ الإسلامىّ ، فى مسيرته كلِّها ، وفى مظاهر إبداعه كلّه ، قريبا جدّاً من الغرب ؛ عرفه واتصل به ، وأفاد منه ، من خلال قنوات معروفة ، كالجوار والحروب والسِّفارات ، ولذلك حديثٌ طويل ، ليس هذا مكانه ، وحسبك إلماماً به أن تقرأ كتاب « المستشرقون » للأستاذ نجيب العقيقى ، ففيه مَقْنع وبلاغ [٣] .

* * *

---

(١) انظر تفصيلها فى كتاب تحقيق النصوص ونشرها ص ٣٧ ، ولم يتيسَّر لى كتابُ طَرّازِى نفسه .

(٢) وهذا الإحصاء إنما يرجع إلى سنة (١٩٤٨ م) وهو تاريخ طبع الكتاب ، ومن البديهى أن هذا الإحصاء تعرض بعد هذا التاريخ إلى زيادة كبيرة تحتاج إلى متابعة . انظر التراث العربى ص ١١

(٣) أقول هذا لطالب العلم المبتدئ ، أما القارئ المتمكّن ، فهو قادر ، إن شاء الله ، على أن يجمع أصول هذا البحث .

تاريخ الطباعة العربية

كان إنجازاً حضاريًّا كبيراً ظهورُ المطبعة ، فى القرن الخامس عشر الميلادى ، علَى يد جوتنبرج الألمانى (١٣٩٧ ــ ١٤٦٨ م) .

ولئن كانت الغايةُ من الطباعة هى تكثيرَ عدد نُسَخ الكتاب ؛ لكى تُتاحَ قراءته لكثير من الناس ، فقد تحققت هذه الغاية بصورة محدودة عند العرب قديما ، بما تمثّل فى كثرة نُسَخ الكتاب المخطوطة ، ورواج صنعة الوراقة والنِّساخة . يذكر الجاحظ أن يحيى بن خالد البرمكى لم يكن فى خزانة كتبه كتابٌ إلاّوله ثلاث نُسَخ ، ويذكر المقريزى أنه كان فى خزانة العزيز بالله ، ثلاثون نسخة من كتاب العين ، للخليل بن أحمد ، ومائة نسخة من الجمهرة ، لابن دريد ، وأنه كان فى خزانة كتب الفاطميين مائتان وألف نسخة من تاريخ الطبرى [1] . وانظر إلى عدد مصاحف القرآن الكريم المخطوطة المحفوظة بمكتبات الدينا ، العامة والخاصة ، ثم انظر إلى عدد النسخ المخطوطة من صحيحى البخارى ومسلم . والمشتغلون بعلم المخطوطات يعلمون أن هناك كتباً ذوات عدد ، كثُرت نُسَخُها كثرةً ظاهرة ، بحيث لا تكاد تخلو منها مكتبةٌ من مكتبات العالَم .

وكان للنُسَّاخ قديما مكان فى الأمصار العظيمة ، والبلدان الكبيرة ، فهم بمثابة المطابع الحديثة الآن ، وكانت لهم أسواق يؤمُّها العلماء ، كما عُرف بعضهم بالمِرانة الغريبة فى النَّسْخ . يروى ابن النديم فى ترجمته ليحيى بن عدىَّ المنطقى النصرانى ، المتوفى ببغداد سنة ٣٦٤ هـ ، أنه كان ينسخ كتب التفسير والكلام ، مع أنه كان من النصارى اليعقوبية ، ويذكر أنه لقيه

---

(١) تحقيق النصوص ونشرها ص ١٨ ، ١٩

وعاتبه على كثرة نَسْخه ، فقال له : من أى شىء تعجب فى هذا الوقت من صبرى ؟ قد نسخت بخطى نسختين من التفسير للطبرى ، وحملتهما إلى ملوك الأطراف ؛ وقد كتبت من كتب المتكلِّمين ما لا يُحْصَى ، ولَعَهْدِى بنفسى وأنا أكتب فى اليوم والليلة مائة ورقة وأقل [١] .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان ظهور المطبعة سنة ١٤٣٦ ، أو ١٤٣٧ م ، على يد يوهان جوتنبرج [٢] ، إيذاناً ببدء عصر جديد ، من انتشار العلم ، والتقاء الحضارات ، وتبادلِ الثقافات .

ولم تظهر حروفُ الطباعة العربية إلاَّ يومَ أن طبع كاهن دومنيكى اسمه مارتان روث ، سنة ١٤٨٦ م ، بمدينة مينز الألمانية [وهى مدينة جوتنبرج مخترع الطباعة] كتابَ برنارد ده برايد نباخ ، الذى كتبه باللاتينية ، ووصف فيه رحلته إلى الأماكن المقدسة ، وقد ظهر فى هذا الكتاب أول أبجدية عربية كاملة ، مع طريقة النطق بها فى حروف لاتينية .

ولمّا أراد فردينان وزوجته إيزابيلا ، الملكان الكاثوليكيان ، أن يتيحا للأندلسيين المسلمين أن يعتنقوا المسيحية ، كلّف الملك جماعةً من المبشِّرين القيامَ بالتبشير ، فاستدعى المطران فرناندوده تالا فيرا ، رجلاً اسمه خوان فاليرا ، وكلفه أن يطبع كتابين للمبشِّرين الذين يجهلون العربية ،وقد صدر الكتابان فى غرناطة عام ١٥٠٥ م ، وكان عنوان الأول : « وسائل تعلّم قراءة اللغة العربية ومعرفتها » ، وعنوان الثانى : « معجم عربى » بحروف قشتالية .

---

(١) المرجع السابق ص ١٨ ـــ ٢١ ، والأعلام ١٥٦/٨ ، وانظر مراجعه .

(٢) تاريخ الطباعة ، للدكتور خليل صابات (دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م) ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٦٥٨ ، والمستشرقون ٣٥٧/١ ، لنجيب العقيقى (دار المعارف بمصر ـــ الطبعة الثالثة ١٩٦٤ م) .

أما تحفة الطباعة العربية ، فى القرن السادس عشر ، فكانت كتاب « الإنجيل » المطبوع سنة ١٥٩١ م بمطبعة آل مديتشى ، وهو أول مطبوع عربى مصوّر [١] .

وفى إيطاليا انتشرت الطباعة العربية ، منذ أوائل القرن السادس عشر ، فظهرت أول مطبعة عربية ، فى مدينة فانو ، بأمر البابا يوليوس الثانى ، وافتتحها ليون العاشر ، الملك برومية – وكانت له عنايةٌ بعلوم العرب [٢] – سنة ١٥١٤ م ، ومن أوائل ما طبع فى هذه المطبعة سفر الزبور ، سنة ١٥١٦ م ثم ظهرت مطبعة البندقية ، وفيها طبع القرآن الكريم ، أوَّل مرّة ، وبعد أن تَمَّ طبعه صُودِرت نُسَخُه ، وقُضِى عليها بدافع تعصّبى ، ثم طبعت أوّل ترجمة إيطالية للقرآن الكريم سنة ١٥٤٧ م .

وفى مطبعة روما سنة ١٥٩٣ م [٣] طبع كتاب « القانون » فى الطب ، لابن سينا ، ومعه علم المنطق ، وعلم الطبيعى ، وكتاب « النجاة » له أيضا ، وكان صدور هذا الكتاب بدايةَ عهد جديد فى دراسة الطبّ .

وطبع القرآن الكريم فى همبورج ، سنة ١٦٩٤ م ، مع مقدمة باللغة اللاتينية ، وفى ليبسك سنة ١٧٦٨ م .

ثم تعدّدت المطابع العربية فى أوربا ، وطبع فيها مئات من الكتب العربية والشرقية ، أكثرها فى لندن وباريس وليبزج وليدن ، وجوتنجن وروما وفيينا ، وبرلين وبطرسبورج [٤] .

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٥٢

(٢) الأعلام ٢١٨/٢ ، ولم يترجم له الزركلى ، وإنما ذكره فى أثناء ترجمة الحسن بن محمد الوزان ، وسيأتى حديث عنه شاء الله .

(٣) وذكر الزركلى فى الأعلام ٢٤٢/٢ ، أنه طبع سنة ١٤٧٦ م

(٤) التراث العربى ، لشيخنا عبد السلام هارون ص ٤٤

أما فى الشرق فكانت الآستانة عاصمةُ الخلافة العثمانية ، أسبقَ مدن الشرق إلى الطباعة ، وطبعت التوراة فيها ، ترجمة سعيد الفيومى ، فى سنة ١٥٥١ م ، لكن هذه الترجمة العربية طبعت بحروف عبرية ، مبالغة فى التعصب [١] . وبعد ذلك تردَّد القوم فى طبع كتب الحكمة واللغة والتاريخ والطبّ والفلك ، التى لم يجرؤ أحدٌ على طبعها إلاَّ بعد صدور فتوى من شيخ الإسلام عبد الله أفندى سنة ١٧١٦ م ، بجواز ذلك ، فيما عدا الكتب الدينية التى استصدرت فتوى أخرى بعدها ؛ لإجازة طبعها ، وتعددت المطابع فى الآستانة ، فكان أشهرها مطبعة الجوائب ، لأحمد فارس الشدياق ، وقد نشر فى هذه المطبعة ، إلى جانب صحيفة الجوائب طائفة صالحة من الكتب العربية [٢] .

وعرف لبنان الطباعة سنة ١٦١٠ م ، على يد رهبان دير قزحيا ، وكان أول مطبوع عندهم « المزامير » بالسريانية والكرشونية ، ثم كانت مطبعة دير ماريو حنّا الصايغ أول مطبعة تطبع بالحروف العربية بلبنان سنة ١٧٣٤ م ، وقد أنشأها عبد الله بن زخريا (الزاخر) ، وأصله من

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق ص ٤٥ ــ وأحمد فارس الشدياق ، عالم باللغة والأدب ، ولد بلبنان ، سنة ١٢١٩ هـ = ١٨٠٤ م ، لأبوين مسيحيين ، سمَّياه فارساً ، ورحل إلى مصر ، فتلقى الأدب عن علمائها ، ورحل إلى مالطة ، فأدار فيها أعمال المطبعة الأمريكانية ، وتنقّل فى أوربا ، ثم سافر إلى تونس ، فاعتنق فيها الدين الإسلامى ، وتسمى : أحمد فارس ، فدعى إلى الآستانة ، ثم أنشأ بها مطبعة الجوائب ، وأصدر صحيفتها سنة ١٢٧٧ هـ ، فعاشت ٢٣ سنة ، وطبع بمطبعته هذه كثيراً من كتبه وكتب غيره . ومن أشهر تصانيفه : الجاسوس على القاموس ، والساق على الساق فيما هو الفارياق . توفى سنة ١٣٠٤ هـ = ١٨٨٧ م . الأعلام ١٩٣/١

حلب ، ووُلد على الأرجح فى حماه سنة ١٦٨٠ م ، وابتدأ عملها بطبع كتاب اسمه : « ميزان الزمان » . ثم أنشأ مع أخٍ له مطبعة أخرى ، عرفت باسم مطبعة الشوير ، وكان معظم منشوراتها من الكتب المسيحية . توفى عبد الله هذا سنة ١٧٤٨ م (١) .

ثم ظهرت مطبعة القديس جاورجيوس ، للروم الأرثوذكس ، فى بيروت سنة ١٧٥٣ م ، وطبعت كثيرا من كتب الأدب والتاريخ .

وفى مالطة أنشئت المطبعة الأمريكية للمبعوثين الأمريكان ، سنة ١٨٢٢ م ، وأدار أعمالَها حيناً من الزمان أحمد فارس الشدياق ــ كما سبق ــ ثم نقلت إلى بيروت سنة ١٨٣٤ م ، وطبعت كثيرا من الكتب المدرسية ، وطائفة من كتب الأدب والتاريخ ، ودواوين الشعر .

ثم وثبت الطباعة العربية فى لبنان وثبة كبيرة بإنشاء المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، سنة ١٨٥٤ م ، وقد ابتعدت هذه المطبعة عن الصبغة المسيحية شيئا مّا ، وكان لها فضلٌ ظاهر ، فى نشر كثير من أصول اللغة والأدب ، ومن ذلك نوادر أبى زيد الأنصارى ، التى ظهرت طبعتها سنة ١٨٩٤ م ، برخصة نظارة المعارف بالآستانة ، وتهذيب كتاب الألفاظ لابن السكيت ، تأليف الخطيب التبريزى ، والألفاظ الكتابية للهمذانى ، وفقه اللغة للثعالبى ، وديوان الأخطل .

وظهرت مطبعة المعارف للبستانى ، سنة ١٨٦٧ م ، أنشاها بطرس ابن بولس البستانى ، وهى التى قامت بنشر دائرة المعارف ، له ، ثم لولده سليم ، وكذا محيط المحيط ، فى اللغة ، ومختصره قطر المحيط (٢) .

---

(١) الأعلام ٨٧/٤ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١١٥٢

(٢) التراث العربى ص ٤٥ ، والأعلام ٥٨/٢

وفى العراق عرفت أول مطبعة حجرية سنة ١٨٣٠ م ، ولم ترسخ الطباعة فى العراق إلاّ فى سنة ١٨٥٦ م ، حين أسَّس الرهبان الدومينيكان فى الموصل مطبعة كاملة .

وعرفت الطباعة بفلسطين سنة ١٨٣٠ م ، وأنشئت أول مطبعة عربية فى اليمن سنة ١٨٧٧ م ، وبالحجاز سنة ١٨٨٢ م ، وفى عمّان بالأردن سنة ١٩٢٢ م [١] .

* * *

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٥٢ ، والمستشرقون ص ١٠٥٢

نشر التراث العربىّ فى مصر

واضحٌ كلّ الوضوح من ذلك العرض الموجز : أن الطباعةَ العربيّة قد اصطبغت فى نشأتها الأولى بصبغة مسيحيّة تبشيريّة خالصة ، وجاءت المطبوعات الأخرى تبعاً وذَيلا .

ولم يظهر الوجهُ العربىُّ الإسلامى للطباعة إلاَّ فى مطبعة بولاق بمصر .

لقد كان إنشاء هذه المطبعة فى مصر صيحةً مدويّة ، أيقظت الغافلين ، ومركزَ ضوء باهر هدى الحائرين ، وقد تدافعت مطبوعاتها من الكتاب العربىّ الإسلامىّ ، كأنها السَّيلُ الذى عناه الراجزُ بقوله :

أقبل سيلٌ جاء من أمرِ اللهْ   يَحْرِدُ [1] حَرْدَ الجَنّةِ المُغِلَّهْ

وكانت البداية مطبعة الحملة الفرنسية التى أحضرها نابليون معه ، فى غزوه المقهور لمصر ، سنة ١٧٩٨ م ؛ لطبع المنشورات والأوامر باللغة العربية ، وكانت هذه المطبعة تعمل وهى على السفينة فى عُرْض البحر ، وحينما اقتحمت هذه الحملة ثغر الإسكندرية ، قام رجالها بتوزيع المنشورات السياسيّة التى أعدُّوها فى البحر ، وأطلق على هذه المطبعة اسم : « المطبعة الأهلية » ، ثم نقلت إلى القاهرة ، واستمرّت فى عملها إلى سنة ١٨٠١ م ، حيث اندحر الفرنسيون ، وارتدّ نابليون إلى وطنه خاسئاً وهو حسير .

وكان نابليون قد جهَّز مطبعته تلك بحروف عربية وفرنسية ويونانية ، وطبع فيها إلى جانب المنشورات والأوامر ، أمثالَ لقمان الحكيم ، وبعض

---

(١) حَرَد يَحْرِد حَرْداً ، بفتح الراء فى الماضى وكسرها فى المضارع : أى قَصَد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴾ سورة القلم ٢٥

رسائل فى النصائح الطبيّة ، وغيرها ، لم يزد على ذلك شيئا [١] .

ومرّت فترة من الزمن ، زهاء عشرين سنة ، وليس فى مصر طباعة ولا مطبعة ، حتى استقرّ الأمر لمحمد على باشا ، فأنشأ مطبعة على أنقاض المطبعة الأهلية الفرنسية ، وسمّيت بالمطبعة الأهلية أيضا ، وذلك فى سنة ١٨١٩ م ، أو ١٨٢١ م ، ثم نقلت هذه المطبعة إلى بولاق ، على ضِفاف النيل ، فعرفت بمطبعة بولاق ، أو المطبعة الأميرية ، كما تُسَمَّى إلى يوم الناس هذا .

وقد كان إنشاء محمد على مطبعة بولاق متزامنا مع إرساله البعثات لتلقىّ العلم فى أوربّا ، ومن أعلام هذه البعثات رفاعة رافع الطهطاوى ، ذلك الأزهرىّ الذى يُعدُّ من أركان النهضة العلمية العربية فى العصر الحديث ، وهو مؤسس مدرسة الألسن بالقاهرة .

ولا يستطيع الدارس أن يُغفل العلاقةَ بين هذه البعثات ، ونشاطِ مطبعة بولاق ، فقد عاد الدارسون المصريون من أوربا ، برغبة عارمة فى الإصلاح والنهوض ، ولم يركنوا إلى الدعة والاكتفاء بمدح الإفرنج ، والطعن على أمتّهم ، والانتقاص من تاريخها ، كما نرى ونسمع الآن .

وقد عاشت مصر فى ذلك الزمان أياماً عربيّة شامخة ، وجاهد أبناؤها فى نفض الغبار عن تراث أمتّهم العربية ، وهذا حاكم مصر محمد على باشا الألبانى التركى ، يساير هذه الروح العارِمةَ « فيحتّم على من يدخل فى خدمته من الإفرنج أن يتزيّوا بالزىّ العربى (المصرى) ويتكلموا اللغة العربية ، ويؤلّفوا بها ، أو ينقلوا كتبهم إليها » [٢] .

---

(١) التراث العربى ص ٤٦ ، ومقدمة معجم المطبوعات العربيّة والمعربة .

(٢) هكذا ذكر العلامة خير الدين الزركلى ـــ رحمه الله ـــ وهو حجة فيما يحكى ويثبت . الأعلام ٢٩٩/٦ ، وانظر مراجعه .

وقد يقال : إن محمد على باشا إنما فعل ذلك من وراء قلبه ، وأنه إنما اصطنعه اصطناعا لكى يمكّن لنفسه فى الأرض ، ولكى يوطّد أقدامه ، ويثبّتَ عرشَه فى مصر لينطلق إلى تحقيق أحلامه وطموحاته ، فليكن هذا ، ولكنه كان ذكاءً منه وفطنة ، أن يتناغم مع هذه الأصوات العربيّة ، العالية الرنين ، السريعة الإيقاع ، وهَوَى الحاكم غالِبٌ ومؤثّر ؛ هكذا كان منذ أن كانت الدنيا ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومهما يكن من أمر فقد استعلنت تلك الروحُ العربيّة فى ذلك النشاط الظاهر لمطبعة بولاق ، والذى تمثل فى طبع مئات الكتب ، فى التفسير ، والحديث ، والأصلين : أصول الدين ، وأصول الفقه ، واللغة ، والنحو والصرف ، والبلاغة والأدب ، والتاريخ ، والطب ، والرياضة ، والطبيعة ، والفنون الحربية ، وغير ذلك من سائر فنون التراث ، وقد طبع من كلّ ذلك عددٌ وفير . جاء فى مقدمة كتاب معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة :

« عُدِّد ما طبع من الكتب فى مطبعة بولاق ، من ١٩ مايو ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ) [١] إلى آخر ربيع الأول ١٢٩٥ هـ ، فبلغت عدد النسخ (٣٦١٨١٥) قال صاحب التعداد المذكور : وكان قبلاً مطبوعا لغاية سنة (١٨٦٧ م : ١٢٨٤ هـ) (٢٤٢٠٧٥) فيكون إجمال ما صدر من النُّسَخ (٦٠٣٨٩٠) لغاية سنة ١٢٩٥ هـ » .

أرأيت إلى هذا العدد الذى يزيد على نصف المليون ، فى هذه المدة الوجيزة لإنشاء مطبعة بولاق ، وهى مدة يسيرة لا تعدّ شيئا فى تاريخ الأمم

---

(١) هكذا وضع التاريخ الهجرى بعد التاريخ الميلادى ! وأنا أحافظ على أمانة النقل .

والشعوب ، مع ملاحظة ضعف الوسائل الطباعيّة فى تلك الأيام ، والاعتماد على الجَمْع اليدوىّ ، وهو يمثل عائقا كبيراً فى سرعة الإنجاز .

وواضحٌ أن المراد من العدد المذكور : النُّسَخ لا الكُتُب ، فإن بعض الكتب فى طبعات بولاق يصل إلى عشرين مجلدا (أى نسخة) مثل لسان العرب .

وينبغى أن يؤخذ فى الاعتبار أن بعض الكتب ، قد نُشِر بهامش كتب أخرى ، وهى ظاهرة عجيبة ، سأتحدث عنها فيما بعدُ إن شاء الله .

وأريد أن أنبّه ـــ فى مجال تقييم أعمال مطبعة بولاق ـــ إلى ثلاثِ حقائقَ هامّةٍ جداً :

الأولى : أن الذين قاموا على نشر الكتب بتلك المطبعة ، كانوا يستهدفون غايةً ضخمة ، ترمى إلى إظهار كنوز الفكر العربى والإسلامى ، فعمدوا إلى نشر الأمّهات والأصول ، فى كلّ علم ، ولم يطغ فَنٌّ على فَنّ ، شأن المطابع التجارية التى تتحسَّسُ حاجةَ السُّوق ، وتلبِّى رغباتٍ عاجلة ، لخدمة بعض الاتجاهات والنوازع ، فهم قد نظروا إلى التراث نظرة شموليّة كليَّة ، مدفوعين برغبة عارمة فى الإصلاح والنهوض ، وملاحقةِ التطّور الأوربّى الذى تناهتْ إليهم أصداؤه وثمارُه ، من خِلال الغَزْو وإرسال البعثات . وفى ذلك يقول شيخنا عبد السلام هارون :

« ولقد كانت فكرة إحياء التراث والنشاط فيه ، فكرة قوميّة ، قبل أن تكون فكرة علمية ؛ فإن طغيان الثقافة الأوربيّة والنفوذ التركى وضغطه ، كان يأخذ بِمَخْنِقِ العرب فى بلادهم ، فأرادوا أن يخرجوا إلى متنفسٍ يحسُّون فيه بكيانهم المستمدّ من كيان أسلافهم ، فى الوقت الذى أَلِفُوا فيه الغُرَبَاء من الأوربيِّين يتسابقون وينبشون كنوز الثقافة العربية ، فانطلقوا فى هذه

السبيل ، ينشرون ويُحْيُون ؛ إذ كانوا يرون أنهم أحقُّ بهذا العمل النبيل وأجدر » [١] .

وكان عجباً من العجب أن تُقدِمَ مطبعة بولاق فى تلك الأيام ، على طبع الموسوعات الضخمة ، مثل : لسان العرب ، لابن منظور ، وتفسير الطبرى ، وفتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلانى ، والأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ، والكتاب لسيبويه ، والأمّ للإمام الشافعى ، ومنهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، والصحاح للجوهرى ، والقاموس المحيط لمجد الدين الفيروزابادى ، وشرح الحماسة للتبريزى ، وشرح مقامات الحريرى لأبى العباس الشريشى ، ومعاهد التنصيص ، شرح شواهد التلخيص ، للعباسى ، وألف ليلة وليلة ، وصبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى ، ووفيات الأعيان لابن خلّكان ، وقلائد العقيان ، للفتح بن خاقان [٢] ، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمَقّرى .

وهذه موسوعات تؤود الناشرين فى أيامنا هذه ؛ لما تتطلبه من نفقات باهظة ، مع تقدم صناعة الطباعة ، واستخدامها للألكترونيات .

وإلى جانب نشر هذه الأصول التراثيّة ، عنيت مطبعة بولاق بنشر الكتب المترجمة يومئذ إلى العربية ، فى أنواع العلوم ، كالطب والهندسة والرياضيات والعلوم الحربية .

---

(١) التراث العربى ص ٤٩

(٢) هكذا يأتى اسمه مختصرا ، وتمامه : الفتح بن محمد بن خاقان . أبو نصر ، وهو كاتب مؤرخ ، من أهل إشبيلية . توفى سنة ٥٢٨ هـ ، ويلتبس عند بعض الناس بالفتح بن خاقان ، أبى محمد ، الأديب الشاعر ، وهو فارسى الأصل ، اتخذه الخليفة المتوكل أخاً له ، وعيَّنه وزيرا . توفى سنة ٢٤٧ هـ .

الحقيقة الثانية : تزامُن نشاط مطبعة بولاق مع الدعوة إلى العاميّة ، والتى تولَّى كِبْرها نَفرٌ من خبثاء الأجانب الذين حلُّوا بمصر ، منهم ولهلم سبيتا ، وكارل فولرس ، وويلكوكس ، وسلدن ولمور ، وزويمر . وقد جاهد هؤلاء فى الترويج لدعوتهم الخبيثة جهاداً لاهثا ، يصانعهم ويظاهرهم قومٌ أغبياء من أهل جِلْدتنا [1] ، لكنّ هذه الدعوة لم يُقدَّر لها أن تبلغ مبلغها فى تلك الأيام ، إذ كانت حركة إحياء التراث التى نهضت بها مطبعة بولاق ، تشقُّ طريقها فى سرعة ومضاء ، ثم كان أن خَبَتْ هذه الدعوةُ أيضا حين أنشئت مدرسة دار العلوم سنة ١٨٧٢ م ، وتولىَّ التدريسَ فيها أفذاذ الرجال ، وكان على رأسهم الشيخ حسين المرصفى ، هذا الأزهرىّ الضرير ، الذى تولى التدريس بالأزهر ، ثم كان أستاذا للأدب العربى وتاريخه بمدرسة دار العلوم ، وكان يعرف الفرنسية ، وهو من عظماء رجال الإحياء ، وألف كتابه « الوسيلة الأدبية » ، وهو مجموع محاضراته على طلبة دار العلوم ، ولهذا الكتاب أثر ظاهر فى إحياء اللغة وآدابها ، وقد انتفع به كل من تخرج فى دار العلوم وكل أبناء ذلك الجيل عامة . توفى رحمه الله ورضى عنه سنة ١٣٠٧ هـ = ١٨٨٩ م .

ويقول شيخنا محمود محمد شاكر : « واقترن وجودُ المرصفى ، بظهور شاعرٍ فذّ ، نقل اللغةَ يومئذ من حالٍ إلى حال ، فأسقط عن الهمم تلك الأغلالَ التى كانت تُمسكها إلى الأرض ، وتُقعدها بالعجز عن توهّم إدراك الأوائل ، فى نصاعة العبارة وتجويد الشعر ، وهو الإمام محمود سامى

---

(١) كشف هؤلاء وهؤلاء شيخنا محمود محمد شاكر ، فى كتابه الفاضح الدامغ « أباطيل وأسمار » وانظر منه الصفحات ١٥٤ ـــ ١٩٥ ، فتدبَّرْ ما قاله ، واصرِفْ إليه عقلك وقلبك .

البارودى ، المولود سنة (١٨٤٠) ، وظهر اسمه وشعره فى نحو هذا الوقت ، أى (١٨٧٠) ، وبدأت العربية من يومئذ تستعيد شبابها وقوّتها ، وانطلقت الألسنة من عِقال العجز ، بفضل هذين الرجلين » [١] .

وممَّا لا شكَّ فيه أن طبعات بولاق من التراث قد غذّت عقول جماعةٍ من ورثة المرصفى والبارودى ، حين وضعت أمامهم زادا شهيًّا من آداب الأوائل وعلومها ، مما أمدَّهم بفيضٍ زاخر ، أعانهم على ما هم بسبيله من الإبداع والإحسان . « فظهر من الكتّاب والشعراء من مهَّدتْ لهم قُواهم أن يتصدَّروا قيادةَ الطريق إلى إحياء العربية فى الجماهير الباقية المحبّة للغة بلادها ، دون معونة تُحدثها المدارس ، من تخريج جمهور محبٍّ للغة بلاده ، يتكاثر به عددُ هذه الجماهير ، وكان فى مقدّمة ورثة البارودى ، فى باب الشعر خاصة ، جماعةٌ تكاثروا ، تقدّم منهم شوقى ، وحافظ ، ومَطْران ، وعشراتٌ من نوابغ الشعر من بعدهم » [٢] .

وقد سطع هذا النورُ وتألَّق ، ومدَّ إشعاعه إلى أرجاء الوطن العربى كلِّه ، مشرقِه ومغربِه [٣] ، ثم تناغمت الأصواتُ العربيّة ، وتوحَّدت مع حَفِيف الأوراق الصفراء التى تجود بها مطبعةُ بولاق مع إطلالة كلِّ صباح .

والحقيقة الثالثة : أن الأزهر كان موجِّهاً لكثيرٍ من نشاط مطبعة بولاق ، ومُهَيْمِناً عليه ، على عكس ما رأيناه فى مطابع لبنان ، فى نشأتها الأولى ، وتوجيه القساوسة والرُّهبان لنشاطها ، وقد جرى الأمرُ فى مطبعة

---

(١) أباطيل وأسمار ص ١٦١

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦٠ ، وهذا الكلام ذكره شيخنا فى سياقٍ غير السياق الذى أنا فيه ، ولكنّ كلام شيخنا حفظه الله صالحٌ لكلِّ سياق ، فهو مِثْلُ التِّرياق النافعِ لجميع العِلَل والأدواء .

(٣) انظر ما يأتى من حديث نشر التراث العربى فى تركيا ، والمغرب الأقصى .

بولاق على غير هذا ، فكان محرِّرُو المطبعة من الطلبة الأزهريين ، الذين دُرِّبوا لذلك تدريباً خاصاً ، استغرق نحو ستّ سنوات ، ثم كان إسناد رئاسة تصحيح مطبعة بولاق إلى الشيخ نصر الهورينى الأزهرى الشافعىّ ، آيةً كبرى ، على هيمنة الأزهر ، على هذه المطبعة الكبيرة .

وهذا الشيخ نصر الهورينى ، من علماء الأدب واللغة . تعلَّم بالأزهر ، ثم أرسلته الحكومة المصرية إلى فرنسا ، إماماً لإحدى بعثاتها ، فأقام مدة ، تعلَّم فيها الفرنسية ، ولمّا عاد إلى مصر ولى رئاسة تصحيح مطبعة بولاق ، فصحَّح كثيراً من كتب العلم والأدب والتاريخ واللغة ، وصنَّف كتبا كثيرة ، منها : المطالع النصرية للمطابع المصرية ، فى أصول الكتابة ، أى الإملاء بالمعنى الحديث للكلمة ، وشرح ديباجة القاموس المحيط للفيروزابادى ، الذى طبع فى مقدمة القاموس . وكانت للشيخ نصر رحمه الله ، مشاركاتٌ أخرى ، فى غير مطبعة بولاق ، فقد صحح كتاب شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ، للشهاب الخفاجى ، وعلَّق بهامشه تعليقات نفيسة ، وطبع الكتاب بالمطبعة الوهبية بالقاهرة ، سنة ١٢٨٢ هـ ، وقد نشر أحدُ المعاصرين كتاب شفاء الغليل هذا ، ونقل فى حواشيه تعليقات الشيخ نصر ، دون أن يعزُوَها إليه . توفى رحمه الله سنة ١٢٩١ هـ = ١٨٧٤ م [١] .

ومن مصحِّحى مطبعة بولاق المشاهير : الشيخ محمد بن عبدالرحمن ، المعروف بقُطَّة العَدَوىّ ، المتوفى سنة ١٢٨١ هـ = ١٨٦٤ م ، وكانت له عناية بالنحو ، ومن مؤلفاته المطبوعة : فتح الجليل بشرح شواهد

---

(١) الأعلام ٨/٢٩

ابن عقيل . ونسخ بعضَ الكتب بخطه ، وبعضها محفوظ بدار الكتب المصرية [١] .

وأشير هنا إلى أن بعض مطبوعات بولاق كانت تُنشَر على نفقة بعض الناس من محبِّى العِلم ، ومن ذلك كتاب الدرّ المنثور فى طبقات ربّات الخدور ، للسيدة زينب بنت يوسف [٢] فوَّاز العاملى ، المتوفاة سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م وقد طبع هذا الكتاب بمطبعة بولاق سنة ١٣١٢ هـ ، على نفقة محمد زهران .

ومن ذلك كتاب خزانة الأدب ، لعبد القادر البغدادى المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ ، والخزانة من مفاخر التأليف العربى ، وقد تمَّ طبعُها بمطبعة بولاق ، سنة ١٢٩٩ هـ ، وجاء بخاتمتها ، بقلم مصحِّحها الشيخ محمد قاسم ، قال رحمه الله :

« هذا وكان حُسنُ طبعه ، وزهر ثمر طَلْعه ، على ذمّة عصابة أجلّة [٣] نبلاء ، لهم فى نشر العلوم والمعارف اليدُ البيضاء ، فاستحقّوا بذلك الثناءَ الجميل . وهاك مقادير حِصَصهم ، على هذا التفصيل : فقيراط ونصف لتاج المُفْتين حضرة العلاَّمة الشيخ عبد الرحمن سراج ، مفتى بلدِ الله الأمين ، وثلاثة قراريط لحضرة الفاضل الشيخ عبد الرحمن الشِّيبى ، عمدة الأماثل ، وقيراط ونصف للسَّامى الماجد حضرة الشيخ أحمد المَشَّاط ، عينِ

---

(١) الأعلام ١٩٨/٦

(٢) تمام اسمها : زينب بنت على بن حسين . ولدت فى سوريا ، ونشأت وتعلمت وماتت بمصر . الأعلام ٦٧/٣ ، ويقول الزركلى عن كتابها المذكور إنه من أفضل ما صنِّف فى بابه .

(٣) هكذا جاء ، والصواب : « جِلّة » بإسقاط الألف ، وهو جمع جليل مثل صبىٍّ وصبِية .

الأماجد ، وثلاثة قراريط لذى القَدْر السَّنِىّ حضرة الحاج عبد الواحد الميمنىّ ، وثلاثة قراريط لذى المَوْرد الهنىّ حضرة الحاج حسين بن عبد الله الميمنىّ ، وستّة قراريط لذى المَشْرَب الأدبىّ حضرة الفاضل الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد الباز الكتبىّ ، وستّة قراريط للمستعين بربّه الغنىّ حضرة الحاج أبى طالب الميمنىّ » [١] .

وقد أطلتُ بذكر هذا النقّل ؛ لأنه تاريخ ينبغى أن يُسَجَّل ، ويظهر من قائمة هذه الأسماء الكريمة عددٌ من أهل مكة المكرمة ، زادها الله تشريفا .

وقد تولى نظارة مطبعة بولاق نفرٌ مِن عِلْيةِ القوم ، وكان من أبرزهم حسين حسنى باشا ، الذى بدأ أمره مصححا وكاتبا بالتركية فى الوقائع المصرية سنة ١٨٥١ م ، ثم عمل فى مطبعة بولاق ، إلى أن ولى نظارتها سنة ١٨٨٠ م ، وهو أول من أنشأ مصنعاً للورق فى مصر ، وكان معظمه قبل ذلك يستورد من إيطاليا .

واستمرت مطبعة بولاق فى عملها أكثر من تسعين سنة ، لم تركد فى

---

(١) خزانة الأدب ٤/٤٩٩ ، وينبغى على طلبة العلم قراءة خواتيم قراءة الكتب المطبوعة فى تلك الأيام ، ففيها فوائد كثيرة . وقد شاعت ظاهرة طبع الكتب على نفقة محبى العلم ، فمن ذلك أمالى أبى على القالى ، التى طبعت بدار الكتب المصرية عام ١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٦ م ، على نفقة إسماعيل يوسف بن دياب . وإمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع ، للمقريزى ، الذى طبع الجزء الأول منه بتحقيق شيخنا محمود محمد شاكر ، عام ١٩٤١ م ، على نفقة السيدة قوت القلوب الدمرداشية . إحياء لذكرى والدها السيد عبد الرحيم باشا الدمرداش ، وقد طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر وانظر ما يأتى فى الحديث عن دار الكتب المصرية .

فى أثنائها إلاَّ بضع سنوات ، فى الفترة التى انقضت بين عهد محمد على ، وإسماعيل [١] .

ولا تزال هذه المطبعة العتيدة باقية إلى يومنا هذا ، على النيل ، مقابل منطقة بولاق ، فى مبنىً جديد ، وتقوم على طبع المنشورات الحكومية ، وبعض مطبوعات مجمع اللغة العربية .

والحديث عن مطبعة بولاق ، ونشاطها فى نشر عيون التراث ، حديث طويل ، وحسْبنا منه هذه اللمحة فى ذلك المدخل الموجز .

* * *

---

(١) التراث العربى ص ٤٧

نشاط المطابع الأهلية بمصر

لم تظهر هذه المطابع فى مصر ، إلاّ بعد مضىّ نحو أربعين سنة ، من إنشاء مطبعة بولاق .

وأول هذه المطابع : المطبعة الأهلية القبطية التى عرفت فيما بعد بمطبعة الوطن ، وقد أنشئت سنة ١٨٦٠ م ، بعد أن تدرّب عمّالُها فى مطبعة بولاق ، بإذن من سعيد باشا ، حاكم مصر ، وقد نشرت هذه المطبعة عددا من كتب التراث ، منها أدب الكاتب لابن قتيبة ، وحلبة الكميت للنَّوَاجى . ثم تلتها مطبعة وادى النيل ، سنة ١٨٦٦ م ، وقد أنشأها عبد الله أبو السعود افندى ، وطبع فيها صحيفة وادى النيل ، إلى جانب بعض كتب التراث . وفى هذه المطبعة تم طبع كتاب الوسيلة الأدبية للشيخ حسين المرصفى ــ الذى أشرت إليه من قبل ــ سنة ١٢٩٦ هـ ، وكان قد بدأ طبعه بمطبعة المدارس الحكومية بدرب الجماميز ، سنة ١٢٩٢ هـ . وفى مطبعة وادى النيل طبع كتاب : كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ ، لابن الأجدابى ، سنة ١٢٨٧ هـ .

وعبد الله أبو السعود هذا ، هو أول صحفى سياسى فى تاريخ مصر الحديث ، وكان يتقن مع العربية الفرنسية والإيطالية ، وعين ناظرا لقلم الترجمة ، فأستاذا للتاريخ بدار العلوم . وله مؤلفات كثيرة . ولد فى دهشور قرب الجيزة بمصر ، سنة ١٢٣٦ هـ = ١٨٢٠ م ، وتوفى سنة ١٢٩٥ هـ = ١٨٧٨ م [١] .

---

(١) الأعلام ٤/١٠٠

ومن أبرز المطابع الأهلية التى سَرَتْ فيها روحُ مطبعة بولاق : مطبعة جمعية المعارف ، واسمها : المطبعة الوهبيّة .

وجمعية المعارف هذه ، أسَّسها محمد عارف باشا ، أحدُ أعضاء مجلس الأحكام بمصر ، سنة ١٨٦٨ م ، وانضمّ إلى هذه الجمعية كثيرٌ مِن سَرَاة القوم ، ومحبِّى العلم ، وعددهم ٦٦١ عضوا ، ترى أسماءَهم بآخر الجزء الأول من كتاب تاج العروس ، فى شرح القاموس ، الذى طبعت منه الجمعية خمسة أجزاء (١٢٨٥ هـ ــ ١٢٨٧ هـ) .

وقد لقيت هذه الجمعية العلمية إقبالاً كبيرا واستجابةً سريعة ، من المثقفين وغيرهم ــ كما يقول شيخنا عبد السلام هارون ــ وكان لأعضائها ميزة فى أن يحصلوا على الكتب بثمنٍ أقلَّ مما يُطلب من غيرهم .

وقد نشرت الجمعية طائفة صالحة من الكتب القيمة ، فى اللغة والتاريخ والأدب ، منها خمسة أجزاء من تاج العروس ــ كما سبق ــ والصحاح ، للجوهرى، وأسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لعز الدين بن الأثير ، والمثل السائر ، لأخيه ضياء الدين ، وألف باء للبَلَوىّ ، وشرح القَسْطلاَّنى على البخارى ، والمزهر ، للسُّيوطى ، وطراز المجالس ، للشهاب الخفاجى ، وشفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ، له أيضا ــ وهو من تصحيح العلاَّمة نصر الهورينى ، كما سبق ــ وخلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ، للمحبىّ ، والتعريفات ، للجرجانى ، وتاريخ ابن الوردى . إلى مطبوعات أخرى ، تراها بآخر الجزء الأول من تاج العروس .

ومن أندر ما طبعته جمعية المعارف كتاب « الفتح الوهبى على تاريخ أبى نصر العُتْبى ، وهو ــ كما يقول شيخنا عبد السلام هارون ــ من

أعجب كتب التاريخ ؛ إذ هو شرح لكتاب تاريخى ، ألفه أبو نصر العُتْبى [١] ، ليسرد فيه وقائع يمين الدولة محمود بن سُبُكْتُكين الغَزْنوىّ ، فاتح الهند ، المتوفى سنة ٤٢١ هـ . وهذا الكتاب ألفه أبو نصر بأسلوب أدبى فنّى ، وسماه : اليمينى ، نسبة إلى يمين الدولة هذا ، وقد تتابع عليه كثيرٌ من الشرّاح ، كان أبرزهم وأشهرهم أحمد بن على المَنينى ــ نسبة إلى مَنِين ، من قرى دمشق ــ المتوفى سنة ١١٧٢ هـ ، وسمى شرحه : الفتح الوهبى [٢] .

وهذا الالتفاف من المثقفين حولَ جمعية المعارف ، ومؤازرتها فى نشر الكتب ، يذكرنا بما حدث فى تلك الأيام ، من قيام جمعية خيرية خاصّة « من فضلاء المصريين وسَراتهم ذوى الهمم العالية » لنشر كتاب المخصَّص لابن سيده ، وذلك فى سنة ١٩٠٢ م ، وكان من أعضائها الشيخ الإمام محمد عبده ، وحسن عاصم باشا ، وعبد الخالق ثروت باشا ، ومحمد النَّجّارى ، ووكلوا تصحيح الكتاب إلى الإمام محمد محمود التركزى الشنقيطى ، بمعاونة الشيخ عبد الغنى محمود ، أحد علماء الأزهر الشريف [٣] .

ومن تلك المطابع الأهلية : المطبعة الخيرية بالجمالية ، وقد أسَّسها عمر حسين الخشاب [٤] ، ومحمد عبد الواحد الطُّوبى . ومن منشوراتها الكثيرة ، ومن أجلِّها : تاج العروس للمرتضى الزَّبيدىّ ، طبعته كاملا فى عشرة أجزاء كبار (١٣٠٦ هـ ــ ١٣٠٧ هـ) بعد طبعة جمعية المعارف التى وقفت عند نهاية الجزء الخامس ، كما سبق .

---

(١) اسمه محمد بن عبد الجبار العُتْبى ، نسبة إلى عتبة بن غزوان ، مؤرخ من الكتاب الشعراء ، أصله من الرىّ ، نشأ فى خراسان ، ثم استوطن نيسابور . توفى سنة ٤٢٧ هـ الأعلام ٦/١٨٤

(٢) التراث العربى ص ٤٨ ، وانظر ترجمة المنينى فى الأعلام ١/١٨١

(٣) التراث العربى ص ٤٨

(٤) أخبرنى الأستاذ رشاد عبد المطلب ، رحمه الله ، أن عمر الخشاب هذا هو جدّ الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب ، الأستاذ المعروف بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، أمدّ الله فى حياته .

وعن هذه الطبعة صدرت مصوَّرة دار صادر ببيروت . ومن مطبوعاتها : النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين بن الأثير ، سنة ١٣١٨ هـ ، وطبع بأسفله : الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير ، للسيوطى ، وبهامشه : مفردات القرآن الكريم ، للراغب الأصبهانى . وطبع بها أيضا : الكتاب الكامل للمبرد سنة ١٣٠٨ هـ .

ومن تلك المطابع : المطبعة العثمانية ، وفيها طبع كتاب النهاية لابن الأثير ، سنة ١٣١١ هـ ، طبعة متقنة مضبوطة بالشكل الكامل ، فى أربعة أجزاء . وطبع على هامشها :الدر النثير للسيوطى . وهى بتصحيح عبد العزيز بن إسماعيل الأنصارى الطهطاوى ، وقد أحسن هذا الرجل فى تصحيحه كلَّ الإحسان ، وأثبت على الهامش بعض فروق النسخ المخطوطة . وقد أفدت من هذه المطبوعة ، فى نشرتى للنهاية التى صدرت عن مطبعة عيسى البابى الحلبى سنة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م .

والمطبعة الأزهرية المصرية ، ومما أخرجته كتاب الكامل فى التاريخ ، لعز الدين بن الأثير ، سنة ١٣٠١ هـ ، وبهامشه كتاب عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، للجبرتى .

والمطبعة الشرفية ، أو الكاستلية ، ومن مطبوعاتها كتاب الصداقة والصديق ، لأبى حيان التوحيدى ، سنة ١٣٢٣ هـ ، وقد طبع باسم : الأدب والإنشاء فى الصداقة والصديق . ومما طبع فيها أيضا : فرائد القلائد فى مختصر شرح الشواهد [١] للعينى سنة ١٢٩٧ هـ .

والمطبعة الرحمانية ، وهى التى طبع بها العلامة الشيخ محمد بهجة

---

(١) وهو المعروف بالشواهد الصغرى . أما الشواهد الكبرى فهى المسماة : المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية وقد طبعت بهامش الخزانة .

الأثرى ــ أطال الله حياته ــ كتاب بلوغ الأرب فى أحوال العرب ، للسيد محمود شكرى الآلوسى ، سنة ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤ م ، وقد عنى بنشره محمد جمال ، صاحب المكتبة الأهلية بشارع عبد العزيز . وطبع بها أيضا كتاب الضرائر ، للمؤلف نفسه ، وكتاب المصاحف للسجستانى ، نشره جفرى سنة ١٩٣٦ م .

ومطبعة الجمالية الكائنة بحارة الروم ، بحىّ الغورية ، ومن مطبوعاتها : كتاب الروض الأنف للسهيلى ــ شرح السيرة النبوية لابن هشام ــ سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م وكان طبعه على نفقة مولاى عبد الحفيظ سلطان المغرب الأقصى ، بعناية وكيله الحاج محمد بن العباس شقرون ، وولده الحاج عبد السلام بن شقرون . ومن مطبوعاتها أيضا كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول ، لابن الدَّيْبَع الشيبانى ، سنة ١٣٣٠ هـ . ومن الطريف أن هذه الطبعة قد عنى بتصحيحها ، ومراجعة أصولها الخطّية الشيخ محمد هارون ، وكيل مشيخة علماء الإسكندرية ، وهو والد شيخنا الجليل عبد السلام محمد هارون ، أطال الله فى الخير بقاءه :

*ومِنْ عِضَةٍ ما يَنْبُتَنَّ شَكِيرُها [1] *

ومطبعة كردستان العلمية ، التى أنشأها فرج الله زكى الكردى ، نحو سنة ١٩١١ م ، ونشر فيها طائفة صالحة من كتب التراث ، على منهج

---

(١) العضة : كل شجرة عظيمة . والشكير : الورق الصغار ينبت بعد الكبار . يضرب مثلا للرجل يشبه أباه ، ومثله :

وهل يُنْبِت الخَطِّىَّ إلاَّ وشَيجُه ... وتُغْرَسُ إلاَّ فى منابتها النخل

والخَطّى : الرمح المنسوب إلى الخَطّ ، وهو مرفأ السفن بالبحرين ، تباع به الرماح . والوشيج : شجر الرماح .

علمى مقارِب ، منها كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة [1] .

ومطبعة هندية بالموسكى . ومن منشوراتها : كتاب نظام الغريب للربعيّ ، سنة ١٩١٢ م . والرَّبعىّ هذا هو أبو محمد عيسى بن إبراهيم . من أهل أُحاظة باليمن . توفى سنة ٤٨٠ هـ ، وهو غير الرَّبعىّ اللغوىّ النحوى ، أبى الحسن على بن عيسى المتوفى ببغداد سنة ٤٢٠ هـ ، وبعض الناس يخلط بينهما . وكتاب شرح غريب السيرة النبوية لابن هشام . تأليف أبى ذر الخشنى . سنة ١٣٢٩ هـ ، وقد قام على تصحيح هذين الكتابين المستشرق الألمانى الدكتور بولس برونله . ومن مطبوعاتها أيضا معجم الأدباء لياقوت الحموى ، سنة ١٩٣٠ م بتصحيح المستشرق مرجليوث .

ومن المطابع الأهلية الصغيرة : مطبعة التقدم العلمية ، بدرب الدليل ، بحىّ الدرب الأحمر . ومن منشوراتها كتاب الكامل للمبرد ، سنة ١٣٢٣ هـ .

وبالقرب من تلك المطبعة : مطبعة الفتوح الأدبية ، بشارع النبوية ، بحىّ الدرب الأحمر أيضا ، ومن مطبوعاتها كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة سنة ١٣٣٢ هـ ، وكتاب الكامل للمبرد ، سنة ١٣٣٩ هـ ، بتصحيح الشيخ إبراهيم الدلجمونى الأزهرى . ولازلت أذكر هذه المطبعة العتيقة ، إذ كنّا صغاراً من أبناء ذلك الحىّ ، نلهو حولَها ، ونجمع الحروف الطباعية القديمة التى يلقى بها خارجَ المطبعة ، نلتقطها ، ونضمّ بعضها إلى بعض ، لنصنع منها أسماءَنا ، ونكوِّن منها البسملة ، وكان السعيد منّا الذى يلتقط

---

(١) التراث العربى ص ٦٠ ، وانظر ما يأتى فى الحديث عن تقييم أعمال تلك المرحلة الأولى من تاريخ نشر التراث .

ذلك الحرف الكبير ، الذى يشبه الأكلشيه ، والمكتوب عليه جملة « صلى الله عليه وسلم » بالشكل القديم المركّب هكذا : ﷺ . وكان لذلك أثر كبير فى تحسين خطوطنا .

وهذا حىّ النبوية : ينسب إلى السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين ، رضى الله عنهما ، ويقال : إنها مدفونة فى هذا المكان الذى أقيم حوله مسجدٌ جامع . وفى هذا المسجد كنا نذاكر دروسَنا ، ونجد رَوْحاً وأُنْساً ، لا نكاد نجدهما فى بيوتنا . وفى هذا المسجد عرفْنا كبار العلماء الذين كانوا يُلقُون الدروس حِسْبَةً ، ثم عرفنا أيضا كبار القرّاء وأئمتهم ، من أمثال الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى والشيخ محمد الصيفى ، والشيخ كامل يوسف البهتيمى ، هؤلاء القراء الذين كانوا يجمعون إلى حلاوة الصوت خشوعَ الأداء ، والتزام قواعد التجويد . وكان قارئ السورة يومَ الجمعة فى هذا المسجد ، الشيخ محمد سلامة ، وكان عجباً من العجب ، فى قوة الصوت ، وعذوبة الأداء ، وكان من غريب أمره ، أنه يمتنع عن القراءة فى الإذاعة ، مع شدة الطلب والإلحاح عليه فى ذلك . وفى تلك الأيام كان الشيخ العظيم مصطفى إسماعيل ، يشقّ طريقه بقوّة فى تلاوة القرآن الكريم ، باسطاً سلطانه على عرش التلاوة ، مخلياً مساحةً كبيرة بينهَ وبين معاصريه ، وقد آتاه الله ما لم يؤت أحداً منهم ، فى الحُسْن والإحسان . رحم الله الجميع ، وجمع بيننا وبينهم فى بَرْدِ العيش ، وقرَارِ النعمة : جنّاتِ عَدْنٍ التى وعد الرحمنُ عبادَه .

والحديث عن القرآن الكريم يقودنا إلى الحديث عن المطابع المصرية ، التى تخصّصت فى طبع المصاحف الشريفة . ومن أشهرها مطبعتان : الأولى مطبعة عبد الرحمن محمد [١] . والثانية : مطبعة الشمرلى ، وأصحابها

---

(١) هو والد المحامية الشهيرة الفاضلة السيدة مفيدة عبد الرحمن .

أولاد المرحوم حسين محمد عبد الله . وقد اشتهرت هذه المطبعة بطبع المصحف المكتوب بخط السيد مصطفى نظيف الشهير بقدرغه لى . وقد أشرف على طبع بعض هذه المصاحف شيخنا العلاَّمة ، أستاذ الأستاذين ، مقرئ الوقت ، الشيخ عامر السيد عثمان ، وهذا الرجل الذى قطع الثمانين من عمره الآن ، لا يزال يقرئ ويفيد ، وأوقاته كلها مشغولة بالإقراء ، وقد تخرَّج على يديه مئاتٌ من مختلف فئات الناس ، انتشروا فى القاهرة والبلدان العربيّة والإسلامية ، ينشرون النور والهدى . وله ـــ رضى الله عنه وأطال فى عمره ـــ فوق علمه بفنّ القراءات وطُرُقها ، حِسٌّ دقيق ، فى صفات الحروف ، ومخارجها ، وتخليصها ، والوُقُوفِ ومواقعِها .

ثم نعود إلى المطابع الأهلية ، فنذكر من أشهرها : مطبعة السعادة ، الكائنة بجوار محافظة مصر ، بميدان باب الخلق . ومن مطبوعاتها القديمة : البحر المحيط ، لأبى حيان ، سنة ١٣٢٩ هـ ، على نفقة مولاى عبد الحفيظ سلطان المغرب الأقصى ، الذى أشرت إليه قريبا . وكثير من تحقيقات الشيخ الجليل محمد محيى الدين عبد الحميد ، خرجت من هذه المطبعة ، وكذلك مطبوعات الخانجى .

ومطبعة مصطفى محمد ، صاحب المكتبة التجارية بأول شارع محمد على ، وهى الآن بميدان العتبة . وقد نشرت هذه المطبعة كثيرا من كتب التراث . وطبع بها الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد كثيرا من تحقيقاته ، ولى عن هذا الشيخ الكبير ، كلمةٌ تأتى إن شاء الله ، فى الحديث عن المرحلة الثانية ، من مراحل نشر التراث فى مصر .

ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ، ولا زالت كعهدها القديم بميدان الأزهر ، وقد نشرت كتباً ذواتِ عدد ، من التراث ، ومعظم ما طبعت من المتون والحواشى المتصلة بمقررات الدِّراسة ، بالأزهر الشريف ، وقد اتَّسَمت

بعض مطبوعاتها بالسُّرعة والعجلة ، مما زهَّد الناسَ فيها ، وقد أشار إلى ذلك العلاَّمة الشيخ أحمد محمد شاكر — رحمه الله — فقال فى ختام مقدمته لكتاب الباعث الحثيث ، شرح اختصار علوم الحديث [١] . لابن كثير :

« وبعد ؛ فإنى أجد من الواجب علىَّ أن أقول كلمةَ عدل وإنصاف ، تتّصل باختيارى طبعَ هذه الطبعة لحساب (مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده) ، وقد ساء ظنُّ الناس بها ، من جهة التهاون فى طبع الكتب وتصحيحها . ولعل الإنصاف يقضى بأن تكون التَّبعةُ فى هذا التهاون على العلماء ، الذين يقومون على تصحيح الكتب ، وتوضع عليها أسماؤهم ، لا على المكتبة وأصحابها ، فإنما هم تجّارٌ وناشرون فقط . وأرجو أن يجد القراءُ فى هذه الطبعة مصداقَ هذا القول ، إن شاء الله » .

وتبرز من بين هذه المطابع الأهلية : المطبعة الميمنيّة ، بمنطقة الكحكيِّين ، المتفرع من شارع الغوريّة فى دائرة ضوء الأزهر الشريف ، وصاحبها أحمد الحلبى ، وقد نشرت هذه المطبعة كثيرا من عيون التراث ، منها : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، سنة ١٣١٣ هـ — فى ستة أجزاء كبار — وبهامشه كتاب منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ، لعلاء الدين التقىّ الهندى . وإتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين ، للمرتضى الزَّبيدى ، سنة ١٣١١ هـ — فى عشرة أجزاء من القَطْع الكبير . وشرح نهج البلاغة . لابن أبى الحديد ، سنة ١٣٣٠ هـ ، فى أربعة أجزاء ضخام . والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ، سنة ١٣١٤ هـ .

وكان يتولى التصحيحَ فى هذه المطبعة شيخٌ فاضل ، من كبار

---

(١) الطبعة الثانية ١٣٧٠ — = ١٩٥١ م .

المُصَحِّحين فى ذلك الزمان هو الشيخ محمد الزهرى الغمراوى ، وكانت تتقدّم اسمَه فى ختام المطبوعات هذه العبارةُ : « يقول راجى غفران المساوى » .

وهذه المطبعة الميمنية ، هى أصل مطبعة الحلبى ، التى اقترن اسمُها بالأعمال الجليلة ، وقد تفرعت بعد ذلك إلى مطبعتين كبيرتين : الأولى مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، الكائنة خلف الأزهر الشريف ، واتخذت مقرًّا لها الآن ، عند نهاية منطقة الدرَّاسة ، والالتقاء بمنطقة العباسيَّة بالقرب من إدارة المرور ، وخُصِّص المكان القديم لبيع المطبوعات .

والثانية : مطبعة عيسى البابى الحلبى ، التى تسمَّت باسم « دار إحياء الكتب العربية » وتوجد بشارع خان جعفر ، بمنطقة خان الخليلى .

وقد أمدَّت هاتان المطبعتان المكتبة العربية بفيضٍ زاخر من نفائس التراث ، وتتميز مطبعة عيسى بالتدقيق فى اختيار ما تنشر ، وقد اجتذبت عدداً من كبار المحققين ، منهم الأساتذة : عبد السلام هارون ، والسيد أحمد صقر ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ـــ وجمهور كبير من تحقيقاته رحمه الله ، خرج من هذه المطبعة ـــ وحسن كامل الصيرفى (١) ، الشاعر المبدع ، ومحمد فؤاد عبد الباقى ، صاحب الأثر الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . وعبد الستار فراج ، وعلى محمد البجاوى . ومن الجيل التالى : أخى الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو .

---

(١) توفى رحمه الله ، فى شعبان ١٤٠٤ هـ = يونيه ١٩٨٤ م . وكان من كبار شعراء مدرسة أبولو المجدِّدة . وله فى نشر التراث جهود مذكورة ، فمما نشره : طيف الخيال ، للشريف المرتضى ، ولطائف المعارف ، للثعالبى ، ودواوين عمرو بن قميئة ، والمثقب ، والمتلمس . ومن أعظم أعماله : تحقيق ديوان البحترى (خمسة أجزاء) وكان آية فى الطهر والنقاء ، كما كان من ظرفاء العصر . رحمه الله رحمة واسعة سابغة .

وقد عملت مصحّحاً بهذه المطبعة ، فى صدر شبابى ، ثلاث سنوات ، كانت كلُّها خيراً وبركةً علىّ ، فقد تعلَّمت من تصحيح الكتب الشئَ الكثير ، وعرفت من العلماء المتردِّدين على المطبعة ، العددَ الكثير ، وخرجت أعمالى العلميةُ الأولى منها ، فلها فضلٌ علىَّ ظاهر .

وكان صاحب المطبعة محمد عيسى الحلبى ــ رحمه الله ــ من فضلاء الناشرين ، وكان يدقِّق كثيراً فيما يطبع ، ثم كان يلجأ إلى أهل الشأن والخبرة ، يستفتيهم ، وكان أكثر تعويله على خبير المخطوطات والمطبوعات الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب ، رحمه الله [١] .

وبعد : فلا سبيل إلى حصر المطابع الأهلية بمصر ، فى ذلك المدخل الموجز ، ولكن حسْبنا أن نعلم أنه قد تناثرت حول الأزهر ، وباب الخلق ، ودرب الجماميز (شارع بورسعيد الآن) ، وشارع محمد على ، والأزبكية ، والفجالة ، مطابع كثيرة ، تُخرج كلَّ يوم نفائسَ الكتب ونوادرها . ومن أراد الإحاطة بهذه المطابع فعليه بمعجم المطبوعات العربية والمعربة ، ليوسف إليان سركيس .

وقبل أن نغادر تلك المرحلة الأولى [٢] ، من تاريخ نشر التراث فى

---

(١) كان رحمه الله ، من العلماء بالمخطوطات وأماكن وجودها ، وكان لا يُجارَى فى معرفة المطبوعات ، وأماكن طبعها شرقا وغربا ، وفرق ما بين الطبعات ، وعدد طبعات الكتاب المختلفة ، ومن وراء ذلك كانت له صلاتٌ وثيقة بعلماء الدنيا ، من عرب وعجم . كنت لصيقاً به ، ملازِماً له عشر سنوات ، فى معهد المخطوطات ، وسافرت معه ، فى بعثة المعهد إلى تركيا والمغرب ، وتعلمت منه الكثير . توفى رحمه الله فى غرّة المحرم ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م ، وقد كتبت عنه كلمة جامعة غداة وفاته بمجلة الثقافة المصرية . ويقول عنه الأستاذ الزركلى رحمه الله : « وكان شعلة نشاط انطفأت فجأة بإصابة قلبية ، فى القاهرة » الأعلام ٣/٢١

(٢) سيرى القارئ الكريم أنى قسمت تاريخ نشر التراث فى مصر ، إلى أربع مراحل ، وهذا التقسيم قائم على اعتبارات فنية ، وليس للزمن دخلٌ حاسِمٌ فيه ، فإن هذه المراحل قد تداخلت زمنياً كما سيأتى ، إن شاء الله .

مصر ، نقف عند ثلاثة أمور جديرة بالتأمل ، فى تقييم أعمال تلك المرحلة :

الأول : أن المطابع فى تلك الأيام ـــ وبخاصة الكبرى منها ـــ كانت تحرص فى كثير من منشوراتها ، على طبع كتاب أو أكثر ، بهامش الكتاب الأصلى ، أو بآخره لصلة ذلك بالكتاب ، أو لمجرد الرغبة فى نشر الكتب على أوسع نطاق . ومن ذلك ـــ وهو كثير جدا ـــ كتاب تحصيل عين الذهب ، فى شرح شواهد سيبويه ، للأعلم الشنتمرى ، المطبوع بحاشية الكتاب ، والسيرة النبوية لابن هشام ، المنشور بهامش الروض الأنف . والمقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية ، لبدر الدين العينى ، المطبوع بهامش خزانة الأدب . ومروج الذهب للمسعودى ، المنشور بهامش إحدى طبعات الكامل فى التاريخ ، لعز الدين بن الأثير ، وتاريخ الجبرتى ، المنشور بهامش طبعة المطبعة الأزهرية ، من الكامل ، أيضا ، سنة ١٣٠١ هـ ، والكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف للزمخشرى ، تأليف الحافظ ابن حجر العسقلانى ، الذى طبع بآخر الكشاف ، بمطبعة مصطفى محمد (المكتبة التجارية) سنة ١٣٥٤ هـ وطبع معه أيضا شرح شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان المرزوقى ، المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ ، واسم شرحه هذا : مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف . أما شرح شواهد الكشاف لمحمد بن أبى بكر بن داود العلوانى الحموى المعروف بمحب الدين افندى المتوفى سنة ١٠١٦ هـ ، فقد طبع بآخر طبعة مصطفى الحلبى من الكشاف ، سنة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م . وطبع على هامش هذه الطبعة أيضا : حاشية السيد الشريف على الكشاف ، والإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، لابن المنيّر الإسكندرى .

ومن ذلك أيضا : الرحمة الغيثيّة بالترجمة الليثيّة ـــ ترجمة الليث بن سعد ـــ وتوالى التأسيس بمعالى ابن إدريس ـــ الشافعى ـــ كلا الكتابين

لابن حجر العسقلانى ، طبعا بآخر كتابه : فتح البارى بشرح صحيح البخارى . طبعة بولاق ١٣٠٠ هـ .

ومن الطريف حقاً أن نرى خمسة كتب ، مطبوعةً فى كتاب ، وفى صفحة واحدة اجتمعت الخمسة الكتب ، فى الصُّلب والهامش ، مفصولةً بجَدَاول ، دون أن يختلط بعضها ببعض . وذلك كتاب شروح التلخيص ، فى علوم البلاغَة ويشتمل على :

١ ــ شرح سعد الدين التفتازانى ، على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى .

٢ ــ مواهب الفتّاح فى شرح تلخيص المفتاح ، لابن يعقوب المغربى .

٣ ــ عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح ، لبهاء الدين السُّبكى .

٤ ــ الإيضاح ، للخطيب القزوينى .

٥ ــ حاشية الدُّسوقى على شرح السَّعد .

والثلاثة الأولى طبعت فى صُلب الكتاب ، والاثنان الباقيان بهامشه . وكانت الطبعة الأولى للكتاب بمطبعة بولاق سنة ١٣١٧ هـ ، على نفقة مصطفى افندى المكاوى ، المحامى [١] بمدينة الفيوم ، والشيخ فرج الله زكى الكردى وكيل الشركة الخيرية لنشر الكتب العالمية الإسلامية ، من طلبة العلم بالأزهر الشريف ، وعبد الحميد افندى الصمدانى .

وقد أعيدت هذه الطبعة كما هى ، بمطبعة السعادة ، سنة ١٣٤٣ هـ بإذن ملتزمها الأول فرج الله زكى الكردى . ثم كانت طبعة ثالثة بمطبعة

---

(١) أرأيتَ إلى همم الرجال واهتماماتهم فى تلك الأيام ؟ رجل من رجال القانون ينهض للمشاركة فى نشر كتاب من كتب البلاغة ! وأدَعُ لك أيها القارئ الكريم التدبُّر فى هذا الذى كان ، وما نحن عليه الآن .

عيسى البابى الحلبى ، سنة ١٩٣٧ م ، بتنازل فرج الله زكى الكردى أيضا .

وظاهرة طبع الكتب بهامش كتب أخرى ، ظاهرة عجيبة فريدة ، وهى دالَّةٌ بوضوح على أن القوم كانوا فى سباق لنشر العلم وإذاعته ، وما أعلم أنها عُرِفت فى مطابع غير مطابع مصر ، فى بداية الطباعة العربية على الأقل .

والأمر الثانى : أن الذين قاموا على طبع الكتب ، وتصحيحها فى ذلك الزمان ، كانوا من طبقة مشايخ [١] الأزهر الفضلاء ، وكانوا يقومون بعملهم هذا ، فى أمانة تامة ، وحرصٍ شديد ، فندر فى مطبوعاتهم التصحيف والتحريف ، وجاءت النصوص كاملة موفورة ، لاسقط فيها ولا خلل ، وكان لكثيرٍ منهم تآليف خاصة ، فوقَ اشتغالهم بتصحيح الكتب . ويذكر التاريخ منهم : نصر الهورينى ، ومحمد قطة العدوى ، ومحمد الحسينى ، وطه محمود ، ومحمد عبد رب الرسول ، ومحمد قاسم ، ومحمد الزهرى الغمراوى ، وعبد الغنى محمود .

غير أن مما يؤخذ على هؤلاء العلماء ، أنهم لم يُعْنَوا بذكر الأصول المخطوطة التى اعتمدوها فى إخراج الكتب ، فنحن لا نعرف تاريخاً ، أو وصفاً للنُّسَخ المخطوطة التى طبعت عليها أمّهات كتب التراث فى ذلك الزمان ، وقد شذّ عن ذلك ما تراه فى بعض الكتب ، ومنه ما جاء فى آخر

---

(١) عدلت عن كلمة « شيوخ » مع ميلى إليها ، لأمرين : الأول : أن العُرْف اللغوىّ يكاد يقصر كلمة « شيوخ » على من تولَّوْا مشيخة الأزهر ، مثل الشيخ محمد مصطفى المراغى ، والشيخ عبد المجيد سليم ، ومن إليهما ، وما إلى هذا أردت . والأمر الثانى : أن كلمة « مشايخ » وإن كانت جمعاً صحيحاً من جموع « شيخ » فإن بعض أهل زماننا يستعملها فى مقام الاستخفاف والهُزْء ، فأردت أن أكبِتَهُمْ بذلك ، وأستعملَها مقرونةً بالفضل والجلال .

لسان العرب ، المطبوع فى مطبعة بولاق ، سنة ١٣٠٠ هـ ـــ ١٣٠٨ هـ ، حيث ذكر مصححه الشيخ محمد الحسينى أن هذه الطبعة اعتمدت على نسخة بخط ابن منظور نفسه ، كانت فى وقف السلطان برسباى بن شعبان ، ونسخة أخرى أحضرت من مكتبة راغب باشا ، باستانبول . ومنه ما ذكره الشيخ إبراهيم عبد الغفار ، مصحح ديوان مجنون ليلى ، المطبوع ببولاق سنة ١٢٩٤ هـ ، حيث ذكر تاريخ النسخة التى طبع عليها الديوان ، وهو : أواخر شهر جمادى الآخرة من سنة سبعمائة واثنتين وتسعين ، ومنه ما ذكره الشيخ محمد الزهرى الغمراوى ، فى آخر الطبعة الميمنيَّة من مسند الإمام أحمد بن حنبل ، من الاعتماد على نسخة من « المسند » مخطوطة بخزانة السادات الوفائية بمصر . ومثل هذه الإشارات العامّة المطلقة لا تغنى شيئا ، إذ أنها سكتت عن وصف هذه النُّسَخ ، من حيث تاريخُ النَّسْخ ، ونوع الخط ، وعدد الأوراق ، والأسطر ، وما قد يكون على المخطوطة من إجازات أو سماعات أو تملّكات . لكنهم مع ذلك قد حرصوا على جَلْب أكثر من نسخة لإخراج الكتاب ، وتنبَّهوا أيضاً لذكر فُروقِ النُّسَخ بالهامش . وذكر الروايات المختلفة ، كالذى تراه فى حواشى صحيح البخارى ، المطبوع بمطبعة بولاق ، وقد تعدَّى ذلك إلى ذكر روايات الكتب الأخرى كالذى تراه فى حواشى لسان العرب ، من الرجوع إلى التهذيب للأزهرى ، والمحكم لابن سيده ، والنهاية لابن الأثير . كما أنهم كانوا يقفون عندما يشكل عليهم شئ من النصّ ، ويكتبون أمامه فى الهامش : « هكذا بالأصل وحرِّرْ ، أو تنبّهْ » (١) ونحو ذلك .

---

(١) أشير هنا إلى أن إغفال وصف الأصول والمراجع ، مما لم يُعن به العلماء فى ذلك الزمان ، وقد رأينا أفذاذ العلماء يغفلون ذلك فى تآليفهم ، كالذى تراه فى كتاب المواهب=

والأمر الثالث : أن القوم فى تلك المرحلة ، لم يُعْنَوْا بالفهارس الفنّيّة الكاشفة عن كنوز الكتاب المنشور ، واكتفوا بذكر فهارس موجزة لمباحث الكتاب ، وأبوابه وفصوله . غير أنه قد ظهرت فى تلك الأيام بوادرُ لهذه الفهارس الفنيّة ، ومن ذلك ما تراه فى طبعة مقامات الحريرى ، من فهرس شامل للكلمات اللغوية والأمثال العربية التى تضمنّتها المقامات ، وهذه النشرة صدرت عن مطبعة بولاق سنة ١٣١٧ هـ ، على نفقة محمد عبد القادر سعيد الرافعى ، ومثل هذا الفهرس جاء فى طبعة مصطفى البابى الحلبى ، سنة ١٣٣٣ هـ .

ومهما يكن من أمر ، فقد كانت تلك المرحلة من أغنى وأخصب مراحل نشر التراث العربى وإذاعته ، وهى بكلِّ خيرها وعطائها قد أسلمت إلى ما تبعها من مراحل .

=الفتحية ، للشيخ حمزة فتح الله المصرى المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ ، وكتاب رغبة الآمل من كتاب الكامل ، للعلامة الشيخ سيد بن على المرصفى الأزهرى المتوفى سنة ١٣٤٩ هـ .

أما عدم عنايتهم بالفهارس فترجع إلى ثقتهم فى قارئ ذلك الزمان ، الذى كان يأخذ فى الكتاب من أوله إلى آخره ، فيقف على كنوزه وفوائده بنفسه .

المرحلة الثانية

وهى مرحلة الناشرين النابهين . وهم طبقة من عظماء الرجال ، جاهدوا فى سبيل نشر التراث ، جهاداً صادقاً دَءُوبا . عَنَيْتُ : محمد أمين الخانجى ، ومحب الدين الخطيب ، ومحمد منير الدمشقى ، وحسام الدين القدسى . ومن عجائب الاتفاق أنهم كلهم من أهل الشام ، اجتذبتهم مصر إليها ، وأعْتَدَتْ لهم مُتَّكَأً ، فنشروا علماً ، وأذاعوا تراثا ، ثم كان لهم من وراء ذلك أثرٌ بارز ، فى جمع المخطوطات وتيسيرها للعلماء ، كما كانوا على صلة وثيقة بكبار رجال الفكر والأدب فى مصر ، ممّن لهم عناية بعلم المخطوطات ، من أمثال أحمد تيمور باشا ، وأحمد زكى باشا ، بجانب كبار رجال الفكر ، الذين نزلوا مصر ، واستقرّوا فيها ، من طبقة محمد محمود بن التلاميد التركزى الشنقيطى ، والشيخ محمد الخضر حسين التونسى ، والشيخ إبراهيم اطفيّش الجزائرى ، والشيخ مصطفى صبرى ، والشيخ محمد زاهد الكوثرى ، العالمين التركيّيْن الجليلين ، الفارَّين بدِينهما إلى مصر . إلى جانب كبار رجال الاستشراق ، الذين وفدوا على مصر ؛ للإفادة من مكتباتها ، أو للتدريس فى الجامعة المصرية ، من أمثال جويدى ونللينو ، الأيطاليين ، وماسينيون الفرنسى ، وبراجستراسر الألمانى ، وجولدزيهر المجرى . وصلة المُفَكِّر بالناشر ، مما يزكو به العلم ويحيا .

وهذه الطبقة من الناشرين تأثَّرت بتلك الروح التى سرت فى مطبعة بولاق ، من نشر الأصول والأمهات ، مع العناية بدقّة التصحيح ، وأمانة الأداء ، وإن كانت قد تخلّصت من الشكل الطباعىّ القديم ، المتمثل فى طبع الكتب بهامش الكتاب الأصلىّ .

وأهم ما يميّز منشورات هذه الطبقة الحرصُ على ذكر مخطوطات الكتاب ، ووصْفِها ؛ إلاَّ أنها لم تُعْنَ بالفهارس الفنّية لما تنشره ، إلاّ ما تراه من بعض مطبوعات الخانجى ، ومحب الدين الخطيب [1] .

وإليك كلمة موجزة ، عن هؤلاء الأربعة العظام :

محمد أمين بن عبد العزيز الخانجى

ولد فى حلب سنة ١٢٨٢ هـ = ١٨٦٥ م وتعلم بها ، ثم عمل كاتباً فى ديوان ولايتها ، واشتغل فى صباه بنْسَخ المخطوطات ، فأحبَّها وأُولِع بها . وانتقل إلى القاهرة ، وهو فى العشرين من عمره ، فأنشأ فيها « مكتبة الخانجى » ، وزار العراق والآستانة ، باحثاً عن نوادر المخطوطات ، فجمع منها كتباً ذواتِ عدد ، نشر منها ما نشر ، وأتاح كثيراً منها لمحبِّى العلم . توفى رحمه الله بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م .

يقول عنه شيخى محمود محمد شاكر : « عرفته فى أول أيامى ، طالبًا للعلم ، كان رجلا براً ، نبيل النفس ، فوجدت من عطفه وكرمه ، ومن تأييده وحثّه ، ما أعاننى على أن أتزوَّد من العلم ما شاء الله أن أتزوّد ، لم يكن عالما ، ولكنه كان يجمع للعلماء أصول علمهم ، وينشرها بين أيديهم ، ويغريهم بالحرص عليها ، فقلَّ أن تجدَ عالماً أو أديباً فى زمنه ، لم يكن لهذا الرجل النحيف الضئيل الخافت فضلٌ عليه ، يذكره الذاكر محسناً فى ذكره ،

---

(١) ومن ذلك كتاب جواهر الألفاظ ، لقدامة بن جعفر ، الذى نشره الخانجى ، سنة ١٣٥٠ هـ بتحقيق الشيخ الجليل محمد محيى الدين عبد الحميد ، الذى صنع له فهرساً نافعا للألفاظ ، استغرق ستاً وثلاثين صفحة . وكتاب الميسر والقداح ، لابن قتيبة ، الذى نشره الشيخ محب الدين الخطيب سنة ١٣٤٢ هـ ، وصنع له فهارس جامعة .

وينساه الناس مسيئاً فى نسيانه . ذلك هو أمين الخانجى ، الكتبى الذى أحبّ الكتاب العربىَّ ، كأنه تراث أبيه وأمه » [١] .

ويقول شيخى عبد السلام هارون : « وقد رأيت هذا الرجلَ فى صِباى ، وعرفت فيه الإخلاص للعلم وحده ، إذ لم يكن المال عنده إلاَّ فى المرتبة الثانية ، كما لمست فيه الإخلاص فى نشر التراث العربى ، لا يكاد يعترف بغيره » [٢] .

وقد نشر محمد أمين الخانجى ، رحمه الله (٣٧٨) كتاباً ورسالة ، على ما ذكر الأستاذ خير الدين الزركلى ، رحمه الله [٣] . أذكر من نفائسها ، على سبيل المثال : تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى ، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبى نعيم الأصبهانى ، ومعجم البلدان ، لياقوت الحموى الرومى ، مع ذيله المسمَّى : منجم العمران فى المستدرك على معجم البلدان ، وغاية النهاية ، المعروف بطبقات القراء ، لابن الجزرى ، وجواهر الألفاظ ، لقدامة بن جعفر ، واللزوميات ، لأبى العلاء المعرّى ، وبدائع الصنائع ، للكاسانى ، والإصابة فى تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلانى ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول ، لابن الديبع الشيبانى ، الذى قدمت خبره ، فى الحديث عن مطبعة الجمالية . كما نشر طبعة مختصرة من كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة [٤] .

---

(٢) مقدمة تحقيق طبقات فحول الشعراء ص ٩

(٢) التراث العربى ص ٥٦

(٣) الأعلام ٦/٤٤

(٤) نشره عام ١٣٢٢ هـ = ١٩٠٤ م ، مع تعليقات للسيد محمد بدر الدين النعسانى ، الآتى ذكره قريبا .

وكان محمد أمين الخانجى من أسبق الناشرين إلى إذاعة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، ولم يكن يدفعه إلى ذلك إلاّ إيمانه بإمامة هذا العالم الجليل ، وجهاده فى سبيل الحق ، وتصحيح العقيدة ، ومما نشره من تراث شيخ الإسلام : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم . نشره عام ١٣٢٥ هـ . ويقول الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله : « وكان للسيد الأمين الخانجى فضلٌ عظيم فى نشر كتب شيخ الإسلام ؛ لما كان يعرف لمؤلفها من الإمامة والهدى ، والإخلاص والتوفيق ، ولما يعرف أن الناس بحاجة إلى ما فيها ، من الخير والعلم النافع ، والهدى الصادق » [١] .

ومن أعلام المصحِّحين الذين استعان بهم السيد محمد أمين الخانجى فى نشر كتبه : الشيخ بدر الدين النعسانى ، وهو محمد بن مصطفى بن رسلان النعسانى الحلبى ، وهو أديب شاعر ، ولد فى حلب سنة ١٢٩٨ هـ ، وتوفى سنة ١٣٦٢ هـ ، وقد نزل مصر ، وأقام فى الأزهر ثمانى سنين (١٣١٠ هـ ــ ١٣١٨ هـ) [٢] واشتغل بتصحيح الكتب ، إلى تآليف أخرى ، منها شرح شواهد المفصل ، وصحح بعضاً من مطبوعات الخانجى ، كما ساعده فى تأليف منجم العمران ، وهو المستدرك على معجم البلدان . ومن أعمال السيد بدر الدين النعسانى الجيدة تعليقاته على شرح المفصل ، لابن يعيش ، الذى نشره الشيخ محمد منير الدمشقى ومن أقدم النصوص التى نشرها الخانجى : كتاب الصناعتين ، لأبى هلال العسكرى نشره بالآستانة عام ١٣٢٠ هـ . وفى صفحة الغلاف إشارة إلى

---

(١) مقدمة الشيخ محمد حامد الفقى لطبعته من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٦ ــ مطبعة السنة المحمدية ــ الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م

(٢) انظر ترجمته فى الأعلام ١٠٢/٧

أنه قام بتصحيح الكتاب بنفسه ، ومقابلته على بعض النُّسَخ المخطوطة ، كما أشار إلى أنه قد صنف كتاباً حولَ أعلام الكتاب سماه : « كتاب الصياغتين فى أعلام رجال الصناعتين » ولا أعلم شيئا عن هذا الكتاب وقد سألت حفيده الأخ محمد أمين ، فذكر أنه لا يعرف عنه شيئاً أيضا .

وبعد وفاته رحمه الله ، قام مقامه ولده الأستاذ محمد نجيب الخانجى ، وقد ورث عن أبيه حبَّ التراث ، وإحياءَه . ومن منشوراته مما حققه شيخنا عبد السلام هارون : البيان والتبيين ، للجاحظ ، والاشتقاق ، لابن دريد ، ورسائل الجاحظ ، ونوادر المخطوطات ، ومعجم شواهد العربية ، وطبقات الصوفية ، للسُّلَمى ، والإحاطة فى أخبار غرناطة ، للسان الدين بن الخطيب ، وطبقات الأولياء ، لابن الملقّن .

وبعد وفاته رحمه الله ، منذ أربعة أعوام ، تولى أمر المكتبة ولدُه الأخ الصديق الأستاذ محمد أمين الخانجى ، وقد تسمَّى باسم جدِّه ، وهذا الصديق العزيز مدعوٌّ إلى أن يحافظ على هذا الإرث العظيم ، وأن يصونه كما يصون كِرامُ الأبناء ودائعَ الآباء ، وهو مرجوٌّ لخيرٍ كثير ، إن شاء الله ، وكان من توفيق الله إيّاه أن يبدأ نشاطه بعد وفاة والده ، باستكمال طبع كتاب عظيم ، من كتب التراث ، هو : خزانة الأدب للبغدادى ، بتحقيق شيخنا عبد السلام هارون ، والذى وقفت به الهيئة العامة للكتاب عند تمام الجزء السابع ، وقد تمّ الكتاب بطبع الجزء الحادى عشر ، وما بقى إلاَّ فهارسه ، سهَّل الله إتمامها .

* * *

محبّ الدين الخطيب

ولد فى دمشق سنة ١٣٠٣ هـ = ١٨٨٦ م ، وتعلَّم بها ، وبالآستانة . وهو من كبار الكتاب المسلمين والمجاهدين . تقلّبت به الدنيا وصروفُ الأيام ، إلى أن استقرّ فى القاهرة سنة ١٩٢٠ م ، وعمل محررا فى جريدة الأهرام ، وأصدر مجلتيه الزهراء والفتح ، وكان من أوائل مؤسِّسى جمعية الشبّان المسلمين بالقاهرة ، وتولى تحرير مجلة الأزهر ستّ سنوات ، وألّف عدداً من الكتب ، منها « الحديقة » وهى مجموعة كبيرة ، فى أجزاء صغيرة ، صدر منها ثلاثة عشر جزءا ، وضمّت خزانة كتبه نحو عشرين ألف مجلد مطبوع ، تغلب فيها النوادر . توفى سنة ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م [1] .

وقد أنشأ المطبعة السلفيّة ومكتبتها ، بالقاهرة ، سنة ١٩٢٠ م ، بمشاركة عبد الفتاح قتلان ، ثم استقلّ بها .

وكانت المكتبة السلفية منارة علم كبيرة ، صدر عنها كثير من كتب التراث ، منها : الأدب المفرد ، للبخارى ، وعلل الحديث ، لابن أبى حاتم الرازى ، والميسر والقداح ، وأدب الكاتب ، كلاهما لابن قتيبة ، وقد شارك فى تصحيح أدب الكاتب شيخاى الجليلان محمود محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، وكان ذلك سنة ١٣٤٦ هـ ، وأيمان العرب فى الجاهلية للنجيرمى ، وكتاب الملاحن ، لابن دريد . كما صدر عن المكتبة السلفية الثلث الأول من خزانة الأدب للبغدادى ، وظهر هذا الثلث فى أربعة أجزاء ،

---

(١) الأعلام ٥/٢٨٢ . والشيخ محب الدين رحمه الله ، هو خال الكاتب الأديب الواسع الاطلاع الشيخ على الطنطاوى ، أطال الله عمره .

بتحقيق شيخى عبد السلام هارون ــ وكان يومئذ طالبا فى دار العلوم ، وإضافة تعليقات لأحمد تيمور باشا والعلامة عبد العزيز الميمنى الراجكوتى .

ومن أوسع ما نشر محب الدين الخطيب ، كتاب فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلانى ، الذى طبع من قبل بمطبعة بولاق . وصدرت هذه الطبعة السلفيّة بمقدمة لسماحة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز ، فى شهر شعبان سنة ١٣٧٩ هـ ، وذكر ــ تقبّل الله منه صالح عمله ــ أنه قابل المجلد الأول على الطبعة الأميرية وعلى نسختين خطيّتين . ثم علّق على ما وجده من أخطاء للشارح ، لا يحسن السكوت عنها .

وتمتاز هذه الطبعة بعمل نافع جليل ، قام به الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى ، رضى الله عنه ، وهو ترقيم الكتب والأبواب والأحاديث ، واستقصاء الأطراف ، وذكر أرقامها فى كل حديث .

وبعد وفاة الشيخ محب الدين ، أجزل الله له المثوبة ، انْتَدَبَ ولدُه الأستاذ قصىّ لإعادة طبع ما نشره والدُه .

* * *

محمد منير الدمشقى ــ وعُرِف بالشيخ منير الدمشقى الأزهرى .

وهو دمشقى . تفقّه فى الأزهر الشريف ، سلفياً ، وأصبح من علمائه .

أنشأ دار الطباعة المنيرية بالقاهرة ، سنة ١٣٣٧ هـ ، ونشر بها كثيراً من المصنَّفات القديمة والحديثة . ومن تصانيفه هو : نموذج من الأعمال الخيرية فى إدارة الطباعة المنيرية . وإرشاد الراغبين فى الكشف عن آى القرآن المبين .

وللشيخ منير الدمشقى فضلٌ مذكور فى نشر موسوعات التراث :
منها عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى ، لبدر الدين العينى ، والمحلّى ، لابن حزم ، والمجموع فى شرح المهذب ، للنووى ، وشرح المفصل ، لابن يعيش ، والكامل فى التاريخ ، لعز الدين بن الأثير ، وتهذيب الأسماء واللغات ، للنووى . وروح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى . لشهاب الدين الآلوسى ، ونيل الأوطار ، للشوكانى ، وبدائع الفوائد ، لابن قيم الجوزية .

وكان ، رحمه الله ، يتأنَّق فى طبع الكتب ، ويختار لها الورق الناعم المصقول .

توفى بالقاهرة سنة ١٣٧٦ هـ = ١٩٤٨ م [١] وبموته ماتت مكتبتُه ، ولم يخْلُفه أحدٌ من أولاده فى إدارة المطبعة ، غير أنى رأيت له ولداً ، يشبه أن يكون معتوها ، عرفته منذ نحو عشر سنوات ، يتجوَّل بين مكتبات ومطابع الأزهر ، يحمل الكتب بين هذه وتلك ، ويعرف له أصحابُ هذه المكتبات سابقةَ والده وجهادَه فى نشر التراث ، فيصلونه ببعض أنواع البِرّ .

* * *

حسام الدين القدسى

وهذا رجل من أصحاب الهمم العالية ، جاهد فى نشر التراث جهادَ الأبطال . ومِن دُكَّانٍ له صغير ، خلف محكمة الاستئناف ، بحىّ باب الخلق ، بالقاهرة ، خرجت نفائسُ وروائعُ من التراث ، معظمها من الموسوعات .

ومن تاريخ هذا الرجل ، أنه ولد بمدينة دمشق عام ١٣٢١ هـ = ١٩٠٣ م

---

(١) الأعلام ٣١٠/٧ ، ولم يعرف له الزركلى تاريخ مولد ، ولم أعرفه أنا أيضا . وتاريخ الوفاة هذا ، حكاه الزركلى عن الأستاذ الدكتور شكرى فيصل .

وأنه كان يحمل إجازة الليسانس من جامعة دمشق عام ١٩٢٧م [١] ثم بدأ نشاطه هناك بنشر بعض الكتب ، منها : تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى ، للحافظ ابن عساكر ، نشره سنة ١٣٤٧ هـ ، وذيول تذكرة الحفاظ للذهبى ، من تأليف الحسينى ، وابن فهد ، والسيوطى ، وقد نشره فى السنة نفسها ، والمبهج فى تفسير أسماء شعراء الحماسة ، لابن جنى ، سنة ١٣٤٨ هـ ، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، لشمس الدين السخاوى ، سنة ١٣٤٩ هـ .

ثم نزل القاهرة ، وأخذ يواصل فيها نشاطه . ومن عجيب أمره أنه كان ينسخ الكتاب بقلمه ، ثم يجمع حروفه الطباعيّة بيده ، ويدفع به إلى المطبعة ، ويتولى تصحيحه بنفسه .

ومما نشر بالقاهرة : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلى (ثمانية أجزاء) سنة ١٣٥٠ هـ ، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، لشمس الدين السخاوى (اثنا عشر جزءاً) سنة ١٣٥٣ هـ ، واللباب فى تهذيب الأنساب ، لعز الدين بن الأثير (ثلاثة أجزاء) سنة ١٣٥٦ هـ ، وعيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسِّير ، لابن سيد الناس اليعمرى . (جزءان) فى السنة نفسها .

ومما نشره وغاب عنى تاريخُ طبعه ، لبعدى عن مكتبتى فى القاهرة : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين الهيثمى (عشرة أجزاء) ، فتاوى تقى الدين السبكى (جزءان) ، ديوان المعانى (جزءان) ، الفروق اللغوية ، كلاهما لأبى هلال العسكرى ، كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، للقاضى العجلونى (جزءان) . معجم

---

(١) انظر ما كتبه عنه صديقه الورّاق ، الشيخ زكى محمد مجاهد ، رحمه الله ، فى كتابه : الأخبار التاريخية فى السيرة الزكية ص ٨٦ ــ القاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م

الشعراء ، للمرزبانى ، ومعه المؤتلف والمختلف ، للآمدى ، المسائل والأجوبة ،والاختلاف فى اللفظ ، كلاهما لابن قتيبة ، التطفيل و أخبار الطفيليين وأشعارهم ، للخطيب البغدادى ، وشرح أدب الكاتب ، للجواليقى ، والكشف عن مساوئ المتنبى ، للصاحب ابن عبَّاد ، ومعه ذم الخطأ فى الشعر ، لابن فارس ، وديوان السَّرِىّ الرفَّاء . ومنجد المقرئين ، لابن الجزرى ، وجنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين ، للمحبى . وله غير ذلك كثير .

وكان الشيخ حسام الدين ، رحمه الله ، قد طبع منذ زمن ، خمسة أجزاء من كتاب تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام ، للحافظ الذهبى ، ثم توقَّف ، إذ كان مثل هذا العمل الضخم يحتاج إلى مالٍ وجهد ، قصرت يدُ الشيخ عنهما ، وقد سعى ، فى أواخر أيامه لاستكمال طبعه ، بعد أن أخذ وعداً من شيخ الأزهر ، الشيخ عبد الحليم محمود ، بعونه ومساعدته ، وطبع شيئا من أول الكتاب ، ولكن المنيّة أعجلت الرجلين معاً ، رحمهما الله .

وكانت للشيخ حسام الدين ، علاقاتٌ وثيقة بعلماء وأدباء العصر ؛ وبخاصة أحمد تيمور باشا ، ومصطفى صادق الرافعى ــ الذى قدَّم له شرح أدب الكاتب ، للجواليقى ، وخير الدين الزركلى . ثم كان من ألصق الناس بالشيخ محمد زاهد الكوثرى .

وكان رحمه الله ، يتردَّد علىَّ كثيرا ، فى معهد المخطوطات ، حين صحَّ عزمه على استكمال طبع تاريخ الإسلام ، للذهبى . وكان فى كل زيارة يحرص على أن يحكى لى شيئا ، عن ذكرياته فى نشر الكتب ، وعن طرائف ما يقع عليه فى الكتب ، من تحريف أو تصحيف ، أو سقط ، ثم كان يسوؤه كثيراً ، أن يتناول أحدُهم شيئاً من منشوراته بالنقد أو التعقيب ، ويقول :

إن الناس لا يعلمون ما عانيته وكابدته فى نشر الكتب ، ويعيد ما ذكره لى كثيرا ، من أنه كان ينسخ ويجمع ويصحّح وحده ، دون مُعِين أو شريك .

ومن نوادر ما حكاه لى : أن أديب العربية الكبير ، مصطفى صادق الرافعى ، زاره يوماً فى مكتبته الصغيرة بباب الخلق ، وقال له : أريد أن أتغدّى غداء أزهريا ــ يعنى الفول والطعميّة ــ هكذا قال . يقول الشيخ حسام الدين : « فأحضرت له ما طلب ، وبعد الغداء سألته : ترى من يخلفك فى الكتابة ؟ فلم يقل لى : أحمد حسن الزيات ، ولا صادق عنبر [1] ، وإنما قال : محمود محمد شاكر » .

وجاءنى عقب وفاة الأستاذ خير الدين الزركلى ، رحمه الله ، فى ذى الحجة ١٣٩٦ هـ ، وقصَّ علىّ رؤيا ، مفادها أن الزركلى ممَّن رضى الله عنهم ورضوا عنه .

توفى رحمه الله ، منذ نحو ستّ سنوات ، بالقاهرة .

ومكتبته لا تزال مفتوحة ، وله أولادٌ يقومون عليها ، ويحاولون أن يستنقذوا جهدَ أبيهم من سطو تجار بيروت .

وخير ما أختم به هذه الكلمة الموجزة عن ذلك الرجل العظيم ، ما قاله شيخنا محمود محمد شاكر ، عنه ، قال حفظه الله : « كان فى الناس رجلٌ فاضل ، نشأ صغيراً بأرض الشام ، وشدا من العلم ما شدا ، وكان مجتهداً صبورا ، ثم كتب الله له أن يشتغل بطلب الرزق ، فطلبه فى تجارة

---

(١) أحمد حسن الزيات ، صاحب « الرسالة » معروف ، توفى سنة ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م . أما صادق عنبر ، فهو محمد صادق عنبر ، من أدباء مصر ، له مؤلفات ، تدور كلُّها حول الأدب . توفى سنة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٨ م . الأعلام ٦/١٦١

الكتب ، فظل يطبع إلى آخر حياته ، كتباً لم تنشر من قبل ، وهى من ذخائر الكتب العربية ، استفاد منها كلُّ طالب علم ، فى أرض اللسان العربىّ ، أو فى غير أرضه ، وأسدى إلى كلّ عالِمٍ معروفاً لا يُنْسَى » (١) .

* * *

وممَّن يتصل بهذه الطبقة من الناشرين النابهين المجاهدين ، وإن كان يقلُّ درجةً من حيث الاهتمامُ بجمع مخطوطات الكتاب المراد نشره : شيخان فاضلان ، وعالمان جليلان ، هما الشيخ محمد حامد الفقى ، والشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

أما الشيخ محمد حامد الفقى ، فكان رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ، وحامل لواء السلفيّة بمصر ، وكان من أشدّ الناس ذكاءً وفطنة ، وهو صاحب معارك وصولات ، وقد كان بينه وبين العلامة الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر ، ما يكون بين الأقران والمتعاصرين .

وقد أنشأ الشيخ الفقى مطبعة السنة المحمدية ، ونشر فيها كثيراً من تصانيفه ، ثم نشر فيها أيضا كثيراً من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن قيم الجوزيّة ، وكتب الحنابلة ، وطبقات رجالها ، وقد لقى عوناً ظاهراً من حكومة المملكة العربية السعودية ، ومن رجالاتها البارزين ، وعلمائها الأفاضل ، من أمثال الشيخ سليمان الصنيع ، والشيخ محمد نصيف ، والشيخ محمد سرور الصبان ، رحمهم الله .

---

(١) برنامج طبقات فحول الشعراء ص ١١٨ ، وقد ذكر شيخى كلاماً عالياً نفيساً ، بعد ذلك ، فى المقارنة بين طبعة الشيخ حسام الدين القدسى ، لكتاب « الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ » لشمس الدين السخاوى ، وبين طبعة الكتاب التى قام عليها المستشرق فرانز روزنتال . ولولا ما أخذت به نفسى من الوجازة والاختصار ، لنقلت ذلك الكلام كلَّه ، فهو إلى النفاسة ما هو ! على عادة شيخى فى جميع ما يكتب .

ومن الموسوعات التى نشرها الشيخ الفقى ، كتاب جامع الأصول من أحاديث الرسول . ﷺ . لمجد الدين بن الأثير ، نشره بمشاركة الشيخ عبد المجيد سليم ، شيخ الأزهر ، سنة ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م (اثنا عشر جزءا) [١] .

وشرع قبيل وفاته ، فى نشر كتاب العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، لتقى الدين الفاسى ، على نفقة الشيخ محمد سرور الصبّان ، فأصدر منه الجزء الأول ، ثم انتقل إلى رحمة ربه ، فأتمه من بعده الأستاذ فؤاد سيد ، رحمه الله ، ولكنه توفى بعد تمام الجزء السابع ، وبقى الجزء الأخير ، فكان لى شرفُ تحقيقه ، بإشارة أخى الكريم الأستاذ أحمد بن محمد بن مانع ، سنة ١٣٨٨ ه = ١٩٦٩ م .

وكانت وفاته رحمه الله سنة ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م [٢]

ومطبعة السنة المحمدية لا تزال قائمةً بأرض شريف بين شارع محمد على وشارع عبد العزيز ، ويقوم عليها أحفادُه ــ بعد وفاة ولده محمد الطيب ــ ولكن ليست لهم عنايةٌ بكتب التراث .

وأما الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، فهو صفحة حافلة من تاريخ نشر التراث العربى . قدّم وحده للمكتبة العربية ما لم تقدمه هيئة علمية ، مدعومةٌ بالمال والرجال .

---

(١) وهى طبعة ناقصة ، أتمُّ منها وأصح ، طبعة دمشق ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م ، بتحقيق الأستاذ عبد القادر الأرناءوط ، وإن كانت هذه الطبعة أيضا قد أخلّت بشئ من آخر الكتاب .

(٢) أفادنى هذا التاريخ أخى الأستاذ الدكتور السيد رزق الطويل ، زميلى بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى . وهو من تلاميذ الشيخ الفقى ، ورئيس جماعة دعوة الحق بمصر .

وقد تعرّض هذا العالمُ الجليل ، فى حياته وبعد مماته لسَيْلٍ طاغٍ من التنقُّص والحَيْف . وقد آن الأوان لكى يوضع هذا الرجل فى موضعه الصحيح ، وأن تُعرف يدُه السابغة الكريمة ، على أهل هذا اللسان العربىّ ، وعلى غير أهله ، ممّن عمل فى رحابه ، واشتغل بعلومه .

ولقد كان من أشدِّ ما رُمى به الشيخ ، فى ميدان تحقيق النصوص : أنه أعاد طبعاتٍ سابقةً عليه ، مما أخرجته مطبعة بولاق ، ومطابع أوربا ، وأنه لم يعبأ بجمع مخطوطات الكتاب الذى ينشره ، وأنه لم يُعْنَ بصنع الفهارس الفنية الجامعة لمسائل الكتاب المنشور .

وهذا حقٌّ كلُّه ، وإنّا نعرف أن الإخلالَ بجمع مخطوطات الكتاب ، وفهرسته فهرسة كاملة ، لا يُقْبَل فى علم تحقيق النصوص ، ولكنّ هذا الإخلالَ لا ينبغى أن يطمسَ تاريخ الرجال ، ويمحوَه محوا . ثم إنه ينبغى أن توضع جهود الشيخ محيى الدين فى إطار هذه المرحلة الثانية ، التى قامت على جهود الأفراد ، والتى كانت تُعْنَى بنشر أكبر عدد متاح من الكتب ، مستخدمةً الشكل الطباعىّ الحديث ، من الورق الأبيض ، والعناية بالضبط ، وعلامات الترقيم .

على أنّ جمْعَ النسخِ المخطوطة للكتاب وفهرستَه فهرسةً فنية ــ مع الإقرار بأهمّيتهما وضرورتهما ــ ليسا هما وحدَهما تحقيق النصوص ؛ فإنّا نرى فى هذه الأيام مِن المحقِّقين من يحشد خمس نُسَخ للكتاب ، أو ستاً ، ويشغل حيِّزا كبيرا من حواشى الكتاب ، بما دَقَّ وجلَّ ، من فروق هذه النُّسَخ ، ثم يلتوى عليه النصُّ فى بعض المواضع ، ويخفى عليه مكانُ الصواب منه ، فلا يُحِسُّ ذلك ولا يفطن له ، ويترك قارئه يتخبّط فى رموز النُّسَخ ، وفروقها الناجمة عن جهل النُّسَّاخ أو غفلتهم ، ثم إنا نرى أيضا من

يزهو بكثرة فهارسه ، فيضع فى فهرس الأيام : « يوم الجمعة ، ويوم عيد الفطر » ، مع أن المراد بفهرس الأيام : أيام العرب ، أى الوقائع والحروب .

ولقد كان الشيخ محيى الدين ، رحمه الله ، واضحاً صريحاً ، مع نفسه ، ومع الناس ، حين أبان عن خطّته فى نشر الكتب ، وكشف عن غايته التى تغيَّاها فى ذلك ، وهى تلك الخطة التى تقوم على اختيار الحرف الطباعىّ الكبير ، وضبط النصّ ضبطا صحيحا ، لا يبقى معه لبسٌ أو اشتباه ، وإضاءته بالشروح اللغوية التى تنفى عنه الجهالةَ أو الغموض ، مع العناية بعلامات الترقيم ، وأوائل الفقرات ، وعدم تداخل أجزاء الكلام ، كل ذلك فى ثوبٍ زاهٍ قشيب ، من الورق الأبيض الناعم المصقول . وقد أبان الشيخ ، رحمه الله ، عن ذلك ، فى كثير من مطبوعاته ، فيقول فى مقدمة كتاب « العمدة » لابن رشيق ، الذى نشره عام ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م ، فى معرض حديثه عن الطبعات السابقة للكتاب :

« فإن التصحيف والتحريف ليفشُوان فيها ، وإنَّ نظامَ وضعِها ، وتلاحُقَ مباحثِ الكتاب ــ مع تشعُّبها وكثرةِ فنونها ــ لَيباعدُ بينك وبين الإفادة منه . وهذه العيوبُ فاشية فى مطبوعاتنا العربية ، وقلّما يخلو منها ــ مع الأسف الذى يقطّع نياطَ قلوبنا ــ كتابٌ من كتب هذه اللغة المسكينة ، وبخاصة كتب أسلافنا المتقدِّمين . وليس من علةٍ لانصراف الناشئة العربية ــ فيما نعتقد ــ عن هذا التراث الثمين ، إلاّ هذا التشويه الغريب الذى يُظهر الناشرون عليه كتب آبائنا .... ونحن نعتقد عقيدة لا تداخلنا فيها خلجةُ شك ، أن الحرف الصغير ، والورق الأصفر ، وحِرصَ التجار على ظهور الكتاب فى أقرب وقت ، وفى أقلّ ما يمكن من عدد الصفحات ، كل أولئك أكبر الفوارق بين الكتب العصريّة ، الشيّقة

الأسلوب ، المتسلّطة على قلوب النَّشء ، وبين كتب العصر القديم » . ثم يقول : « وقد خلق الله فى نفسى حبَّ السَّلَف ، والتفانىَ فى الدفاع عن علومهم وأفكارهم ، والحرصَ على إذاعة فضلهم ، وعظيم مِنتّهم علينا ، وعلى من يأتى بعدُ من الأجيال المتلاحقة » .

ويقول فى مقدمة تحقيق كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان ، الذى نشره عام ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م ، مشيراً إلى الطبعة التى كان قد بدأ طبعها الأستاذ أحمد يوسف نجاتى ، ولم يتمها . يقول الشيخ رحمه الله :

« وعندى أن التوفرّ على الدقّة فى تحقيق النصّ الأصلى للكتاب ، وإخراجه فى ثوب أنيق ، يوافق رغباتِ هذا العصر ، خيرٌ من التطويل بالحواشى التى قد تطوِّح بالمحقّق والقارىء فى بيداوات المُنْبَتّ الذى لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى » .

على أن الشيخ محيى الدين ، رحمه الله ، لم يُغفل شأن المخطوطات بمرَّة ، فقد رجع فى بعض ما نشر إلى أصول مخطوطة جيدة ، كما ترى فى كتاب « جواهر الألفاظ » لقدامة بن جعفر ، الذى نشره لحساب السيد محمد أمين الخانجى ، وغير ذلك ، كما أنه لم يهمل الفهارس بمرة ، فقد صنع فهرساً جامعاً لألفاظ كتاب « جواهر الألفاظ » المذكور ، وفهْرَسَ شواهد كتب النحو والبلاغة التى أخرجها ، وشواهد شرح الحماسة [١] للتبريزى ، منسوقةً على حروف الهجاء . كما أنه صنع فهارس جيدة لكتاب وفيات الأعيان ، شملت :

---

(١) وهذا الكتاب مِن آنَقِ ما أخرج الشيخ ، ولا يكاد يضاهيه فى جمال إخراجه إلاَّ مطبوعات دار الكتب المصرية .

فهرس أعلام الكتاب ـــ أى التراجم ـــ بإحالاتها [١] ، فهرس الطبقات الزمنية : علماء كل قرنٍ على حِدة . فهرس الطبقات العلميّة : الخلفاء والوزراء ، القضاة ، وسائر علماء كل فنٍّ وعِلم . فهرس الألفاظ التى نصّ ابن خلكان على ضبطها ، أو شرح معناها ، وسماه : « فهرس التقييدات » ، وهذا من أنفع الفهارس ، لأنّ لابن خلكان كَلَفاً وعنايةً بضبط الأعلام والأنساب والبلدان ، يذكره فى آخر الترجمة ، وقد أطلعنى شيخى الجليل عبد السلام هارون ، أطال الله فى الخير بقاءه ، على كرَّاسة قديمة عنده ، سجَّل فيها هذه الفوائد والتقييدات التى نثرها ابن خلكان فى كتابه . وهو الذى أشار على الشيخ محيى الدين بصنع ذلك الفهرس . لكن الشيخ ، رحمه الله ، لم يلتزم ذلك فى كل مطبوعاته ، وقد حدثنى الأستاذ فؤاد سيد ، عالم المخطوطات بدار الكتب المصرية ، رحمه الله ، قال : « سألت ذات يوم الشيخ محيى الدين عبد الحميد : لماذا لا تهتم بفهرسة ما تنشر يا مولانا ؟ فأجاب : أَمِن أجلِ خمسة عشر مستشرقا أضيع وقتاً هو أولى بأن يصرف إلى تحقيق كتاب جديد ؟ » ، أو كما قال .

ومن ذلك وجد الطاعنون سبيلاً إلى الشيخ ، للتنقُّص من عمله ، وكأنما أحسَّ هو ذلك ، فقال فى مقدمة جواهر الألفاظ ، الذى نشره سنة ١٣٥٠ هـ = ١٩٣٢ م :

« وعَسَيْتَ أن تغمطنى حقِّى ، وتجحدَ ما أسلفتُ لك من اليد ، فى إخراج هذا الكتاب ، وتقول : وماذا صنعتَ ؟ وفيم أجهدتَ نفسَك ؟

---

(١) لكنه أهمل التراجم الضمنيّة ، فقد جرى ابن خلكان أحيانا على أن يترجم لبعض الأعلام عرضاً ، فى أثناء الترجمة الأصلية ، وترى ذلك فى فهارس الطبعة التى حققها الأستاذ الدكتور إحسان عباس . أحسن الله إليه .

ولكنك لو علمت أننى عرضت ألفاظ الكتاب على معاجم اللغة ، لفظاً لفظا ، لأثبتها لك صحيحةً موثوقاً بها ، وأننى ضبطت كلماتِه كلَّها ، ورتّبتُ أبوابه ، وجعلت لكلّ بابٍ منها اسماً يجمع شملَه ، وعنواناً يدلُّ عليه ، لأدركت مقدارَ الذى بذلته من الجَهْد ، ولم تستكثر علىَّ أن أطالبك بكفاء هذه الصنيعة من الشكر » .

ومهما اختلف الناسُ فى أمر هذا الرجل ، وتقدير جهوده فى نشر التراث ؛ فلا أظن أن أحداً يُمارى فى أنّ هذا الجيلَ كلَّه ، الذى تعلَّم النحوَ وعلَّمه ، فى شرق الدنيا وغربها ، مدينٌ للشيخ محيى الدين بدينٍ كبير ، يجب أداؤه : شكراً ، ودعاءً له بالمغفرة والرضوان ، فقد غَبَر زمان ، وأتى زمان ، وليس بين أيدى طلبة العلم من كتب النحو ، إلاّ ما أخرجه الشيخ ، محرَّراً مضبوطا ، فى أجمل صورة وأبهاها . وإن كثيراً من المُعْربين الذين يتقنون إعراب الشواهد وتوجيهها ، إنما أفادوا من إعراب ألفية ابن مالك ، وإعراب الشواهد ، اللذين نثرهما الشيخ ، فى حواشى ابن عقيل ، وأوضح المسالك ، وقطر الندى ، وشذور الذهب . ودَعْ عنك ما يقال من أنه أغار على إعراب فلان ، أو سلخ توجيه فلان من الأقدمين ، فقد قرأنا هذا وذاك ، ووجدنا فضل الشيخ ظاهراً ، وجهدَه واضحاً ، فى ذكر الراجح من الآراء والمرجوح ، والأخذ بيد القارئ إلى أرشد الأقوال وأصحِّها ، إلى ما أفاض فيه ، من نسبة الشواهد ، وشرح ما فيها من الغريب ، والتعريف بالشعراء ، وذكر سابق البيت أو لاحقه ، ممّا لا يظهر المعنى إلاَّ به ، كل أولئك بعبارة ، فيها من حُسنِ البيان ، وجمال الأداء ، ما يغرى بقراءتها والاستزادة منها ، بل إن بعض عبارات الشيخ ، رحمه الله ، قد صارت من المحفوظات المأثورات ، مثل قوله : « لم نقف لهذا الشاهد على نسبة إلى قائل معين » .

وقد رُزِقت مطبوعاتُ الشيخ النحويّة ، الحُظْوةَ والقبولَ ، والذُّيوعَ والانتشار ؛ لإخلاص النيّة فيها ، وسخاءِ الجهد المصروف إليها . وهذا كتاب « شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك » الذى أخرجه أول مرَّة ، سنة ١٣٥٠ هـ ، يطبع الطبعة الخامسة عشرة سنة ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م . وقد أراد بعضهم مزاحمة الشيخ فنشر طبعةً من هذا الشرح ، بتحقيق جديد ، يحمل اسمه ، ولكن هذه الطبعة ماتت فى مهدها ، ولم يكد الناس يسمعون عنها شيئا . فصارت هذه وتلك كالذى قاله النابغة :

بأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ   إذا طلعتْ لم يبدُ منهنّ كوكبُ

وقبل أن أذكر لك بعض الكتب ، التى قام الشيخ بتحقيقها ونشرها ، أحبّ أن أعلمك ، أنه ولد سنة ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م ، بقرية كفر الحمام ، بمحافظة الشرقية ، وتلقى تعليمه بمدينة دمياط ، ثم التحق بالقسم العالى بالأزهر الشريف ، وحصل على شهادة العالمية النظامية سنة ١٩٢٥ م . ودرَّس بالقسم الثانوى بالأزهر ، ودرَّس بالسودان أيضا ، ثم كان أستاذا بكلية اللغة العربية ، فعميداً لها ، وفى أثناء عمادته لكلية اللغة العربية ، سَنَّ سُنّةً حسنة ، حيث زوَّد طلاّب الكلية بطائفة من أمهات كتب التراث ، تكون ملكاً خاصاً لهم ، منها : الكامل للمبرد ، وأمالى أبى على القالى ، ومجمع الأمثال ، للميدانى ، والكشاف للزمخشرى . وانتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، سنة ١٩٦٤ م .

توفى ، رحمة الله عليه ، سنة ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م . وكان آيةً فى الذكاء والفطنة ، وحُسْن السَّمْت ، والغَيْرة على الأزهر ، وتاريخه ورجاله ، كما عُرف عنه القصدُ فى القول ، وصَوْنُ نفسهِ ، وضبطُ تصرفاته ، مما فسَّره بعضهم بأنه من باب الكِبرْ والعُجْب بالنفس .

ولم يُنصِفْه الزركلى ، رحمه الله ، حين ترجم له فى الأعلام ٧ / ٩٢ ، ترجمة موجزة ، قال فيها : « واشتهر بتصحيح المطبوعات (أو تحقيقها) فأشرف على طبع عشرات منها » . وهذه كلمة قليلة فى حق الشيخ محيى الدين ، لا تفى بعلمه وجهوده ، ثم إنها كلمة قد تلتقى مع الذين يهوِّنون من أثر الشيخ وجهوده . مع أن الزركلى رحمه الله من المؤرخين المنصفين ، العارفين للناس أقدارهم ، ثم إنه قد خالط علماء مصر زمناً ، أيام إقامته بالقاهرة [١] ، ثم هو أيضا أديب ناقد ، يعرف فرق ما بين الطبعات ، ويستطيع أن يميز الخبيث منها من الطيب .

وقد بدأ اهتمام الشيخ محيى الدين ، بنشر التراث مبكِّراً ، ومن أوائل ما نشر كتاب « شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى » الذى نشر طبعته الأولى عام ١٣٤٢ هـ وكان له من العمر حنيئذ أربع وعشرون سنة ، وشغل أوقاته كلَّها بنشر العلم ، وإذاعته .

وإليك ما يحضرنى من تحقيقاته ، أذكرها لا على سبيل الحصر والإحاطة ، فأنا إنما أكتب من الذاكرة ، لبعدى عن مكتبتى بالقاهرة . وبعض ما أذكر من الكتب ذوات الأجزاء مثل وفيات الأعيان المكون من ستة أجزاء ، ويتيمة الدهر ، والسيرة النبوية ، وشرح الحماسة ، من أربعة أجزاء :

١ ــ التحفة السنيّة فى شرح المقدمة الآجرومية .

---

(١) معلوم ان الزركلى طيّب الله ثراه ، قد أنشأ مطبعة بالقاهرة ، أواخر عام ١٩٢٣ م ، نشر فيها بعض كتبه ، وكتباً أخرى ، إلى أن باعها ، فى سنة ١٩٢٧ م ، ثم قضى بالقاهرة أعواماً ، مستشاراً للمفوضية العربية السعودية ، ووزيرا مفوضا ومندوباً دائما للمملكة العربية السعودية بمصر ، لدى جامعة الدول العربية ، من سنة ١٩٣٤ م إلى سنة ١٩٥٧ م . وله بمصر ، صِهْرٌ ورَحِم . وقد ظهرت الطبعة الأولى والثانية من كتابه العظيم (الأعلام) بالقاهرة .

٢ ــ شرح المقدمة الأزهرية ، للشيخ خالد الأزهرى .
٣ ــ شرح قطر الندى وبل الصدى ، لابن هشام المصرى .
٤ ــ شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، له أيضا .
٥ ــ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك .
٦ ــ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام المصرى (الشرح الوسيط فى ثلاثة أجزاء . والشرح الكبير فى أربعة أجزاء) .

وهذه الكتب الستة بهذا الترتيب كانت مقررات الدرس النحوىّ ، فى المرحلتين الابتدائية والثانوية ، بالأزهر الشريف ، إلى عهدٍ قريب ، أدركتُه وانتفعتُ به والحمد لله .

٧ ــ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام أيضا .
٨ ــ المفصل للزمخشرى .
٩ ــ الإنصاف فى مسائل الخلاف ، لأبى البركات الأنبارى .
١٠ ــ شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك (لم يتمه) .
١١ ــ خزانة الأدب ، للبغدادى (نشر منه الجزءين : الأول والثانى ، سنة ١٣٤٧ هـ ، وقد استوعبا المجلد الأول من طبعة بولاق) .
١٢ ــ شرح شافية ابن الحاجب ، للرضىّ الإستراباذى . بالاشتراك مع الشيخين الجليلين محمد نور الحسن [١] ، ومحمد الزفزاف .

---

(١) كان رحمه الله من فضلاء علماء السودان ، وقد عاش حياته كلَّها فى مصر ، ويذكر تلاميذه من علمه وفضله الشئ الكثير . وكان عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر ، وتولى وكالة وزارة الإرشاد فى أوائل الثورة المصرية ، وبعدها صار وكيلاً للأزهر ، يوم أن كان الشيخ محمود شلتوت شيخاً له . وكان بيته مجمعاً للعلماء والفضلاء .

أما الشيخ محمد الزفاف ، رحمه الله ، فكان من فضلاء العلماء الذين درَّسوا بدار العلوم ، وكان حسَنَ السمت وضيئا . وقد شارك أيضا فى تحقيق الجزء الأول من سر صناعة الإعراب ، لابن جنى .

١٣ ــ شرح شواهد الشافية ، للبغدادى ، مع الشيخين الفاضلين .
١٤ ــ مختصر المعانى ، لسعد الدين التفتازانى .
١٥ ــ معاهد التنصيص فى شرح شواهد التلخيص ، للعباسى .
١٦ ــ سنن أبى داود .
١٧ ــ الموازنة بين البحترى وأبى تمام ، للآمدى .
١٨ ــ العمدة ، لابن رشيق .
١٩ ــ المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير .
٢٠ ــ شرح المعلقات السبع ، للزُّوزَنى .
٢١ ــ شرح القصائد العشر ، للتبريزى .
٢٢ ــ شرح الحماسة ، للتبريزى .
٢٣ ــ أدب الكاتب ، لابن قتيبة .
٢٤ ــ مجمع الأمثال ، للميدانى .
٢٥ ــ المجمل فى اللغة ، لابن فارس (لم يتمه) .
٢٦ ــ ديوان عمر بن أبى ربيعة .
٢٧ ــ ديوان الشريف الرضىّ (لم يتمه) .
٢٨ ــ جواهر الألفاظ ، لقدامة بن جعفر .
٢٩ ــ شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى .
٣٠ ــ السيرة النبوية ، لابن هشام .
٣١ ــ مروج الذهب ، للمسعودى .
٣٢ ــ يتيمة الدهر ، لأبى منصور الثعالبى .
٣٣ ــ وفيات الأعيان ، لابن خلكان .
٣٤ ــ فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبى .
٣٥ ــ تاريخ الخلفاء ، للسيوطى .

٣٦ ـــ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، للسَّمْهودى .
٣٧ ـــ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقّرى .
٣٨ ـــ الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر بن طاهر البغدادى .
٣٩ ـــ المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد ، لمجير الدين العليمى (لم يتمه) .
٤٠ ـــ المُسَوَّدة فى أصول الفقه ، لآل تيمية .
٤١ ـــ الموافقات فى أصول الأحكام ، للشاطبى .

إلى غير ذلك ، ممّا لست أذكره ، من متون الفقه المقررة على طلبة الأزهر ، وغيرها .

أرأيت ؟ هذا جهاد الرجل ، وتلك جهوده ، فاذكُرْها وادْعُ لصاحبها ، ثم دَعْ عنك ما يقوله « رجلٌ شبعانُ مُتّكئٌ على أريكته » ؛ يقول لك : إن الشيخ محيى الدين رجلٌ جمّاع ! فقد قالوا من قبل : إن السُّيوطىّ جمَّاع ! وهذا منطق العجزة والخاملين ، وليتنا نجمع مثل ما جمعوا ، ثم لا تعبأ بقولهم : إن الشيخ محيى الدين ما فعل إلا أن نقل التراث من الورق الأصفر إلى الورق الأبيض ، ولئن صحَّ هذا ، فإنّ وراء ذلك النقل عالِماً جليلا ، خبيرا باللغة وأسرارها ، عليماً بالنحو وخفاياه .

رحم الله الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، رحمة سابغة واسعة ، وجزاه خير ما يُجْزى به مجاهدٌ عن دينه ولغته .

المرحلة الثالثة

وهى مرحلة النُّضج والكمال ، من حيث استكمالُ الأسباب العلميّة ، واصطناعُ الوسائل الفنّيّة ، المُعينة على إخراج التراث إخراجاً دقيقا ، يقوم على جمع نُسَخ الكتاب المخطوطة ، والمفاَضلة بينها ، ثم اتخاذ إحدى النُّسَخ أماًّ ، أو أصلا ، وإثبات فروق النُّسَخ الأخرى ، وما يتبع ذلك من إضاءة النصّ ببعض التعليقات والشروح ، وصنع الفهارس التحليليّة الكاشفة لكنوز الكتاب ، وما يسبق ذلك كلَّه من التقديم للكتاب ، وبيان مكانه فى المكتبة العربية ، وموضعِه من كتب الفنّ الذى يعالجه ؛ تأثّرا وتأثيرا ، ثم الترجمة لمؤلفه .

ونستطيع أن نسمّىَ هذه المرحلة : مرحلة دار الكتب المصرية . إذ كانت منشوراتها من كتب التراث تحمل كلَّ سمات ذلك المنهج العلمىّ الدقيق ، فى إخراج النصوص .

وبدءة ذى بدء ؛ فلا بُدَّ من الاعتراف بأنّ ذلك المنهج الذى أصَّلَتْه مدرسة دار الكتب المصرية للمحقّقين العرب ، قد تأثّر إلى حدٍّ مّا بمناهج المستشرقين الذين شغلوا بتراثنا ، ونشطوا لإذاعته ونشره ، منذ القرن الثامن عشر الميلادى ، أو قبله بقليل [(١)] .

وكان صاحب الفضل ، فى مَدِّ الجسور بين مصر وأوربّا ــ فيما يتصل بنشر التراث ــ أحمد زكى باشا ، الذى اتصل بعلماء الاستشراق ، و مثّل مصر فى مؤتمراتهم .

---

(١) سيأتى ــ إن شاء الله ــ حديث مفصَّل عن جهود المستشرقين ، فى نشر التراث العربى .

وهذا أحمد زكى باشا ، كان من كبار الكتّاب والخطباء فى مصر . وُلد بالأسكندرية ، عام ١٢٨٤ هـ = ١٨٦٧ م ، وتخرّج بمدرسة الإدارة والحقوق بالقاهرة ، وأتقن الفرنسية ، وكان يفهم الإنجليزية والإيطالية ، وله باللاتينيّة ، وقام بفكرة إحياء الكتب العربية . وكان رحمه الله وثيق الصلة بعلماء الاستشراق ، وأحكم صلته برجالات العرب فى جميع أقطارهم ، وكان محبًّا للعربية ، فتسمَّى بشيخ العروبة ، وسمىَّ داره بيت العروبة ، وجمع مكتبةً فى نحو عشرة آلاف كتاب ، ووقفها ، فنُقلت بعد وفاته إلى دار الكتب المصرية ، وسُمِّيت فيها : المكتبة الزكيّة ، ورُمز لها فى فهارس الدار ، بالحرف (ز) . توفى سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م . قال الأمير شكيب أرسلان ، فى وصفه : « كان يقظةً فى إغفاءة الشرق ، وهبّةً فى غفلة العالم الإسلامى ، وحياةً فى وسط ذلك المحيط الهامد » [١] .

ويقول عنه شيخى عبد السلام هارون : « ولعلّ أوّلَ نافخ فى بُوق إحياء التراث العربىّ ، على المنهج الحديث فى مصر ، هو المغفور له أحمد زكى باشا ، الذى قام بتحقيق كتاب « أنساب الخيل » لابن الكلبى ، و « الأصنام » لابن الكلبى أيضا ، وقد طبعا فى المطبعة الأميرية (مطبعة بولاق) سنة ١٩١٤ م ، باسم لجنة إحياء الآداب العربية ، التى عُرفت فيما بعد باسم القسم الأدبىّ ، ولعلّ هذين الكتابين مع كتاب « التاج » للجاحظ ، الذى حققه أيضا ، من أوائل الكتب التى كُتِب فى صدورها كلمة « بتحقيق » ، كما أن تلك الكتب قد حظيت بإخراجها على أحدث المناهج العلمية للتحقيق ، مع استكمال المكمّلات الحديثة ، من تقديم النصّ إلى القرّاء ، ومن إلحاق الفهارس التحليلية ، ويضاف إلى ذلك أنه

---

(١) الأعلام ١٢٧/١ ، وذكر له من تصانيفه الشئ الكثير .

أوّل من أشاع إدخال علامات الترقيم الحديثة ، فى المطبوعات العربية ، وألّف فى ذلك كتاباً ، سمّاه « الترقيم فى اللغة العربية » ، طبع فى مطبعة بولاق ، فى زمن مبكر جدا ، هو سنة ١٩١٣ » [١] .

ومما حقّقه شيخ العروبة أيضا ، كتاب « نَكْت الهِمْيان [٢] فى نُكَت العِميان » لصلاح الدين الصفدى ، ونشره عام ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م .

وعلى وقْع خطوات أحمد زكى باشا ، وبهُدًى من توجيهه وإرشاده ، اندفعت دار الكتب المصرية ، فى طريق نشر التراث ، وتكوَّن بها القسم الأدبى ، الذى أشرف على إخراج الكتب ، وكان يرأسه المغفور له الأستاذ أحمد زكى العدوى ، وكان هذا القسم مدرسة كبرى فى القدوة المثالية للمحققين المعاصرين ، وكان يضمّ مشيخة جليلة من العلماء الذين أخلصوا لله فيما أُسْنِد إليهم ، ولم يَحْظَوْا بمعشار ما يحظى به أدعياءُ التحقيق ، والراكضون خلف « التراث » ، فى هذه الأيام ، أذكر منهم ، بجانب الأستاذ أحمد زكى العدوى : الشاعر الضرير الشيخ أحمد الزين ، والشيخ عبد الرحيم محمود ، [٣] والشاعر أحمد نسيم ، والأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى ، والشيخ محمد عبد ربّ الرسول ، والشيخ أحمد عبد العليم البردونى والعالم الجزائرى الشيخ إبراهيم اطفيّش . ومما يجْمُل ذكرهُ هنا أن الشيخ محمد الخضر حسين ، العالم التونسى الكبير ، وشيخ الأزهر — فى أول قيام الثورة المصرية — عمل مصححاً بدار الكتب المصرية [٤] .

---

(١) التراث العربى ص ٥٣ ، ٥٤

(٢) الهميان ، بكسر الهاء ، وسكون الميم : شِدادُ السراويل ، ووِعاء تحفظ فيه الدراهم .

(٣) سيأتى لهما ذِكْر ، فى محاضرة « التصحيف والتحريف » .

(٤) الأعلام ٦/١١٤ ، وانظر مقدمة الأغانى ص ٥٩

ومن نفائس التراث التى أصدرها القسم الأدبى هذا : صبح الأعشى ، للقلقشندى ، فى أربعة عشر مجلدا ، سنة ١٩٢٠ م ، وقد طبع فى مطبعة بولاق باسم دار الكتب المصرية ، وتعدّ هذه الطبعةَ الثانية ، إذ كان قد طبع ذلك فى مطبعة بولاق ، سنة ١٩٠٥ م .

ثم أنشأت دار الكتب المصرية مطبعة خاصةً بها ، جمعتْ لها كلَّ أسباب الجودة والإتقان ، بحيث صار الكتاب المطبوع بدار الكتب المصرية ، عنواناً على أحسنِ إخراج ، وآنَقِ صورة .

ولعلّ أولَ كتاب صدر عن القسم الأدبى ، بهذه المطبعة ، هو : نهاية الأرب لشهاب الدين النويرى ، الذى بدأت طبعه محقّقا ، سنة ١٩٢٣ م ، وقد والت طبعه إلى الجزء الثامن عشر . ثم أخرجت منه الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بعد ذلك ، إلى الجزء الرابع والعشرين ، ولا تزال منه بقية .

وكانت الصيحة المدويّة لدار الكتب المصرية ، تَبَنِّيها لطبع كتاب « الأغانى » ، لأبى الفرج الأصبهانى ، بناءً على اقتراح السيّد على راتب [١] ، الذى تكفّل بنفقات طبعه ، وصدر الجزء الأول منه ، فى سنة ١٩٢٧ م ، وحظى بعناية كاملة ، فى إعداد الأصول ، وصنع الفهارس التحليلية ، فى نهاية كل جزء من أجزائه [٢] . وقد توقفت الدار عند تمام الجزء السادس عشر ، ثم تولت الهيئة المصرية العامة للكتاب ، استكمال طبع بقية

---

(١) هو على راتب بن محمد بن أبى بكر باشا راتب ، من أعيان مصر ، ومن أهل القاهرة ، عنى بالأدب ، وأعان دار الكتب المصرية ، على إعادة نشر « الأغانى » بأن تكفّل بنفقة طبعه ، وأنفق على إعادة طبع كتاب « الأفعال » لابن القوطية . توفى بالقاهرة سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م . الأعلام ٣٠٧/٦

(٢) التراث العربى ص ٥٤

الأجزاء ، إلى الرابع والعشرين ، وبه تمّ الكتاب ، وكان ذلك الإتمام بإشراف وهمّة الأستاذ المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم ، رحمه الله ، وأجزل له المثوبة .

وفى مطبعة دار الكتب المصرية ، وعلى منهجها القويم ، خرجت هذه النفائس : تفسير القرطبى (عشرين جزءا) ، والنجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، لابن تغرى بردى ، الذى وقفت به الدار عند نهاية الجزء الثانى عشر ، وتولّت الهيئة المصرية إتمامه ، فجاء فى ستة عشر جزءا .

وكان صاحب الفضل ، فى نشر هذا الكتاب ، عبد الخالق ثروت باشا ، رئيس وزراء مصر ، سنة ١٩٢٢ م ، فهو الذى أشار على دار الكتب ، بطبع الكتاب . وكان لهذا الوزير عناية بالعلم ونشره ، وقد سبق أنه كان أحد أعضاء الجمعيّة التى قامت على نشر « المخصص » لابن سيده .

وشروح سقط الزند ، لأبى العلاء المعرى (خمسة أجزاء) ، والتعريف بآثار أبى العلاء (مجلد ضخم) ، وعيون الأخبار ، لابن قتيبة (أربعة أجزاء) ، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ليحيى ابن حمزة العلوى (ثلاثة أجزاء) ، وأساس البلاغة ، للزمخشرى (جزءان) ، والفاضل ، للمبرد ، والمعرّب ، للجواليقى ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ، للمغفور له ، والمرضيِّ عنه ــ إن شاء الله ــ الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .

ومن دواوين الشعر : ديوان الهذليين [١] (ثلاثة أجزاء) ، وديوان

---

(١) وهذا غير « شرح أشعار الهذليين » صنعة أبى سعيد السكرى ، الذى نشر بتحقيق المرحوم الأستاذ عبد الستار فراج ، ومراجعة شيخنا الجليل محمود محمد شاكر . وقد صدر فى ثلاثة أجزاء أيضا ، عن دار العروبة بالقاهرة ، وينبغى أن يكون تعويلك على هذا الشرح دون سواه .

مهيار الديلمى (أربعة أجزاء) ، وديوان زهير بن أبى سلمى ، وديوان ابنه كعب ، رضى الله عنه ، وديوان حميد بن ثور الهلالى ، رضى الله عنه ، وديوان جران العود ، وديوان نابغة بنى شيبان ، وديوان سحيم عبد بنى الحسحاس ، وديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمى .

ومن الموسوعات التى بدأت دار الكتب طبعها ، ولم تتمها : مسالك الأبصار ، لابن فضل الله العمرى ـــ وصدر منه جزء واحد ـــ والمنهل الصافى ، لابن تغرى بردى ، وصدر منه أيضا جزء واحد .

وقد زيَّنتْ دار الكتب المصرية مطبوعاتها بهذه الطبعة الأنيقة المُعْجِبة ، من المصحف الشريف ، الذى عرف فى تاريخ طبع القرآن الكريم باسم : مصحف دار الكتب المصرية . وطبع سنة ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م ، باشراف لجنة من المشايخ : على محمد الضباع ، ومحمد على النجار ، وعبد الفتاح القاضى ، وعبد الحليم بسيونى ، وأحمد عبد العليم البردونى ، وإبراهيم اطفيّش .

وتدور الأيام ، وتضعُف العزائم بضعف الرجال ، ويُوَسَّدُ الأمرُ إلى غير أهله ، ويدعو الداعى إلى شئٍ نُكُر ، وهو إلغاء القسم الأدبى . يقول شيخنا عبد السلام هارون :

« ثم ضعفت العناية بهذا القسم إلى أن تولّي الأستاذ أمين مرسى قنديل ، إدارة دار الكتب ، فقام بمجهود ضخم جداً ، لمستُه بنفسى ، إذ حاول أن ينقذ هذا القسم من الفناء ، فدبَّت الحركة فيه ، وحاول أن يخلّص كتاب « الأغانى » من ورطته التاريخية ، فعهد إلى بعض العلماء بإتمام ما بقى من أجزائه [٢] ، ولكن الظروف لم تسعفه بتنفيذ فكرته النشيطة ، وكاد القسم الأدبى فى عهده يرتقى القمّة ، فى نشر موسوعات التراث ، ولكن

---

(١) وكان من نصيب شيخنا تحقيق الجزء الخامس عشر منه .

أطاحت بذلك فكرةٌ خاطئة مغرضة ، تزعم أن ليس من وظائف دور الكتب فى أوربا ، أن تضطلع بنشر التراث ، وكأننا فى جميع خطواتنا إنما نترسَّمُ أوربّا ، فى حقّها وباطلها .

وفى أسفٍ بالغ ودَّع المثقفون هذا القسمَ الأدبىَّ ، الذى قُضِىَ على نشاطه بعد عهد أمين مرسى قنديل ، أطال الله فى حياته .

ويُعَدُّ إلغاء هذا القسم جريمةً لا تغتفر فى حقّ إحياء التراث العربىّ ، ويجب كلْ الوجوب أن يُبَّعثَ ثانيا ؛ ليؤدِّىَ رسالته التى لا يستطيع أداءَها غيرُه ، نظراً إلى وفرة المراجع المخطوطة والمطبوعة ، وإمكان تجنيد طائفة من العلماء ، وإعداد جيلٍ يتلقى فنّ التحقيق بوجهٍ عملىٍّ ، فى رحاب دار الكتب » [1] .

قلت : وحين تولى الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، أشلاء هذا القسم المذبوح ، حاول أن ينفخ فيه ، فصدر فى أيامه : إنباه الرواه على أنباه النحاة ، للقفطى ، بتحقيقه (ثلاثة أجزاء) ثم طبع الجزء الرابع بعد أمدٍ طويل ، والخصائص ، لابن جنى بتحقيق العلاَّمة المرحوم الشيخ محمد على النجار (ثلاثة أجزاء) ، ومعانى القرآن ، للفراء ، أصدرت منه دار الكتب جزءا ، بتحقيق الشيخ النجار ، والأستاذ أحمد يوسف نجاتى ، ثم استكملت الهيئة المصرية العامة للكتاب طبع الجزءين الباقيين ، وكان الثانى بتحقيق الشيخ النجار ، والثالث بتحقيق الأستاذ الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، والمعارف لابن قتيبة ، بتحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، وزير الثقافة المصرية فى ذلك الوقت .

---

(١) التراث العربى ص ٥٤ ، ٥٥

وفى السنوات الأخيرة أراد القائمون على دار الكتب ، إعادة القسم الأدبى ، فيما سَمَّوه : « مركز تحقيق التراث » ، ولكن هيهات ! على أنَّ من حسنات هذا المركز ، نشرَ ديوان ابن الرومى ، كاملاً فى ستة أجزاء ، بتحقيق الأستاذ الدكتور حسين نصار ، ومعاونة بعض الشباب الذين أريد تدريبهم على تحقيق النصوص ، ومنهم الأخ الأستاذ منير المدنى ، أحد خرِّيجى دار العلوم النجباء . وكانت أمنيّة غالية .

ومما يُستطرَفُ ذكرُه هنا ، أن كثيراً من الأدباء والمحقِّقين ، قد حاولوا إخراج هذا الديوان ، ولكنْ صدَّهُم عنه ما أُشيع من أن الاشتغال بآثار ابن الرومى ، مَشْأمةٌ جالِبةٌ للغمِّ والحزن ، فكانت جرأةً وعَزْمةً من عَزَمات الدكتور حسين نصار . ومن العجيب أنه فى أيام اشتغاله بتحقيق الديوان ، ولى عمادة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم ولى إلى جانبها رئاسة أكاديمية الفنون ، وفيما بين هذين المنصبين انتخب بالإجماع مديراً لمعهد المخطوطات بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ولا زالت نعم الله تترى عليه ، زاده الله من فضله وإنعامه .

ثم نشر هذا المركز بعض المطبوعات الأخرى ، من أهمها كتاب درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية . بتحقيق الأستاذ محمد رشاد سالم [(١)] . وكتاب المذكر والمؤنث ، للمبرد ، بتحقيق الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب ، والأستاذ الدكتور صلاح الدين الهادى . وكتاب البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ، لأبى البركات الأنبارى ، بتحقيق الدكتور

---

(١) أصدر مركز تحقيق التراث ، منه جزءا واحداً سنة ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م ، ونهضت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، بطبع بقية أجزاء الكتاب ، وقد وفقها الله ، وتم الكتاب ، فى أحد عشر جزءا .

رمضان عبد التواب ، ومقدمة ابن الصلاح ، بتحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) . وكتاب الجواهر وصفاتها ، ليحيى بن ماسوية ، تحقيق الدكتور عماد عبد السلام رءوف . وهو من شباب العلماء فى بغداد .

* * *

المرحلة الرابعة

وهى مرحلة الأفذاذ من الرجال .

ولا أتردَّدُ فى تسميتها باسم : مرحلة أحمد محمد شاكر ، ومحمود محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون ، والسيد أحمد صقر .

وإليك حديثَها :

كان ذلك منذ أكثر من خمسين عاماً [١] . وفى تلك الأيام كانت المسافات قد تقاربت بين الشرق والغرب ، ووصل الكتاب العربىّ المطبوع فى أوربا ، إلى بلاد العرب ، وشارك بعض العلماء العرب فى مؤتمرات الاستشراق ، ثم نزل كثير من أعلام المستشرقين إلى مصر ؛ للتدريس فى جامعتها الجديدة ــ جامعة فؤاد الأول آنذاك ــ والتزوّد من مخطوطات القاهرة والأسكندرية ، وحلُّوا كذلك ببعض البلدان العربية الأخرى ، كالشام والعراق ، والمغرب العربى ، فألقْوا إلى الناس بضاعتهم فى نشر التراث وتحقيقه .

وفى تلكم الأيام اختلطت مناهج ، وتدافعت شبهات ، وتداخلت نوايا ، وسهرت أعينٌ ونامت عيون .

ثم ألقى المستشرق الألمانى براجستراسر ، المتوفى سنة ١٩٣٣ م محاضرات على طلبة كلية الآداب ، بالجامعة المصرية ، حولَ مناهج تحقيق

---

(١) تأمل ما ذكرته من قبل ، فى حديثى عن الشيخ محب الدين الخطيب ، وأن الأستاذين محمود محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون قد شاركا فى تصحيح كتاب أدب الكاتب ، لابن قتيبة ، الذى نشره الشيخ محب الدين عام ١٣٤٦ هـ

النصوص ونشرِها ، وقد ذكر فى هذه المحاضرات أشياءَ عن جَمْع النُّسَخ المخطوطة للكتاب المرادِ نشْرُه ، والموازنة بينها ، واعتبار النسخة الأمّ ، والنّسَخ الفرعية ، وإعداد الكتاب للطبع .

وقد بهرت هذه المحاضراتُ ، فى وقتها ، مَن لا عِلْم عنده [١] ، ولا خبرة لديه بماضى هذه الأمة العربية ، وما صنعه علماؤها فى تدوين هذا التراث وجَمْعه ، وما شادوه حولَ ذلك التراث ؛ ضبطاً له وحرْصاً عليه ، ثم ما أقاموه من قواعدَ ورسوم ؛ من حيث إسنادُ الرواية إلى مؤلف الكتاب ، والمقابلة على النُّسَخ الأخرى ، والمفاضلة بين النُّسَخ ؛ على أساس ما ثبت على بعضها من سماعات وإجازات ، وتقييدات ، ثم ما وراء ذلك كلِّه ، من تلك القواعد الصارمة الدقيقة ، التى وضعها علماءُ الحديث ، فى فنّ الجرح والتعديل . وهذه القواعد تمثِّلُ الأساسَ المتين ، للإتقان والإحكام ، والصحة ، والقبول والردّ .

وقد أثار هذا الدوىُّ الصارخ ، حولَ أعمال المستشرقين [٢] ، غيرةَ بعض العلماء فى مصر ، الذين اتصلوا بتراثهم فى منابعه الأصيلة . لقد أراد هؤلاء العلماء ــ وكانوا وقتها شباباً يغلى ويموج ــ أرادوا أن يزيلوا الغِشاوةَ عن عيون أبناء أمّتهم ، وأن يُبصِّرُوهم بما كان لآبائهم ، من جهاد وجهود ، طمستْهما أسبابٌ كثيرة ، من الغفلة والضياع ، والقهر والاستلاب ، والمسخ والتشويه ، التى تعرضت لها الأمة العربية الإسلامية .

---

(١) كنت قد كتبت شيئاً من هذا ، فيما مضى من أيامى ، وقد أغضب ذلك الكلام بعض الأساتذه الفضلاء ، لكننى أقول ما أعتقد .

(٢) لا تسرع بك الظنون ، أيها القارئ الكريم ، فترى أنى أبخس المستشرقين حقَّهم ، فى نشر تراثنا ، والعناية به ، فهم أحقّاء بكل تقدير ، وسيأتى حديث مفصَّلٌ عنهم ، إن شاء الله ، وأنا هنا أسجِّلُ تاريخاً ليس غير .

وبَدْءَةَ ذى بَدْء ، فقد اعترف هؤلاء العلماء بما للمستشرقين من فضل ، فى إحياء التراث العربىّ ونشره ، وَفْقَ المناهج العلمية الدقيقة ، لكنَّ هؤلاء العلماء قد نظروا فيما استحدثه المستشرقون من مناهج ، وما أصَّلوه من قواعد ، فإذا هو منتزعٌ من داخل تراثنا نفسه ، موصولُ الأسباب والنتائج بما صنعه الأوائل ، والمستشرقون أنفسهم يعرفون ذلك حقَّ معرفته .

ومن هنا فقد أخذ هؤلاء العلماء ينظرون فيما بين أيديهم ، وفيما بين أيدى الناس ، ثم أكبُّوا على ما آل إليهم من تراث ، يفتشونه ويتدارسونه ، ثم أعطوه حظَّه من دقّة النظر ، وحسن الفقه ، وانصرفوا إلى إذاعته ونشره .

وقد دخل هؤلاء الرجال ميدان التحقيق والنشر ، مزَوَّدين بزادٍ قوىّ ، من علم الأوائل وتجاربهم ، ومستفيدين من جميع المراحل السابقة فى نشر التراث ، ومدفوعين بروح عربية إسلامية عارمة ، استهدفت فيما استهدفت إذاعةَ النصوص الدالّة على عظمة التراث ، الكاشفة عن نواحى الجلال والكمال فيه .

ولقد كان ظهور « الرسالة » للإمام محمد بن إدريس الشافعى ، بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، فى سنة ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م ، إيذاناً ببدء مرحلة جديدة تماماً من النشر العلمىِّ العربىّ ، المستكمل لكلِّ أسباب التوثيق والتحقيق . وهى مرحلة جديدة فيما يظهر للناس فى تلك الأيام ، ولكنها موصولةُ الأسباب والنتائج بما سنَّه الأوائل وأصَّلُوه ، كما قلت آنفا .

وقد نشر الشيخ أحمد محمد شاكر ، رحمه الله ، الكتابَ عن أصل بخطّ الربيع بن سليمان صاحب الشافعىّ ، وكتبه فى حياته ، كما يرجّح الشيخ ، ومن غريب ما لحظه ، فى هذا الأصل المخطوط ، وجودُ إجازة بخط الناسخ ـــ وهو الربيع تلميذ الشافعى ـــ ولكنها ليست إجازةَ رواية ،

كالمألوف فى الإجازات ، ولكنها إجازة النّسْخ ، ونصُّها : « أجاز الربيعُ بن سليمان ، صاحبُ الشافعىّ نَسْخَ كتاب الرسالة ، وهى ثلاثة أجزاء ، فى ذى القعدة سنة خمس وستين ومائتين ، وكتب الربيع بخطه »[١] .

وقد جرى الشيخ ، رحمه الله ، فى تحقيق « الرسالة » على أعدل المناهج وأقومها ، من حيث التنبُّهُ الشديدُ لفَرْق ما بين النُّسَخ ، وإضافات النُسَّاخ ، فيما خفى ودَقّ ، ورَبْطِ كلام الشافعىّ ، رضى الله عنه ، فى هذا الكتاب ، بكتبه الأخرى ، وتوثيق النُّقول ، وتحرير المسائل ، ثم العناية الفائقة بالضبط [٢] ، وصُنع الفهارس الفنية ، التى شملت آيات القرآن الكريم ، وأبواب الكتاب على ترتيبها ، والأعلام ، والأماكن ، والأشياء ؛ من حيوان ونبات ، ومعدن ، ونحو ذلك ، والمفردات المفسَّرة فى الكتاب ، والفوائد اللغوية المستنبطة منه ، ومواضيع الكتاب ومسائله ، فى الأصول ، والحديث ، والفقه ، على حروف المعجم .

ومن أهمّ أنواع هذه الفهارس التى نثرها الشيخُ الجليل ، فهرس الفوائد اللغوية ، وعنه يقول الشيخ :

« الشافعىّ لغته حجّة ؛ لفصَاحته وعلمِه بالعربية ، وأنه لم يدخل على كلامه لُكْنة ، ولم يُحفظ عليه خطأ أو لحْن ، وأصل الربيع من هذا الكتاب « كتاب الرسالة » أصلٌ صحيح ثابت ، غاية فى الدقّة والصحّة ، فما وجدناه فيه مِمّا شذّ عن القواعد المعروفة فى العربية ، أو كان على لغة من

---

(١) ونبَّه على هذا شيخنا عبد السلام هارون فى تحقيق النصوص ونشرها ص ٣٦

(٢) للشيخ أحمد ، رحمه الله ، أسلوب فى الضبط ، هو الغاية والمنتهى ، تراه فى كتاب « الرسالة » هذا ، وفى غيره من الكتب التى حققها ، وبخاصة كتاب « المعرب » لأبى منصور الجواليقى ، الذى نشرته دار الكتب المصرية عام ١٣٦١ هـ = ١٩٤٢ م

لغات العرب ، لم نحملْه على الخطأ ، بل جعلناه شاهداً لما استُعمِل فيه ، وحجةً فى صحّته ، واستنبطنا من ذلك بعضَ المسائل ، ولعله فاتنا منه غيرُها » [١] .

هذا كلام الشيخ ، عليه رحمةُ الله . وقد أخذ عليه بعضُهم مبالغتَه فى اعتماده ما جاء فى « الرسالة » ، مما شذَّ عن القواعد المعروفة فى العربية ، وثوقاً بما فى المخطوطة . وقد أظفَرَنى الله على نصٍّ جيّد ، يشهد للشيخ ببعض ما اعتمده من لغة الشافعى :

وذلك ما جاء فى ثلاثة مواضع من « الرسالة » من حذف « أن » المصدرية قبل المضارع ، وهو قول الشافعى ، رضي الله عنه : « كما عليه يتعلّمُ الصلاة والذكْرَ فيها » . وقوله : « ثم تنصرفُ المحروسةُ قبْلَ تكملُ الصلاة » . وقوله : « قبل يُحِلُّ عليك » [٢] .

وقد أشار الشيخ إلى أنّ فى النُّسَخ الأخرى من « الرسالة » إثبات « أن » قبل الفعل المضارع ، فى المواضع المذكورة ، ثم ذكر أنّ حذف « أنْ » فى هذا الموضع صحيحٌ فى العربيّة ، وأحال على بعض كتب النحو .

وقد رأيت تصديقَ ذلك ، فيما ذكره مجد الدين بنُ الأثير ، فى مادة (ريث) من النهاية . قال : « ومنه : « فلم يلبث إلاَّ ريثما » أى إلاَّ قدْرَ ذلك ، وقد يُستعمل بغير « ما » ولا « أن » كقوله :

لا يُصْعِبُ الأمرَ إلاَّ ريثَ يركَبُهُ [٣] .

---

(١) الرسالة ص ٦٥٩

(٢) الرسالة صفحات ٤٩ ، ٢٦٥ ، ٥٨٢

(٣) لأعشى باهلة . وتمامه : * وكلّ أمرٍ سوى الفحشاء يأتمرُ * ومثله قول عبد الله بن همام السَّلُولى :

لا يمسك المال إلاّ ريث يرسلهُ ولا يلاطم عند اللحم فى السُّوقِ

ذكره أبو على الفارسى فى المسائل العسكرية ص ١٥٧

وهى لغة فاشيةٌ فى الحجاز ، يقولون : يريد يفعل ، أى أن يفعل . وما أكثر ما رأيتُها واردةً فى كلام الشافعىّ » [١] .

ورحم الله الشيخَ أحمد ، فلو أنه وقف على كلام ابن الأثير هذا ، لكان قد وقع على ذَخيرةٍ تُحفظ وتصان .

ولن أدعَ مقامى هذا ، فى الحديث عن تحقيق « الرسالة » وأنّ المنهجَ الذى سار عليه الشيخ أحمد محمد شاكر ، كان إيذاناً ببدء مرحلة جديدة تماماً ، من النشر العلمىّ المضبوط المحكم الموثَّق ، حتى أشير إلى تعليق من تعليقات الشيخ رحمه الله ، يدلُّ على هذا الذى أراه :

قال رحمه الله ، تعليقاً على قول الإمام الشافعىّ ، رضى الله عنه : « فخصّ جلَّ ثناؤه قومَه وعشيرته الأقربين فى النِّذارة ، وعمَّ الخلقَ بها بعدهم ، ورفع بالقُرَانِ ذكرَ رسول الله » [٢] . قال الشيخ :

« لفظ « قران » ضبطناه هنا ، وفى كلِّ موضعٍ وردَ فيه فى « الرسالة » بضمّ القاف وفتح الراء مخففة وتسهيل الهمزة ، وذلك اتِّباعاً للإمام الشافعى ـــ مؤلف الرسالة ـــ فى رأيه وقراءته . قال الخطيب فى تاريخ بغداد (ج ٢ ص ٦٢) : « أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل الصيرفىّ بنيسابور ، قال نا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، قال نا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى ، قال نا الشافعىّ محمد بن إدريس ، قال نا إسماعيل بن قسطنطين ، قال : قرأت على شبل ، وأخبر شبل أنه قرأ علَى عبد الله بن كثير ، وأخبر عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد ، وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس ، وأخبر ابن عباس أنه قرأ علَى

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢٨٧/٢

(٢) الرسالة ص ١٤

أُبَىّ . وقال ابن عباس : وقرأ أبىٌّ على النبىّ ﷺ . قال الشافعى : وقرأت على إسماعيل بن قسطنطين ، وكان يقول : (القران) اسم ، وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من (قرأت) ولو أُخذ مِن (قرأت) لكان كلُّ ما قرئ قرآنا ، ولكنه اسم للقران ، مثل التوراة والإنجيل ، يهمز (قرأت) ولا يهمز (القران) ، ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرَانَ ﴾ : يهمز (قرأت) ولا يهمز (القران) » وهذا الإسناد رواه الحافظ ابن حجر فى توالى التأسيس (ص ٤٢) بإسناده إلى الخطيب ، واختصر المتن ،ثم قال : « هذا حديثٌ حسن متصل الإسناد بأئمة الحديث » . ونقل فى لسان العرب فى مادة (قرأ) نحوَ هذا عن الشافعى ، وزاد : « وقال أبوبكر بن مجاهد المقرئ : كان أبو عمرو بن العلاء لا يهمز (القران) ، وكان يقرؤه كما روى عن ابن كثير » . ونقل الحافظ ابن الجزرى فى طبقات القراء عن الشافعىّ عن ابن قسطنطين نحو ما نقل الخطيب (١ : ١٦٦) . وهذا النقل عن الشافعىّ نقل رواية للقراءة واللغة ، ونقل رأى ودرايةٍ أيضا ، فإنّ قراءة ابنِ كثير ـــ قارئ مكة ـــ معروفة ، أنه يقرأ لفظ (قران) بدون همز ، والشافعى ينقل توجيه ذلك من جهة اللغة والمعنى ، ولا يردّه ، فهو يُعتبر رأياً له حين أقرَّه ، وهو حجّةٌ فى اللغة درايةً ورواية ، قال ابن هشام ـــ صاحب السيرة المشهورة ـــ : « جالست الشافعىّ زماناً فما سمعته تكلَّم بكلمة إلاّ إذا اعتبرها المُعْتبر لا يجد كلمةً فى العربية أحسنَ منها » . وقال أيضاً : « الشافعىّ كلامه لغةٌ يُحتجُّ بها » .

وهذا الذى قلنا كلّه يقوِّى اختيارنا أن نضبط اللفظَ على ما قرأ الشافعىُّ واختار .

ولقد كان الأجدر بنا فى تصحيح كتاب « الرسالة » أن نضبط كلَّ آيات القرآن التى يذكر الشافعىُّ على قراءةِ ابن كثير ، إذ هى قراءة الشافعىِّ

كما ترى ، ولكننى أحجمت عن ذلك ، إذ كان شاقاً علىَّ عسيرا ؛ لأنى لم أدرس علمَ القراءات دراسةً وافية ، والرواية أمانة يجب فيها التحرُّز والاحتياط » [١] .

وإنما أطلت بذكر هذا النقل ؛ لتعرف قَدْرَ هذا الرجل ، وإجلالَه للتراث ، وتوقيره لأعلامه ؛ ثم لتعرفَ أيضاً أىّ عبث يتردَّى فيه هؤلاء الذين يلعبون بالتراث وتحقيقه فى هذه الأيام ، مِن الدَّجاجِلَة [٢] ؛ طلّابِ المال والمناصب ، والشهادات العليا .

وكلّ ما قيل عن الشيخ أحمد محمد شاكر و « الرسالة » يقال عن أعلام هذه المرحلة : محمود محمد شاكر ، و « تفسير الطبرى » ، و « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام . وعبد السلام هارون وآثار الجاحظ ، والسيد أحمد صقر وآثار ابن قتيبة . أطال الله فى الخير بقاءهم ، ولولا أنى أخذت نفسى بطىِّ الكلام واختصاره لذكرت كلَّ ما أعرفه مِن عِلم هؤلاء الرجال ، وما سَنُّوه مِن سُنَن ، وما أصَّلوه من قواعد .

ومهما تكن دواعى الاختصار ، فإن من حقّ أبناء هذا الجيل أن يعلموا أن الأستاذ عبد السلام هارون ، قد جلا صفحاتٍ مضيئةً من تراثنا العظيم حين أخرج — على امتداد خمسين عاما — قدراً كبيرا من نفائس ذلك التراث ، فمن آثار الجاحظ : الحيوان (ثمانى مجلدات) ، والبيان والتبيين (أربعة مجلدات) ، ورسائل الجاحظ (أربعة مجلدات ، تشتمل على ٤٥ كتاباً ورسالة) ، والعثمانية ، والبرصان والعرجان .

---

(١) الرسالة ص ١٤ ، ١٥

(٢) الدجاجلة : جمع دجَّال ، وهو المموِّه الكذَّاب ، وهذا الجمع مروىٌّ عن مالك بن أنس ، رضى الله عنه . اللسان (دجل) .

ومن غير مكتبة الجاحظ ، حقق ونشر : معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس (ستّة مجلدات) . مجالس ثعلب (مجلدان) ، وهو أول كتاب فى سلسلة ذخائر العرب التى تصدرها دار المعارف بمصر . وقد نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى بالقاهرة عام ١٩٥٠ م . شرح حماسة أبى تمام للمرزوقى (أربعة مجلدات) . وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم . همزيات أبى تمام . المصون ، لأبى أحمد العسكرى . أمالى الزجاجى . مجالس العلماء ، له أيضا . جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم . الاشتقاق ، لابن دريد . شرح القصائد السبع الطوال . لأبى بكر بن الأنبارى . الكتاب ، لسيبويه (خمسة مجلدات) الأغانى ، لأبى الفرج الأصبهانى (الجزء الخامس عشر) . تهذيب اللغة ، لأبى منصور الأزهرى (الجزءان الأول والتاسع) . نوادر المخطوطات (ثمانية أجزاء ، ضمَّها مجلدان ، تشتمل على ٢٣ كتابا ورسالة) . خزانة الأدب ، للعلامة عبد القادر البغدادى (أحد عشر مجلدا) وما بقى إلاَّ فهارسه — كما سبق فى الحديث عن الخانجى ، فى المرحلة الثانية — ولشيخنا حفظه الله ، صلة قديمة بالخزانة ، إذ كان قد حقق منها أربعة أجزاء ، تمثل ثلثها — ونشرت فى المطبعة السلفية من سنة (١٣٤٧ — ١٣٥١ هـ) مع إضافة تعليقات وتحقيقات للأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، وأحمد تيمور باشا ، باشراف الأستاذ محب الدين الخطيب . وكان شيخنا وقتذاك طالبا بتجهيزية دار العلوم .

ومما نشره شيخنا بالاشتراك مع الشيخ الجليل أحمد محمد شاكر : إصلاح المنطق ، لابن السكيت ، والمفضليات ، والأصمعيات . كما نشر : تهذيب الصحاح للزنجانى ، واشترك معه فى نشره الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار .

ومن تآليف أستاذنا : معجم شواهد العربية (شواهد النحو والصرف والعروض وعلوم البلاغة وخصائص اللغة وأسرارها) . تحقيق النصوص ونشرها . « وهو أول كتاب عربى فى هذا الفن ، يوضح مناهجه ، ويعالج مشكلاته » تحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب . فهارس تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى (مجلد ضخم ، شمل المواد اللغوية والأشعار والأرجاز) . فهارس الأشعار والأرجاز فى كتاب المخصص ، لابن سيده .

كما عمد إلى بعض الكتب الأصول ، فهذَّبها ويسَّرها . ومن ذلك :

تهذيب سيرة ابن هشام . تهذيب إحياء علوم الدين ، لأبى حامد الغزالى . تهذيب الحيوان للجاحظ . الألف المختارة من صحيح البخارى .

وخلاصة ما يقال فى الأستاذ عبد السلام محمد هارون : أنه لم يَخُطَّ أحدٌ فى التراث سطراً إلاَّ ولهذا الرجل عليه مِنَّةٌ ، وذلك أنك لا تكاد تجد قائمة مراجع تراثيّة ، إلاّ وفيها كتابٌ من تحقيقات شيخنا ، حفظه الله [١] .

أما الأستاذ السيد أحمد صقر [٢] ، فقد بدأ اشتغاله بالتراث فى صدر شبابه ، حين أخرج ديوان علقمة بن عَبَدة — بفتح العين والباء — الفحل ، عام ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٥ م وكان يومئذ طالبا بالقسم الثانوى بالأزهر الشريف [٣] .

---

(١) كتبت كلمة جامعة ، عن شيخى عبد السلام هارون ، استقصيتُ فيها كلَّ أعماله المجيدة ، ونشرتها فى ثلاثة أعداد من ملحق التراث ، بجريدة المدينة المنورة ، بالمملكة العربية السعودية ، فى شهرى ربيع الآخر ، وجمادى الأولى من عام ١٤٠١ هـ غداة حصوله على جائزة الملك فيصل العالمية فى الأدب العربى .

(٢) اسمه مركب « السيد أحمد » . وبعضهم يظن أن اسمه « أحمد » وأن « السيد » من صفته . ولم يبعد عن الصواب مَن ظنَّ هذا . فهو سيّد ، اسماً وصفة .

(٣) وقد تخرج فى كلية اللغة العربية عام ١٩٤٤ م

وهو من بيت علم وفضل ، فوالده الشيخ أحمد صقر ، من فضلاء علماء الأزهر ، وكان أستاذا بكلية أصول الدين ، ولازلت أذكر سَمْتَه ، إذ كنت فى العاشرة من عمرى ، تلميذاً بمدرسة أم السلطان شعبان لتحفيظ القرآن الكريم بحىّ الدرب الأحمر ، وكان رحمه الله يتردّد على هذه المدرسة ، مع مجموعة من علماء الأزهر ، الذين كانوا يتعهّدون مدارسَ تحفيظ القرآن ، حِسْبَةً وزُلْفى إلى الله .

والأستاذ السيد أحمد صقر أديبٌ من الطراز الأول ، ولو أنه أطلق لملكاته الأدبيّة العنان ، لكان من كبار أدباء العربية ، ولكنه انصرف إلى تحقيق النصوص ، متجهاً من أول أمره إلى الأصول ، ثم كانت عنايته أخيراً بعلوم الحديث ومصنَّفاته ، بعد أن خلت الساحة بوفاة المحدّث الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر . وعلى قِصَر المدة التى اشتغل فيها بهذا العلم الشريف ، فقد نفذ إلى أسراره ، وأحاط بقضاياه ، واقتنى نوادر مخطوطاته .

وهو مِن أقدرِ الناس على تقديم كتاب ، وتقويم نصّ ، وتوثيق نَقْل ، وتخريج شاهد ، واستقصاء خبر ، ثم إن له من وراء ذلك كلِّه عِلماً جامعاً بالمكتبة العربية ، وإدراكاً للعلائق بين الكتب . ومن أراد أن يعرف عِلمَ الرجل وبصره ، فليقرأ مقدمته لكتاب تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، وإعجازِ القرآن للباقلاَّنى ــ الذى حصل به على جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ــ وحواشيه على أسباب نزول القرآن ، للواحدى ، والصاحبى ، لابن فارس ، والإلماع ، للقاضى عياض .

وحسبُه نُبْلاً وعُلُواًّ أنه الذى نقد الشيخ أحمد محمد شاكر ، فى تحقيق الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، والأستاذ محمود محمد شاكر ، فى تحقيق

طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام (١) . ولولا تزاحُمُ العِلَلِ عليه ، لكان له شأنٌ أيُّ شأن ، ولكنّ الله يُثَبِّطُ أقواماً ليرزُقَ آخرين :

متى ما يَرَ الناسُ الغنيَّ وجارُهُ فقيرٌ يقولوا عاجزٌ وجليدُ (٢)

وليس الغِنَى والفقرُ مِن حِيلة الفتى ولكنْ أَحاظٍ قُسِّمَتْ وجُدودُ

ومن تحقيقات الأستاذ السيد أحمد صقر ، غير ما ذكرت : الهوامل والشوامل (٣) ـــ وهى أسئلة من أبى حيان التوحيدى ، وأجوبتها لمسكويه ـــ بالاشتراك مع الأستاذ أحمد أمين . مقاتل الطالبيِّين ، لأبى الفرج الأصبهانى ، الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، للآمدى (أصدر منها جزءين) دلائل النبوة ، للبيهقى (صدر منها جزء واحد) . معرفة السنن والآثار ، للبيهقى أيضا (صدر منها جزء واحد) .

وأعدَّ نصوصاً كثيرة للنشر ـــ تعب فى تحصيل نُسَخِها تعباً باهظا ـــ ولكنه أراد أن يقرأها على مُكْث ، ويعطيها حظَّها من الإتقان والإحسان ، فتباطأ فى إذاعتها ، فسبقته إليها أيدٍ كثيرة . ومن هذه الكتب : المصنَّف لابن أبى شيبة ، وأمثال الحديث ، والمحِّدث الفاصل بين

---

(١) وانظر مداعبة شيخنا للأستاذ السيد صقر ، حول هذا النقد ، فى برنامج طبقات فحول الشعراء ص ١٢٧ ، وانظر أيضا مقدمة تحقيق الطبعة الثانية من الشعر والشعراء .

(٢) قائلهما سُوَيد بن خَذّاق العَبْدى . وقيل : المَعْلُوط بن بَدَل القُرَيْعى . شرح الحماسة للمرزوقى ص ١١٤٨ ، واللسان (حظظ) . وأحاظٍ : جمع الحظّ ، والجدود : جمع الجَدّ ، بفتح الجيم ، وهو الحّظُ أيضا . وجاء فى عيون الأخبار ١٨٩/٣ ، والخزانة ٢٢٠/٣ : « ولكنْ حظوظ » ، وانظر حماسة أبى تمام ـــ بتحقيق الدكتور عبد الله عسيلان ص ٥٧٥

(٣) وتحقيق هذا الكتاب مما يشهد للأستاذ السيد صقر بعلوّ قدره فى تقويم النصوص ، فإن نسخة الكتاب معيبة بكثرة الخروم والأسقاط ، وضياع أجزاء من الكلام . وقد وفق الأستاذ إلى إصلاح كثير من ذلك . إذ كان ـــ حفظه الله ـــ من القلائل الذين يحسنون قراءة المخطوطة العَسِرة .

الراوى والواعى ، كلاهما لأبى محمد الرامهرمزى ، وأعلام السُّنن ، لأبى سليمان الخطابى ، والمصطفى المختار فى الأدعية والأذكار ، لمجد الدين بن الأثير . والجليس والأنيس ، للمعافى بن زكريا الجريرى النهروانى ، وغير ذلك ممّا لا يعلمه إلاّ الله . فإن الرجل كان قد ابتُلى بكثير من الناس الذين يترصَّدونه ، ويأخذون بِمَخْنِقِه ، فما إن يعلم أحدهم بحصوله على مخطوطة من كتاب ، حتى يسارع إلى نشره . وهذا ما دعاه إلى أن يطوى صدره على كثير من النفائس والنوادر ، ثم جرَّه هذا إلى شئٍ من الملل ، وهجْرِ النشر مدة طويلة (١) .

---

(١) بل إن الأمر قد تمادَى به إلى أن يحجب عن الناس ما قد فرغ من طبعه ــ كالذى فعله قديماً أبو حيان التوحيدىُّ ، مِن حرْقِ كتبه ، حين رأى أنها لم تنفعه ، وضنَّ بها على من لا يعرف قدرها ــ ولذلك قصّة طريفة ، أرويها للتاريخ : ذلك أن الأستاذ السيد ــ أحسن اللهُ إليه ــ كان قد طبع على نفقته كتاب « أسباب نزول القرآن » لأبى الحسن الواحدى ، وطُبع الكتاب على آنق صورة ، بمطبعة عيسى البابى الحلبى ، ثم أخذ نُسَخ الكتاب وأودعها مخزناً ظلّت قابعةً فيه أكثر من عشر سنوات ، وفشلت كل المحاولات لإخراج الكتاب من محبسه ، حتى كانت سنة ١٩٦٩ م ، وتكونت بمؤسسة الأهرام لجنة لإحياء التراث الإسلامى ، بإشراف الأخ الصديق أسامة عبد العزيز عيسى واختير الأستاذ السيّد عضواً فيها ، وكنت أنا أيضاً عضواً صغيراً بهذه اللجنة ، وكان يرأسها رجلٌ من أفاضل الناس ، ومن أكثرهم حباً للتراث ونشره ، هو السيد الأستاذ حسن عباس زكى ، وزير الاقتصاد المصرى آنذاك ، وكان يدعونى كثيراً إلى بيته ، إذ كان يسترقُ أوقاتاً من أعباء الوزارة ، للحديث عن المخطوطات ونوادرها . وقد فاتحته يوماً فى شأن كتاب « أسباب نزول القرآن » ، وكان عهده به فى الطبعة القديمة ، وحين علم بتحقيق الأستاذ السيد لهذا الكتاب ، سُرَّ سروراً عظيما ؛ لِلَّذى يعرفه من علم الأستاذ وجلالته ، ثم أخبرته بقصة حَجْب الكتاب ، ففزع لذلك أشدَّ الفزع ، وأخذ على عاتقه إقناع الأستاذ بإخراج الكتاب . وفى أمسية ساخنة ببيته أخذ يتلطف مع الأستاذ السيد ، ويؤنسه ، ولم يُفْلِتْه حتى استكتبه عقداً ببيع الكتاب لمؤسّسة الأهرام . وفى تلك الليلة أَسْمَحَ الأستاذ السيّد ، وألان ، إذ كانت أمارات الصدق والتقدير لائحة فى لهجة=

ونأتى إلى شيخ العربية الأستاذ محمود محمد شاكر :

ولابد من كلمة عنه تكون مسك الختام لحديث هذه المرحلة الرابعة من مراحل نشر التراث فى مصر .

ولكن ، كيف أكتب عنك أيها الشيخ الجليل

ومن أين أبدأ ، وكيف أمضى ، وإلى أين أنتهى ؟ والحديث عنك إنما هو عن تاريخ هذه الأمة العربية الشريفة : عقيدةً ولغة وفكراً ورجالا ، وآماداً رحبة متطاولة ، لا يقدُرها إلاّ أنت ، ولا يعرف كنهها إلاّ أنت ، وتاريخ أمتنا حاضرٌ بين يديك ، ماثِلٌ أمام عينيك ، لم يغب عنك لحظة ، ولم تُخْدَع عنه لحظة . فماذا أنا قائلٌ فيك ؟ وماذا أنا بالغٌ من الكتابة عنك ؟ .

= هذا الوزير الهُمام ، وليس كالصدق والتقدير باعثاً لهمّة الأستاذ السيد صقر ، فلم يكن حجْبُه للكتاب رغبةً فى التكسُّب وملء العَيْبة ، فإنه ــ علم الله ــ من أجود الناس ، وأسخاهم يدا .

وقد سُقْت هذه الحكاية ؛ لأدلَّ على فضل هذا الرجل « حسن عباس زكى » ، ذلك الوزير الصالح ، الذى أحبّ التراث العربىّ الإسلامى ، حباً ملك عليه نفسه ، وكان وهو على رأس وزارة خطيرة ــ وزارة الاقتصاد المصرى ــ معنياً كلَّ العناية بشئون التراث ، والمشتغلين به ، من علماء وناشرين ، يُفْسِح لهم فى مجلسه ، ويذلّل لهم العقبات . ومن أياديه البيضاء نشر كتاب « الجامع الكبير » للحافظ السُّيوطىّ ، الذى صدر مصوَّراً عن مخطوطته ، فى الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م وإعادة نشر كتاب « الأم » للإمام محمد بن إدريس الشافعى ، الذى صدر بتقديمه عن دار الشعب بمصر عام ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م . إلى كتب أخرى ، ساهم فى طبعها ، أو أغرى الناشرين بطبعها .

ومكتبته الخاصة تضم قدرا عظيما من نوادر المصاحف الشريفة ، والمخطوطات والمصورات ، والمطبوعات القديمة .

تقبل الله منه صالح عمله ، وجعله فى موازينه يوم يقومُ الناسُ لربّ العالمين .

ومعذرة ثم معذرة شيخى أبا فِهْر إذ أكتُبُ عنك بهذه الوجازة التى تراها ــ أراك الله الخير كلَّه ، ودلَّك عليه ، ورغَّبك فيه .

ثم معذرة من بابةٍ أخرى : وهو أن كثيراً مما ستقرأه ، إن شاء الله ، منتزع من كلامك ، مدلولٌ عليه بفكرك ، فأنا إنما أكتب عنك بك ، وأتقدّم إليك بسابق فضلك وموصول علمك ، وإن كنت أعتقد أن هذا لا يُعتذر منه إليك ، وأيضا فإنك كنت قد شجعتنى يوماً على الكتابة عنك ، حين أنبأتك ما أصابنى من دُوار أرضانى وأسخطنى يوم خرجتَ إلى الناس بطبعتك الجديدة من كتابك الفذ « المتنبّى » وحدّثتنا فى الجزء الأول منه ، حديثا غريبا عجيبا ، عن فساد حياتنا الأدبية ، وعن تفريغ عقولنا من كل ما يردّنا إلى تاريخنا وأيامنا ، وقلت لك يومها : إنى أُريد أن أدلَّ على ما ذكرتَ بما شاع فى كتاباتك الأخرى ؛ ما دَقَّ منها وماجَلّ ، وقد أذنت لى فى الكتابة عنك ، ويومها رأيت نفسى ــ وأنا من أصغر تلاميذك ــ قد ظفرت بما فوق المنى .

ولد الأستاذ محمود محمد شاكر بالأسكندرية يوم الاثنين ، العاشر من المحرم سنة ١٣٢٧ هـ ، الموافق لأول فبراير سنة ١٩٠٩ م ، وفى صيف ذلك العام الذى ولد فيه انتقل إلى القاهرة ، حين عيّن والده وكيلا للجامع الأزهر ، وكان من قبلُ شيخا لعلماء الأسكندرية ، وهو الذى أسّس بها المعهد الدينى . وحصل على شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) القسم العلمى ، سنة ١٩٢٥ م . وفى أثناء تلك المرحلة الثانوية كان يحضر دروس العلاّمة الشيخ سيد بن على المرصفى ، التى كان يلقيها بعد الظهر فى جامع السلطان برقوق ، ثم قرأ عليه فى بيته الكتاب الكامل ، لأبى العباس المبرد ، وحماسة أبى تمام ، وشيئا من أمالى أبى على القالى ، وبعض أشعار الهذليين . واستمرت صلته وثيقة بالشيخ المرصفى إلى وفاته رحمه الله سنة ١٣٤٩ هـ = ١٩٣١ م .

وفى سنة ١٩٢٦ م التحق بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، قسم اللغة العربية ، وقضى بها سنتين اثنتين حتى نشِب خلاف شديد بينه وبين أستاذه الدكتور طه حسين ، حول منهج دراسة الشعر الجاهلى ، كما بينه فى مقدمة كتابه « المتنبى » وفى أثناء كتابه الدامغ « أباطيل وأسمار » .

وأفضى ذلك الخلاف إلى تركه الدراسة الجامعية ، والهجرة إلى الحجاز ، سنة ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م .

وفى جدة التقى بالشيخ الكبير محمد نصيف ، وأنشأ بناءً على طلب من جلاله المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، مدرسة جدة السعودية الإبتدائية ، وعمل مديراً لها ، وتتلمذ له فى تلك المدرسة بعض شباب المملكة الذين صاروا أدباء كبارا فيما بعد ، وسجّل بعضهم ذلك فى مذكراته . ولكنه ما لبث أن عاد إلى القاهرة فى أواسط عام ١٩٢٩ م ، وانصرف إلى الأدب والكتابة ، فكتب فى مجلتى « الفتح » و « الزهراء » اللتين كان يصدرهما الأستاذ محب الدين الخطيب ، وأكثر ماله فيهما الشعر ، وكان من كتابهما منذ كان طالبا .

وقد نشأ شيخنا فى بيت علم ووطنيّة ، فعرف العلماء والسياسيين الذين كانوا يتردّدون على والده ، كما اتصل بعلماء العصر ، من أمثال محب الدين الخطيب ، وأحمد تيمور باشا ، وأحمد زكى باشا ، والشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ إبراهيم اطفيّش ، والكتبى محمد أمين الخانجى ، الذى كان له منزلة خاصة عنده ، أبان عنها فى مقدمة « طبقات فحول الشعراء » . كما تعّرف إلى الشاعر العظيم أحمد شوقى ، وكان يلتقى به فى المنتديات العامة التى كان الشاعر الكبير يتردّد عليها .

ثم توثقت صلته بأديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعى ، وكان يراسله وهو طالب فى السنة الأولى الثانوية ، وظلت هذه الصلة متينة

وثيقة إلى وفاة الرافعى رحمه الله ، فى سنة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م ، فحزن عليه حزنا شديدا صرفه عن استكمال ردوده على الدكتور طه حسين ، فى موضوع المتنبى التى كانت تنشر فى جريدة البلاغ .

وللرافعى عند شيخنا مكانة سامية ، يلهج بها فى كتاباته وأحاديثه ، وقد كشف عنها فى تقديمه لكتاب صديقه المرحوم الأستاذ محمد سعيد العريان ، عن حياة الرافعى ، وقد ظلت هذه الرابطة بينهماتحول سنين عديدة دون التواصل بينه وبين الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد ، لِلذى كان بين الرجلين ، ثم صارت بينه وبين الأستاذ العقاد صحبة وصداقة عميقة بعد ذلك . حدّث صديقنا الأستاذ أحمد حمدى إمام ـــ وهو من خلصاء الأستاذ العقاد ـــ قال : « ولا أنسى هنا مجلساً مع أستاذنا العقاد سنة ١٩٦٠ م ، وقد كان الحديث عن المتنبى ، فقال عن كتاب أبى فِهْر : « إنه خير ما كتب عن المتنبى » . ثم جرَّنا الكلام إلى التحقيق ، فقال عنه « وهو على رأس المحققين ؛ لأنه أديب فنان » . [انظر أبو فهر محمود محمد شاكر والحضارة الإسلامية : ضمن كتاب دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبى فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين] .

ولشيخنا عند الرافعى أيضا مكانة كبيرة ، تراها فيما كتبه حول كتاب « المتنبى » فى طبعته الأولى . وقد حدثنى الورّاق الشهير المرحوم الأستاذ حسام الدين القدسى منذ نحو عشر سنوات بمكتبى بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، قال رحمه الله : « زارنى الأستاذ الرافعى فى مكتبتى يوماً ، فسألته : ترى من يخلفك فى الكتابة ؟ ـــ يقول القدسى : فلم يقل لى : أحمد حسن الزيات ، ولا صادق عنبر ، وإنما قال : محمود محمد شاكر » . وقد ذكرت هذا مِن قبل .

ونطوى تاريخ شيخنا طياً ؛ لنتحدث عن محنته مع زمانه ، وهموم أمته العربية التى أرقته منذ عَقَل ، وكان ذلك فى مطالع هذا القرن الميلادى .

وفى تلكم الأيام كانت المسافات قد تقاربت بين الشرق والغرب ، ونشطت حركة الترجمة ، ووصل الكتاب العربى المطبوع فى أوربا إلى بلاد العرب ــ كما ذكرت من قبل ــ وحلَّ نفرٌ من المستشرقين بمصر ، للتدريس بالجامعة المصرية [١] وشغل بعضهم مناصب ثقافية كبيرة ، كادارة دار الكتب المصرية ، ثم أذاعوا كلاماً كثيرا عن نشر التراث وتحقيقه ، وعن درس الأدب ومنهجية البحث ، وثار عجاج كثير . ثم كان ما كان من أمر الثورة المصرية ، سنة ١٩١٩ م ، وما أحدثته من زلزلة فى النفوس والعقول .

ثم كانت قضية الشعر الجاهلى ، وما أثير حوله من انتحال وصنعة ، وقد فجرت هذه القضية فى نفس الأستاذ محمود محمد شاكر ، وعقله بركانا من الفزع والغضب ، ورآها مرتبطة أشد الارتباط بقضية أخرى أكبر وأعظم ، هى قضية التشكيك فى تاريخ أمتنا العربية الإسلامية .

ومنذ ذلك اليوم الذى اتضحت فيه تلك الحقيقة أمامه ، وقامت دلائلها وشواهدها فى نفسه ، وهو يتعقّبها ويرصدها ، ويفضح أمرها ، فيما ظهر وفيما خفى من أمور التعليم والآداب والفنون ، وفى سائر ما يتقلب فيه الناس ، ويغدون ويروحون ، مما يحسبونه هيّنا وهو عند الله عظيم . نعم وقف شيخنا لذلك كله كالحارس اليقظ على ثغر خطير من ثغور المسلمين ، ولم يُشْغلْ عن ذلك بوظيفة تأكل وقته ، أو منصبٍ يريد له أن ينمو ، أوجاهٍ يطلب به المثالَةَ عند الناس .

---

(١) يأتى بيان ذلك فى الحديث عن جهود المستشرقين فى نشر التراث .

وخلاصة القضية عنده ، ما ذكره فى مقدمة كتابه الدامغ « أباطيل وأسمار » . قال حفظه الله :

« ولهذه الفصول غرض واحد ، وإن تشعبّت إليه الطرق . وهذا الغرض هو ... الدفاع عن أمّة برُمَّتها ، هى أمتى العربية الإسلامية ، وجعلت طريقى أن أهتك الأستار المسدلة التى عمل من ورائها رجال فيما خلا من الزمان ، ورجالٌ آخرون قد ورثوهم فى زماننا . وهمُّهم جميعا كان : أن يحققوا للثقافة الغربيّة الوثنيّة كل الغلبة على عقولنا ، وعلى مجتمعنا ، وعلى حياتنا ، وعلى ثقافتنا ، وبهذه الغلبة يتمّ انهيارُ الكيان العظيم الذى بناه آباؤنا فى قرون متطاولة ، وصحّحوا به فساد الحياة البشريّة فى نواحيها الإنسانية ، والأدبية والأخلاقية ، والعملية ، والعِلمية ، والفكرية ، وردُّوها إلى طريق مستقيم . عَلِم ذلك مَن عَلِمه ، وجَهِله من جهله .

وكان ممّا قدّر الله أن أفتح عينىَّ على ثورة مصر سنة ١٩١٩ م ، وعلى دارٍ تموج بالثّوار ، فعقلت من الأمر يومئذ ما عقلت ، ورأيت بعينىّ رجالا ، وسمعت بأذنىّ آراء ، ورضيت بقلبى وسخطت ، وأعانتنى فِطرتى بضَرْب من التمييز ، كان يرجّ نفسى رجاً شديدا ، وأنا بعدُ فى غضارة الصبا ، ولم أكد حتى انطلقت أجوب مجتمعا يغور بالمتناقضات ، ويتشقق بالصراع المرّ فى ميادين مختلفة : من الدين ، إلى العلم ، إلى الأدب ، إلى الفن ، إلى السياسة ، إلى السُّنن الموروثة . فخُضْت محنة زمانى ، فى أول نشأتى ، بنفسٍ غضّة مجرَّحة بالتجارب . ومضت بى الأيام ، وأثخنتنى التجارب ، وهلك رجال ، ونشأتْ رجال ، فرأيت وسمعت ، ورضيتُ وسخطت ، وعلمت من أسرار الصراع ما لم أكن أعلم .

فصار حقاً علىَّ واجباً أن لا أتلجلج ، أو أحجم ، أو أجمجم ، أو أدارى ، ما دمت قد نصبت نفسى للدفاع عن أمتى ما استطعت إلى ذلك

سبيلا . وصار حقّا عليَّ واجبا أن أستخلص تجارب خمسين سنة من عمرى ، قضّيتها قلقاً حائرا ، أصارع فى نفسى آثار عدوّ خفىّ شديد النكاية ، لم يلفتنى عن هول صراعه شيء ، منذ استحكمت قوّتى ، واستنارت بصيرتى ، ومنذ استطعت أن أهتك السّتر عن هذا العدوّ الماكر الخبيث . ثم صار حقاً علىّ واجباً أن لا أعرّج على بُنَيّات الطريق ، إلاّ بعد أن أجعل الطريق الأعظم الذى تشعَّبَت منه ، واضحاً لاحباً مستبينا . ثم صار حقّا علىّ واجبا أن لا آلو جُهْداً فى الكشف عن حقيقة هذا العدوّ ، وعن حقيقة الصراع الذى عانيته وحدى على وجه من الوجوه ، والذى عانيته مع أمتى العربية والإسلامية على وجوه أخر » .

أرأيت ؟ هذا هو الأستاذ محمود محمد شاكر ، وتلك همومه ، حملها وحده ؛ لأنها هموم أمته العربية الإسلامية . إنه رجل امتزج بالعربية ، وامتزجت به ، حتى جرت منه مجرى الدم فى العروق ، وظل حياته كلَّها قائما على حراستها ورعايتها ، يحبّ من أجلها ، ويخاصم من أجلها ، وقد احتمل فى حالتيه من العناء والمكابدة ما تنوء بحمله الجبال الرواسى ، وكان أيسر ما لقيه فى ذلك مما يهدّ النفس ويوهن العزم ، لولا ما اعتصم به من ذلك الحبّ الآسرِ الغلاّب ، للعربية ، وأيامها ورجالها ، وتاريخها كله . فهو والعربية كما خاطبه صديقه وعشيره الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل رحمه الله :

وأراك أنت بكل لُجٍّ مَوْجُها   والهادِرُ المشبوبُ فى شلاَّلها
وأراك أنت عليمها وكليمها   والجاذرُ الشبهاتِ فى استدلالها

وقد حارب الأستاذ محمود محمد شاكر ، فى جبهات كثيرة ، وخاض معارك كثيرة ؛ حارب الدعوة إلى العامية ، وحارب الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية ، وحارب الدعوة إلى هلهلة اللغة العربية والعبث بها ،

بحجة التطور اللغوى ، الذى يُفْضى حتما إلى جعل اللغة الفصحى لغة دينية فقط ، كالسّريانية والقبطية التى يسمعها النصارى فى كنائسهم ترانيمَ مبهمة ، ولا يعرفون لها وجها ولا تأويلا ، ثم حاصر تلك الألفاظَ النصرانية التى تسلّلت إلى أقلام الأدباء والكتّاب المسلمين ، مثل « الخطيئة » و « الفداء » و « الصَّلب » و « الخلاص » ، حيث رأى صبيانُ المبشرين فى هذه الألفاظ رموزاً لتراث روحى ، لا بأس على المسلم ، فى استعمالها ، ورأى الأستاذ ـــ حفظه الله ـــ أنَّ على المسلم كلَّ البأس فى استعمالها ؛ لأنه طريق محفوف بالمخاطر ، لمن صدق نفسه ، وعرف حرمة الكلمة كيف تقال ، وكيف تفسّر ، وكيف توضع فى موضعها [أباطيل وأسمار صفحة ٢٠٩] .

ثم حارب من قبلُ ومن بعد : الخرافات والبدع والشعوذة التى ابتعدت بالمسلمين عن منهج السلف ؛ فى صحة العقيدة ، وفى تجريد الإيمان من شوائب الشرك الظاهر والخفىّ .

وقد ربط كلَّ ذلك باللغة ربطا صحيحاً محكماً ؛ إذ لا معنى للانتساب إلى طريقة السلف إلاّ بأن يتملك السلفىّ ناصية اللغة وآدابها ، تملُّكاً يمكّنه من الاستمداد المباشر من القرآن والسنّة على نفس النهج الذى كان السلف يستمدُّون به من القرآن والسنة ، فى آدابهم وأخلاقهم وثقافتهم وفقههم وعلمهم وتفكيرهم ، وفى سائر ما يكون به الإنسان حياًّ رشيداً ، قادراً على بناء الحضارة [أباطيل وأسمار صفحة ٥٠٥] .

ونظرة شيخنا هذه إلى اللغة جعلته يتناول كثيراً مما كتب عن الإسلام بغير اللسان العربى ، بكثير من الحذر ، الذى يوشك أن يكون رفضاً كاملا ، ومن جانب آخر فقد جعلته ينظر إلى ما كتب باللسان العربى من أهل الأمم الأخرى ، نظرة عربية خالصة ، فهو يرى أن هذه الأمم

والشعوب التى دخلت فى دين الله أفواجا ، قد هجرت لسانها القديم حين نسيت ما كان يعبد آباؤها من قبل ، وأبدعت أدبا عربيا خالصا ، وفكرا عربيا خالصا ، ولم يبق من تراثها إلا ما كتبته بهذا اللسان العربى . ومن هنا فشيخنا حفظه الله يرفض ما يقال عن أثر الموالى أو العناصر غير العربية فى النحو العربى ، أو فى الأدب العربى ، وما إلى ذلك .

ومهما يكن من أمر : فقد حارب الأستاذ محمود محمد شاكر ، فى جبهات كثيرة ، كما رأيت ، وقد حارب وحده ، غيرَ متحيِّز إلى فئة ، أو منتصرٍ بجماعة ، وهو صُلب عنيد فاتك ، ألقى الدنيا خلف ظهره ودَبْرَ أذنيه ، فلم يعبأ بإقبالها أو إدبارها ... وكان ما كان من إقصائه عن محافل الأدب ، وعضوية المجامع ، ومؤتمرات الفكر ، وبريق الجوائز ، فلم يزده ذلك إلا إصراراً وثباتا ، ووقف وحده فى ساحة الصدق : شامخ الرأس ، مرفوع الهامة ، يرقب الزيف ، ويرصده ، ويدلُّ عليه . ولم يجد خصومه وأعداؤه فى آخر الشوط إلاّ أن ينفروا الشباب عنه ، ويبغِّضوه إليهم بما أشاعوه عن حدّتهِ وبأسه وتعاليه . فنكص من نكص مسيئا فى نكوصه ، وثبت من ثبت محسناً فى ثباته .

ودعوى حِدّةِ الأستاذ وبأسه وتعاليه ، من الكذب الخبيث . ولقد عرفت هذه الإمام الكبير ، وخالطته فى غضبه ورضاه سبعة عشر عاما ، كنت خلالها قريبا منه جدا ، وأشهد أنى ما رأيت مثله ؛ صفاءَ نفس ، ونقاءَ قلب . تراه فى حال غضبه ثائراً فائراً ، كسماءٍ مرعدة مبرقة ، فإذا ألقت سماؤه بأرواقها عاد كنسمة هادئة فى إثر ماءٍ طهور ، وإذا الذى بينه وبينه عداوةٌ كأنه ولى حميم .

وشيخنا فى مجلسه طيّب ودود ، يؤنس جلساءه ، ويجعل لكلٍّ منهم نصيبا مفروضا من ودّه وإقباله ، لا يصطنع وقارا كاذبا ، فيطرب للنادرة

المهذبة الحلوة ، ويستزيد منها ويرويها . وتجمع مائدته بين الأديب الكبير ، والوزير الخطير ، والأستاذ الجامعى ، والطالب المبتدئ ، بل وبعض أصحاب الحِرف والمهن الذين لهم بالبيت عُلْقة ، الكلّ فى مجلسه سواء . وهو حفظه الله يتعهد أبناءه وتلاميذه ، ويمشى فى حوائجهم ، ويشاركهم سرّاءهم وضرّاءهم . من دخل بيته وذاق حلاوة مجلسه فكأنما وقع فى أسر شديد ، فهو لا يطيق البعد عنه ، ولا يستطيع أن يُغِبَّ زيارته ، يأتى أحدنا من سفر طويل ، فيكون أول وجه يلقاه هو وجه الأستاذ ، قبل الأهل والعشيرة ، فهو أهلنا وعشيرتنا ، ثم تكون العودة ، فيكون آخر وجه يودّعه ، هو وجه الأستاذ ، نضر الله وجهه . وما عرفت إنسانا دخل بيت شيخنا مرة ولم يعد إليه ، إلاّ من كان فى قلبه دَغَلٌ ، وهم بحمد الله قليل .

وأعود إلى تلك الحِدّة الكاذبة المزعومة ، فأقول : نعم إن فى شيخنا حِدّة ، ولكنها تظهر منه إذا انتهك حدٌّ من حدود العِلم ، فهى الحِدّة التى جاءت فى الحديث : « الحِدّة تعترى خيار أمتى » قال مجد الدين بن الأثير : « الحِدّة كالنشاط والسرعة فى الأمور والمضاء فيها ، مأخوذ من حَدّ السيف ، والمراد بالحِدّة ها هنا : المضاء فى الدين والصلابة والقصد فى الخير ومنه الحديث : « خيار أمتى أحِدّاؤها » هو جمع حديد ، كشديد وأشدّاء » [النهاية ١ / ٣٥٢] .

وبرغم هذا الحصار الذى ضربه أعداء شيخنا حوله ، فقد عرف الشرفاءُ طريقهم إلى بيته الرحب الكريم ، وانتفعوا بما حواه من علم ومعرفة ، وقد تحوَّل هذا البيت إلى جامعة عربية إسلامية ، تخرَّج فيها الكثير ، وصحَّحت للناس عقيدتهم ، ودلَّتهم على طرائق سوية فى التفكير والبحث ، وقوّت عندهم الإحساس بالعربية والعصبيّة لها . ومن الحقائق التى لا تُدفع أنه لم يحظ أحد من الأدباء الكبار المعاصرين ـــ وإن كانوا فى دائرة الضوء

الخادع ـــ بمعشار ما حظى به الأستاذ محمود محمد شاكر من الالتفاف حوله والأخذ عنه والتأثر به ؛ طوائف من الناس ، من مختلِف البلدان والأعمار والانتماءات ، ضمَّهم هذا البيت المفتوح دائما ، ولم يفتح لهم ساعةً دون ساعة . يقول الأستاذ الكبير فتحى رضوان ، فى وصف ندوة شيخنا : « كان بيته ندوة متصلة لا تنفض ، من أعضائها الثابتين : يحيى حقى ، إذا حضر من أوروبا ، وعبد الرحمن بدوى ، وحسين ذو الفقار صبرى ، وغيرهم وغيرهم ، ولم يكن من حظى أن أكون عضوا دائما فيها ، فقد كنت ألمّ بهم أحيانا ، فأراهم وأرى من العالم العربى كله ، ومن العالم الإسلامى على ترامِيه ، شخصياتٍ لا حصر لها ، تتباين بعضها عن بعض ، فى الزىّ والمظهر والثقافة واللهجة ، والشواغل والمطامع ، ولكنها تلتقى كلها عند محمود شاكر ، تسمع له ، وتأخذ عنه ، وتقرأ عليه ، وتتأثر به ، وكلما كان من حظى أن أشهد جانبا من هذه الندوة ، أحسست بسعادة غامرة ، أن يبقى ركن فى بلدى كهذا الركن ، ينقطع أصحابه للفكر والدرس والتحدث فى أمور لا تجد من يسمع بها أو يعرف عنها شيئا فى مكان آخر » . [انظر الرجل والأسلوب ضمن كتاب دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبى فهر محمود محمد شاكر] .

وقد شهدت الخمسينات الميلادية ذروة هذه اللقاءات الفكرية التى كانت تُعقد فى بيت شيخنا ، قبل أن يقع فى أسر الطغاة ، ففى تلك الأيام كان صوته يدوّى بالشعر الجاهلى ، يُنشده تلاميذَه ، ويخوض بهم لُجَجَه ، ويكشف لهم عن أسراره ، ثم أفضى ذلك إلى فنون أخرى من التراث ، دلّهم عليها ، ورغّبهم فيها ، وكان ممن يحضر هذه اللقاءات بصورة منتظمة الأساتذة : يحيى حقى ، ومحمود حسن إسماعيل ، والشيخ أحمد حسن الباقورى ، وإحسان عباس ، وشاكر الفحام ، ومحمد يوسف نجم ، وناصر

الدين الأسد ، وأحمد راتب النفّاخ ــ وهو الآن شيخ الشام ، بل شيخ الدنيا ــ ، والأخ الكبير العالم الواسع الاطلاع أحمد بن محمد بن مانع ــ وهو من أحبهم إلى شيخنا ، وأقربهم منه مجلسا ــ ، وغير هؤلاء كثير .

وفى تلك الأيام أيضا ــ ويالها من أيام ــ خرج من بيت الأستاذ رسائلُ جامعية كثيرة ، أكل بها أصحابها الأموال ، وتسنّموا بها الذُّرَى . وإذا حدَّثك أحد أنه استفاد من مكتبة الأستاذ محمود محمد شاكر ، فلا تظنّن أنه استفاد من مكتبة كتلك التى فى دور الكتب العامة ، والتى ترصّ فيها الكتب رصاً ، إن مكتبة الأستاذ زاخرة بالحواشى والتصحيحات والإحالات . وإنى لأعلم علم اليقين أن بعض دواوين الشعر القديمة التى أعيد تحقيقها ، قد قامت على تصحيحات الأستاذ وتعليقاته التى قيَّدها على الهامش ، مع مخطوطة للديوان قد تكون فى مكتبة الأستاذ أيضا « ولم تبق إلا صورةُ اللحم والدم » .

ولا يزال الأستاذ ــ حفظه الله ــ مع علوِّ سنه ، على صلة وثيقة بالقراءة والإفادة ، ولازالت ذاكرته ــ متعه الله بالسلامة والعافية ــ تقتنص الشاردة والواردة . سألنى ذات يوم قريب ، ونحن على مائدة الغداء فى بيته المأنوس ، عمّا صنعته بكتاب الشعر لأبى على الفارسى ، فقلت له : إنى مشتغل بتخريج شواهده ، ولكن أبا على رحمه الله ، يجتزىء أحيانا من البيت بموضع الشاهد ، وهذا مُحْوِجٌ إلى مراجعة كثيرة . فقال لى : ما تذكر من ذلك ؟ فقلت : قوله : « ذلّ الزمانُ لهم » فقال : إنى أعرفه . ثم قام وشرد ببصره ، ومسح على جبهته ، كحالته إذا أهمّه أمر . وما هى إلاّ دقائقُ يسيرة حتى استخرجه من الجزء الأول من الأغانى ، بيتا سويًّا ، هو :

لهفى على فتية ذلّ الزمان لهم ... فما أصابهمُ إلاَّ بما شاءوا

ثم أضاء وجهه وتلألأ ، وأخذ يقول : الحمد لله ، الحمد لله ، هذه قراءة خمسين عاماً مضت .

ولشيخنا حفظه الله من هذا الباب ما لا يحصى عددا ، ولكنَّ أكثر الناس لا يذكرون .

وأوجز القول فى ذلك إيجازا لأتحدث عن أثر الأستاذ محمود محمد شاكر ، فى نشر التراث وتحقيقه .

لقد كانت مشاركة هذا الأستاذ الإمام ، فى نشر التراث وإذاعته جزءاً من جهاده فى حراسة العربية ، سواء فيما نشره هو ، أم فيما حث الناسَ على نشره وأعانهم عليه .

وقد فطن من أول أمره إلى الأصول ،فكان اشتغاله بطبقات فحول الشعراء لابن سلام ، وتفسير أبى جعفر الطبرى ، المسمى : « جامع البيان فى تفسير القرآن » ، وما بقى من كتابه : « تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار » ــ ظهر هذا حديثا ، ولكنَّ اشتغاله به قديم ، وجمهرة نسب قريش للزبير بن بكار .

وقد أصدر الأستاذ من تفسير أبى جعفر الطبرى ستة عشر جزءا ، ويخطىء خطأ بيّنا من يعدّ هذه الأجزاء الستة عشر كتابا واحدا ، إنها ستة عشر كتابا مفردا ، حمل كل كتاب علما غزيرا ، هو علم الأوائل الفحول .

ولقد كان من أمرى ، فى بعض أيامى ، أنى قصدت قصداً إلى قراءة حواشى الأستاذ ، على طبقات ابن سلام ، وتفسير الطبرى ، فوقفت على أشياء عجيبة غريبة ، فى فهم اللغة ، والبصر بالشعر ، ومعرفة التفسير ، وفقه الحديث ، وتاريخ الرجال ، وكلّ ما شئت من علوم هذه الأمة وفنونها . فهذا رجل نُثرت أمامه العربية كلها ، فهو لم يشتغل بباب من العلم دون باب

آخر ، فأنت تراه يقرأ ويفقه « المواقف » لعضد الدين الإيجى ، كما يقرأ ويفقه « كتاب سيبويه » و « تفسير الطبرى » و « أغانى أبى الفرج » . ثم إن له من وراء ذلك كله ، من فقه أسرار اللغة ، ما لم يقف عليه أحد ، قديما وحديثا . أقول قولى هذا ، وأنا أعلم أن كثيراً من (أصحاب المناهج ، والدراسة الموضوعية ، والنقد البنّاء) سيُنْغِضُون إلىَّ رءوسهم ، ويقولون : « متعصّب مُبالِغ » ، فأقول بموضوعية :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى

ثم أقول بغير موضوعية :

عرفنا جعفراً وبنى أبيه وأنكرنا زَعانِفَ آخرينِ

ودَعْ ذا ، ثم تمنّ معى أمنيتين : الأولى ، أن تجمع حواشي الأستاذ حفظه الله وتعليقاته ، على ما حقق ونشر ، والأخرى : أن تجمع تصحيحاته على حواشي مكتبته العظيمة ، وسيكون من ذلك أسفار علم ومعرفة ، إن شاء الله .

وأنبّه هنا إلى أن تعليقات شيخنا على ما حقق ونشر ، لم تجر على السَّنَن الذى جرى عليه المحققون ، من توثيق النقول وتخريج الشواهد ، وشرح الغريب فقط ، بل إنها شملت ذلك ، ثم تجاوزته إلى ذكر آرائه فى العقيدة واللغة والأدب ، وعداوة الأمم الأخرى ، وسائر القضايا التى شغلته منذ أيامه الأولى ، وعندى لذلك شواهد كثيرة أودعتها أوراقى بالقاهرة ، فأكتفى بما يحضرنى منها الآن :

قال حفظه الله ، تعليقاً على تفسير أبى جعفر الطبرى ، لقول الله تعالى : ﴿ فأْتُوا حرثكم أنّى شئتم ﴾ : « حجّة أبى جعفر فى هذا الفصل ، من أحسن البيان عن معانى القرآن ، وعن معانى ألفاظه وحروفه ، وهى دليلٌ على أنّ معرفة العربيّة ، وحِذْقها ، والتوغّل فى شعرها وبيانها وأساليبها ، أصلٌ من الأصول ، لا يحلُّ لمن يتكلّم فى القرآن أن يتكلّم فيه حتى يُحسِنَه

ويحذقه » . ثم نقل كلمةً للإمام الشافعىّ فى ذلك ، رواها الخطيب البغدادى ، فى كتاب الفقيه والمتفقه . قال عقبها : « فليت من يتكلم فى القرآن والدين من أهل زماننا يتورَّع من مخافة ربّه ، ومن هول عذابه يوم يقوم الناسُ لرب العالمين » . [تفسير الطبرى ٤ / ٤١٦] .

وقال مُقارِناً تأويل أبى جعفر الطبرى لأبيات الكميت فى مدح النبىّ ﷺ ، التى أولها :

إلى السِّراج المنيرِ أحمدَ لا　　　يَعْدِلُنى رغبةٌ ولا رَهَبُ

وقول الجاحظ فيها :

« من شاء أن يعرف فضْلَ ما بين عقلين من عقول أهل الذكاء والفِطنة ، فلينظره إلى ما بين قول أبى جعفر فى حُسْنِ تأتِّيه ، وبين قول الجاحظ ، فى استطالته بذكائه حيث يقول فى كتابه الحيوان ٥ : ١٦٩ — ١٧١ ، ونقل كلامه ، ثم قال عَقِبَه : « والجاحظ تأخذ قلمَه أحياناً مثلُ الحكَّة ، لا تهدأ من ثورانها عليه حتى يشتفىَ منها ببعض القول ، وببعض الاستطالة ، وبفَرْط العقل ! ومع ذلك فإن النقّاد يتبعون الجاحظ ثقةً بفضله وعقله ، فربّما هجروا من القول ما هو أولى ، فتنةً بما يقول » . [تفسير الطبرى ، ٢ / ٤٨٦ ، ٤٨٧ — سورة البقرة ١٠٧] .

وقال حفظه الله ، تعليقا على خبر وفاء السموأل بن عادياء اليهودى ، فى قصة امرئ القيس معه حينما استودعه سلاحه ، وتهديد الحارث بن أبى شمر للسموأل بقتل ابنه ، إن لم يؤدّ إليه سلاح امرئ القيس ، وقبول السموأل قتل ابنه ، على خيانة من استودعه . يقول شيخنا : « خالف السموأل غدر أهل دينه ، ووفى بعربيته » [طبقات فحول الشعراء صفحة ٢٧٩] .

ويقول تعليقا على قول الربيع بن أبى الحُقَيْق ، من يهود بنى النضير :

لا نجعل الباطل حقاً ولا نلطّ دُونَ الحقّ بالباطِلِ

« قال اليهودىّ خيرا ، فكذبه خلف السّوء من ذراريه » . [المرجع نفسه ص ٢٨٢] .

ويقول فى آخر التعريف بضرار بن القعقاع ، من بنى عبد الله بن دارم : « وكنت أخطأت بيان ذلك فى طبعتى السالفة من الطبقات ، فجاءتنى من الأرض المقدسة الطاهرة التى دنستها يهود ، رسالة رقيقة من (م . ى . قسطر) فدلنى على الصواب الذى ذكرته آنفا ، فمن أمانة العلم أذكره شاكراً كارهاً لهذا الذكر » . [المرجع السابق ص ٣٩٥ ــ فى ذكر أخبار جرير] . وتأمل قوله : « شاكراً كارهاً لهذا الذكر » فهذا يساوى كتابا بأكمله ، وهو أيضا مما لا يُطيقه أحدٌ من أهل زماننا .

وهذا المنهج الذى سار عليه الأستاذ محمود محمد شاكر ، فى إخراج كتب التراث وتحقيقها ، منهج عسير بعيد المنال ، تصعب محاكاته ؛ لأنه متصل بعقيدة صحيحة ، وقراءة محيطة ، وظهور بيّن على تراثنا كله . ولكنه على كلِّ حال قد وجَّه إلى أعدل المناهج وأقومها فى تحقيق النصوص ، وحسْبه أنه أشْعَرَ قلوبَ أبناء هذا الجيل ، حبَّ ذلك التراث ، والإخلاص له ، وتلقِّيَه بما ينبغى له من الجلال والحذر .

ولعل أكبر أثر للأستاذ محمود محمد شاكر ، أنه وجّه تلاميذه وقرّاءه ، إلى أن يداخلوا الكتب ، ويصبروا على السير فى دروبها ، وألاّ يكتفوا منها بالنظرة المختلسة ، والقراءة الخاطفة ، وكان أشدّ ما يغيظه أن يرى بعض تلاميذه يفاتش الكتاب عن طريق فهارسه ، فهو حفظه الله يرى أن الفهارس تكشف عن كنوز الكتاب ، لكنها لا تغنى عن قراءته ، والأخذ فيه إلى نهايته ، وكان يضرب لنا المثل على ذلك بأنه استخرج علويّة أبى الطيب

المتنبى ، من خبرٍ صغير ، داخل كتاب كبير ، بين أيدى الناس جميعا ، هو « خزانة الأدب » لعبد القادر البغدادى ، المطبوع بمطبعة بولاق بمصر ، سنة ١٢٩٩ هـ .

وتبقى كلمة عن أسلوب شيخنا ، وبيانه الذى حمل أفكاره ، وأدَّاها أبلغَ ما يكون الأداء .

وهو أسلوب يبهرك جماله فيعجزك عن وصفه ، وغاية ما أستطيع أن أقوله عن هذا الأسلوب الذى لا يشبهه أسلوب ، لا فى القديم ولا فى الحديث : أنه أسلوب تحدَّر من سلالة كريمة ، وأنَّ مداره على التذوّق الذى واتاه بعد دُرْبةٍ طويلة متوارثة ، انطلقت من الشعر الجاهلى الذى هو أنبل كلام العرب وأشرفه ، ثم استقرت عند القرآن الكريم ، الذى كان نزوله على النبى العربى حادثة فريدة فى تاريخ البشر . وقد نَمَتْ هذه الدربة عند شيخنا بطول مدارسته للقرآن الكريم ، الذى هو البيان الإلهى الملفوظ ، وقد أفضى به ذلك إلى الإحساس العميق باللفظ العربى ، فى ترجيعه ونغمته ، فى الدلالة والألفاظ والتراكيب والصور .

وأساس البيان عند شيخنا هو دقة التذوق . يقول : « ونحن — أبناءَ هذا اللسان العربىّ المبين — قد قام أصل حضارتنا على التذوق فى الجاهلية الغابرة ، وفى الإسلام الباقى بحمد الله وحده ، وبلغ التذوق بنا مبلغا سَنياً فريدا ، وحين بدأ تشتته وتبعثره بدأ معهما التدهور والإدبار ، فواجبناَ اليوم أن نعيد بناء أنفسنا على ما بُنِيت عليه حضارتنا من دقّة التذوق ، وأن يكون التذوق أساس عملنا الأدبى فى آثار أسلافنا ، وأن نلاقى كلمات أخبارهم التى أُثِرت عنهم بالفحص النافذ ، وأن ننفُضَ غَيْبَ كلماتهم بالتذوق ، ونتوسَّم بالتفرُّس فى معاطفها ، ثم نستجليها ونسألها ونستخبرها عن هذه السرائر المغيَّبة المحجوبة فى طواياها » [قضية الشعر الجاهلى فى كتاب ابن

سلام ، مخطوط فى مكتبة الأستاذ ، حكاية عن الأخ الأستاذ أحمد حمدى إمام : أبو فهر والحضارة الإسلامية . المذكور من قبل] .

وقد أبان عن قضية التذوق أيضا ، فى حديثه عن تجربته الشاقّة مع المتنبى ، فقال فى كتابه عنه ، صفحة ٦٥ : « ولذلك ، فقد كنت ملفوفاً فى قتام مغبرّ ، لا أسير خطوة حتى أدخل فى قتام أشدَّ غبرة ، فلما تبدّد عنى فجأة هذا القتام ، كان عمود الصورة واضحا كل الوضوح ، إلا أن عمود هذه الصورة لم ترسمه تراجم المتنبى وأخبارُه الكثيرة ، بل رسمها وحدَّدها تذوُّق شعره ، واستنباط معانيه ودلالته على شخصية أبى الطيب » .

وحديث شيخنا عن التذوق يدور فى كثير مما كتب ، ومنه : « المتنبى ليتنى ما عرفته » ، وقد ردّ به على ما كتبه الأخ الدكتور عبد العزيز الدسوقى ، فى مجلة الثقافة المصرية ، بعنوان : « قضية التذوق الفنى بين محمود شاكر وطه حسين » .

ومن وراء كل ذلك فأسلوب شيخنا أسلوب أديب يُمتع قارئه ، ولا يتعالى عليه ، ثم هو أيضا أسلوب أديب يحترم عقل قارئه ، فلا يبهظه باللغو من الكلام ، ثم هو يريحه بكثرة الإحالات إلى ما مضى من الكلام ، ليجعله على ذُكْر من القضية التى يعالجها ، ولا يتركه حتى يعينه بتلك الشروح اللغوية التى تلتحم بالكلام التحاماً هادئا بارعا .

ولوضوح الفكرة عند شيخنا واستوائها فى خاطره ، يمضى بيانه عنها سهلاً رَهْواً ، لا استكراهَ فيه ولا ثرثرة ، وقد عِشنا زماناً مخدوعين بهؤلاء الأدباء الذين يمضُغُون الكلام مضغا ، ويتشدّقون به تشدُّقا ، ثم يقال عنهم : إن بيانَهم من السَّهل الممتنع ، فلما قرأنا لهذا الإمام ووصَلَنا بالمنابع الأولى ، أدركنا أن هذا الذى وصفوه إنْ هو إلاّ قعْقعةٌ فارغة ، ورنينٌ أجوف ، أو هو ذلك الذى يحسَبُه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

وإن تعجب فعجبٌ أنك تقرأ لهذا الأستاذ الجليل ، وهو فى طَراءة الصِّبا ، ثم تقرأ له وقد عَلَتْ به السِّنّ ، فلا تجد فرقاً بين يومَيْه ، إلاّ ما يكون من بعض الفروق الهيّنة التى تأتى بها القراءاتُ المتجدّدة ، أمَّا نَمَطُ الكلام ، ومنهج الأداء ، فهو هو ؛ لأنه بَوْحُ نفسٍ صادقة مع نفسها ، ومع الناس . واقرأ إن شئت مقدّمته لرسالة أبى هلال العسكرى « فضل العطاء على العسر » ، وهو من أوائل ما نشر ، ومقدمة « تهذيب الآثار » للطبرى ، وهو من أواخر ما أصدر ، تجِدْ صدق ما أقول . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولم يبق إلاّ أن أدعو لشيخنا الجليل بالسلامة والعافية ، وأن يتقبَّلَ الله منه صالح عمله ، ثم يجعلَه فى موازينه يومَ يأتى كلُّ أناسٍ بإمامهم .

وبعد : فهذا حديث المرحلة الرابعة ، من مراحل نشر التراث فى مصر ــ مرحلة الأفذاذ من الرجال ــ وقد أوجزت الكلام عنها إيجازا ، وهى جديرة بأن يُفرد لها كتاب ، إذ كانت من أعظم المراحل وأدقّها وأخطرها ، وقد امتدّ أثرها إلى أرجاء الوطن العربىّ كلِّه .

* * *

نشاط الهيئات العلمية فى مصر

لعلّ أقدم الهيئات العلمية ، التى عُنيت بنشر التراث فى مصر ، هى جامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول سابقا) . ومن أقدم منشوراتها كتاب الذخيرة فى علم الطب ، لثابت بن قرّة ، تحقيق جورجى صبحى ، سنة ١٩٢٨ م ، ومنتخَب جامع المفردات ، لأحمد بن محمد الغافقى ، انتخاب أبى الفرج بن العبرى (القسمان الأول والثانى منه ، فى الأدوية المفردة) تحقيق ماكس ما يرهوف ، المستشرق والطبيب الألمانى ، المتوفى بالقاهرة ، سنة ١٩٥٤ م ، وجورجى صبحى ، وقد نشر هذا المنتخب سنة ١٩٣٢ م . ونقد النثر المنسوب [١] لقدامة بن جعفر ، تحقيق الدكتور طه حسين ، والأستاذ عبد الحميد العبادى ، سنة ١٩٣٣ م . ورسائل فلسفية ، لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى ، تحقيق المستشرق الألمانى باول (بول) كراوس ، المتوفى بمصر منتحراً ، سنة ١٩٤٤ م . وقد نشر من هذه الرسائل الجزء الأول ، الذى تضمن إحدى عشرة رسالة ، سنة ١٩٣٩ م [٢] . والذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام (ثلاثة أجزاء) سنة ١٩٣٩ — ١٩٤٥ م ، بإشراف الدكتور طه حسين ، والمستشرق ليفى بروفنسال . وقام على التحقيق بعض الشباب النابهين

---

(١) ظهر أنه كتاب البرهان فى وجوه البيان ، لأبى الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، وقد نشره بهذه النسبة الصحيحة الدكتور أحمد مطلوب ، وزوجته الدكتورة خديجة الحديثى ، فى بغداد ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م

وكان الدكتور طه حسين ، رحمه الله ، قد شك فى نسبة الكتاب إلى قدامة ، لأسباب عرضها فى البحث الذى قدمه إلى مؤتمر المستشرقين ، فى ليدن سنة ١٩٣١ م ، بعنوان « البيان العربى من الجاحظ إلى عبد القاهر » ثم نشره فى التقديم لكتاب نقد النثر .

(٢) المستشرقون ص ٧٦٤ ، والأعلام ٤٢/٢

المتخرجين فى كلية الآداب بالجامعة ، وهو محمد عبده عزام ، وعبد العزيز الأهوانى ، وخليل عساكر ، وعبد القادر القط ، وبخاطره الشافعى . وكتاب الأصل ، للإمام محمد بن الحسن الشيبانى ، بتحقيق شفيق شحاته ، سنة ١٩٥٤ م ، والسِّيَر الكبير ، له ، بتحقيق الشيخ محمد أبو زهرة ، والدكتور مصطفى زيد ، رحمهما الله ، سنة ١٩٥٨ م [١] .

ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، للمستشرق زامباور ، (جزءان) سنة ١٩٥١ م ، بإشراف عالم الآثار الإسلامية الكبير الدكتور زكى محمد حسن عميد كلية الآداب ، المتوفى ببغداد ، والمدفون بالقاهرة ، سنة ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ [٢] .

كما عنيت مجلة كلية الآداب بالجامعة بنشر بعض نصوص التراث ، منها : نقط العروس ، لابن حزم . تحقيق الأستاذ الدكتور شوقى ضيف .

وقد تأثرت مطبوعات جامعة فؤاد الأول ، بمناهج الاستشراق ؛ من حيثُ الاكتفاءُ بتأدية النصّ أداءً صحيحاً ، وذكر فُروق النُّسَخ ، وتقديم الكتاب ، وفهرسته ، لا يَزيدون ولا يَنْقُصون . وقد كان هذا طبيعياً ؛ لأن كثيراً من الذين وجَّهوا الجامعة إلى نشر التراث ، وشاركوا فيه ، كانوا من المستشرقين الذين انتُدبوا للتدريس فى الجامعة ، فى ذلك الزمان ، كما يظهر — إن شاء الله — فى الحديث عن جهود المستشرقين ، فى نشر التراث .

وقد فتر نشاط الجامعة المصرية فى نشر التراث ، بعد تلك الحقبة ، وكان ذلك خطأً فادحاً ، يأتيك حديثهُ فيما بعد [٣] .

* * *

---

(١) التراث العربى ص ٥٩ ، ٦٠

(٢) المستشرقون ص ٦٣٩ ، والأعلام ٣/٤٨

(٣) فى آخر الحديث عن جهود المستشرقين فى نشر التراث .

لجنة التأليف والترجمة والنشر

تأسَّستْ منذ سبعين عاماً ، وبالتحديد فى سنة ١٩١٤ م . وكانت نواتها طائفة من طلبة مدرسة المعلمين العليا ، ومدرسة الحقوق ، يقول فيهم الأستاذ أحمد أمين ، فى كتاب (لجنة التأليف والترجمة والنشر فى عشرين عاماً) : « طائفة من الشباب تمتلئ نفوسهم غيرةً على العالم الإسلامى ، ويطيلون التفكير فى وسائل إصلاحه والنهوض به ، ألَّف بين أفرادها الشعورُ بالألم من موقف الشرق وخموله ، والإيمان بوجوب العمل على تنبيهه ، والأخذ بيده ، ورفع مستواه » [١] .

وقد تولى رئاسةَ هذه اللجنة الأستاذ أحمد أمين ،مدة ثلاثين سنة [٢] وكان من أعضائها الأستاذ أمين مرسى قنديل ، أبرز وأنشط مديرى دار الكتب المصرية [٣] . والأستاذ عبد الحميد العبادى ، المؤرخ المعروف ، وعضو مجمع اللغة العربية بمصر ودمشق ، وعميد كلية الآداب بجامعة الأسكندرية ، والمتوفى سنة ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م [٤] . ومحمد صبرى أبو علم باشا ، القانونى الخطيب ، وكان من الكتاب المترسِّلين ، وعمل فى الحركة الوطنية مع سعد زغلول باشا ، وتولّى وزارة العدل . توفى سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م [٥] ، والدكتور محمد عوض محمد ، عالم

---

(١) التراث العربى ص ٥٩

(٢) الأعلام ١٠١/١

(٣) انظر ما سبق من الحديث عن المرحلة الثالثة ـــ مرحلة دار الكتب المصرية .

(٤) الأعلام ٢٨٧/٣

(٥) الأعلام ١٦٧/٦

الجغرافيا الكبير ، وكان من أعضاء مجمع اللغة العربية ، وولى وزارة المعارف ، ثم صار مستشارا بهيئة اليونسكو الدولية ، وله مؤلفات ومترجمات كثيرة . توفى سنة ١٣٩١ هـ = ١٩٧٢ م [١] . والأستاذ محمد بدران ، مترجم الموسوعة الكبيرة « قصة الحضارة » لوِلْ ديورانت . وهو من خريجى مدرسة المعلمين العليا .

وله مترجمات أخرى ــ غير قصة الحضارة ــ فى الفلسفة والتاريخ ، والنقد الأدبى [٢] . وكان من أكثر الناس فضلاً وأدبا . ولم أعلم له تاريخ مولد ، أو وفاة .

وقد نهضت لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بمهامَّ جليلةٍ فى إبراز الفكر العربى ، ونقل الثقافة الأوربية ، فنشرت كثيراً من التآليف والترجمات ، فى مختلِف فروع المعرفة ، من التاريخ ، والأدب ، والنقد والفلسفة ، والحضارة ، والعلوم الكونيّة ، كما أفسحت مطبعتها [٣] لنشر بعض أعمال المستشرقين ، وبخاصة جمعية المستشرقين الألمانية ، ومن ذلك : مشاهير علماء الأمصار ، لابن حِبّان البُسْتى ، بتحقيق فلايشهمر ، والدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر (محمد بن قلاوون) وهو الجزء التاسع من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر ،

---

(١) الأعلام ٦/٣٢٠

(٢) بلغ عطاؤه فى الترجمة والمراجعة (٥٤) كتابا ، فى اثنى عشر عاماً ، كما جاء فى الثبت الببليوجرافى للأعمال المترجمة ، فى الفترة ما بين ١٩٥٦ ــ ١٩٦٧ م نقلا عن الدكتورة نعمات أحمد فؤاد . جريدة الأهرام . الخميس ١٤٠٤/٨/٩ هـ = ١٩٨٤/٥/١٠ م

(٣) كانت هذه المطبعة مع مقر اللجنة ، فى شارع الكرداسى ، بشارع حسن الأكبر ، بحيّ عابدين ، على يمينك وأنت قادم من باب الخلق تريد ميدان باب اللوق ، قبل أن تنعطف يميناً إلى شارع عبد العزيز . وانظر شيئاً من نشاط اللجنة فيما يأتى من حديث عن نشر التراث فى المغرب الأقصى .

لابن أيبك الدواداري . بتحقيق هانس روبرت رويمر ، وأجزاء من بدائع الزهور في وقائع الدهور ، لابن إياس ، بتحقيق محمد مصطفى .

ثم كان لها إسهام رائع فى نشر التراث العربى وإذاعته . ومن منشوراتها : السُّلوك لمعرفة دول الملوك ، للمقريزى ، بتحقيق الدكتور مصطفى زيادة ، بُدىء فى طبعه سنة ١٩٣٤ م ، والهوامل والشوامل ، لأبى حيان التوحيدى ومسكويه ، بتحقيق السيد أحمد صقر وأحمد أمين ، وشرح الحماسة للمرزوقى ، بتحقيق عبد السلام هارون وأحمد أمين [١] ، والإمتاع والمؤانسة ، لأبى حيان التوحيدى ، بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، والبصائر والذخائر ، لأبى حيان أيضا ، بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين (صدر منه مجلد واحد) . والعقد الفريد ، لابن عبد ربه ، بتحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الأبيارى . وقد صنع فهارسَ الكتاب ــ وهى الجزء السابع منه ــ محمد فؤاد عبد الباقى ، ومحمد رشاد عبد المطلب ، رحمهما الله . ونوادر المخطوطات ، من تحقيق شيخى عبد السلام هارون ، وقد تحدثت عنها من قبل . ومعجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى بتحقيق مصطفى السقا . والأشباه والنظائر فى الأدب ، للخالديين ، بتحقيق السيد محمد يوسف . والمختار من شعر بشار ، للخالديين أيضا ، بتحقيق السيد

---

(١) كنت قد كتبت ذات يوم أن اسم الأستاذ أحمد أمين ، قد وُضع على غلاف كتاب الهوامل والشوامل ، وكتاب شرح الحماسة ، وأنّ تحقيقَ هذين الكتابين من عمل الأستاذين السيد أحمد صقر ، وعبد السلام هارون ، ثم قلت : إن الأستاذ أحمد أمين ، علم من أعلام النهضة الحديثة فى الفكر العربى والإسلامى ، ولكن تحقيق الكتب ــ على النحو الذى يسلكه عبد السلام هارون والسيد أحمد صقر ــ لم يكن من صناعته ، ولا هو فى طَوْقه ، وقد أغضبت كلمتى هذه بعضَ الناس ، فاندفع يردّ علىَّ بما لا يُغنيه شيئا . فأنا أعيد هذا الرأىَ مرّة أخرى ، للتاريخ .

محمد بدر الدين العلوى . وإمتاع الأسماع ، للمقريزى بتحقيق شيخنا محمودمحمد شاكر . وسبقت الإشارة إليه ، فى الحديث عن مطبعة بولاق . وديوان سراقة البارقى ، بتحقيق حسين نصار ، وكان وقتها حديث التخرج من كلية الآداب ، بجامعة القاهرة ، سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م ، ولعل تحقيق هذا الديوان أول أعمال الدكتور حسين نصار العلمية . وخريدة القصر وجريدة أهل العصر ، للعماد الأصفهانى (قسم شعراء مصر) بتحقيق أحمد أمين وشوقى ضيف وإحسان عباس . سنة ١٩٥١ م . ولعل هذا أيضاً أول أعمال الدكتور إحسان عباس العلمية .

وفى منشورات اللجنة مَشابِهُ كثيرة من منشورات دار الكتب المصرية ، من حيث اختيارُ النصوص والمحقّقين الأثبات ، والعناية بجودة الورق ، والإخراج الطباعى ، والتأنّق فيه .

ومن أنفس ما أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر ، من كتب التراث ، كتاب سِمْط اللآلى ، لأبى عبيد البكرى ، بتحقيق العلامة الثبت عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، وقد صدر الكتاب فى مجلدين ، عام ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٦ م . واسم الكتاب : « اللآلى فى شرح الأمالى » فكلمة « سِمْط » من وضع الأستاذ الميمنى.

وقد أبان العلاّمة الميمنى ، فى تحقيق هذا الكتاب ، عن علم غزير ، وإحاطة جامعة بالتراث العربى ، وبخاصة ما يتصل بالشعر ورواياته ، وأخبار الشعراء والرواة ، ومُداخَلَةِ الكُتُب ، واستنطاقها ، وبراعة التعامل معها . ويُعدُّ تحقيق هذا الكتاب آيةً من آيات الإبداع ، فى تحقيق النصوص وتوثيقها ، وقد كانت حواشيه ـــ ولا تزال ـــ مَعِيناً ثَراً ، وكلأً مباحاً لمحقّقى الأدب ، وناشرى الشعر القديم ، يفيدون منه دون إحالةٍ عليه ، أو يحيلون إحالاتٍ ضالَّةً ظالمة ، لا تذكر وجه الاستفادة والنفع منه ، كما يحيلون على أى كتاب

آخر لمحقِّق مغمور . وبالله نعوذ من الجور ، وعدم الإنصاف .

وهذا الشيخ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى من أكبر علماء الباكستان المعنيِّين بشئون التراث وقضاياه ، وقد كان لمصر فضلُ التعريف به ، وإظهارِ علمه ، فقد نشرت له مطابعها كثيراً من تحقيقاته ، أذكر منها « السمط » : والطرائف الأدبية [١] (مجموعة من الشعر القديم) نشرته له أيضاً مطبعة اللجنة عام ١٩٣٧ م . وكتاب الفاضل ، للمبرد ، وديوان حميد بن ثور الهلالى ، وديوان سحيم عبد بنى الحسحاس . والثلاثة من مطبوعات دار الكتب المصرية ، كما سبق ، وما اتفق لفظه واختلف معناه ، ونسب عدنان وقحطان ، كلاهما للمبرد ،وما تلحن فيه العامة ، للكسائى . من مطبوعات المكتبة السَّلفية بمصر .

كما نشرت له دار المعارف بمصر ، فى سلسلة (ذخائر العرب) : بالمكتبة السلفية ، كما تقدّم فى حديثى عن شيخى عبد السلام هارون . العربية محمود محمد شاكر . وكتاب المنقوص والممدود ، للفرّاء ، والتنبيهات على أغاليط الرواة ، لعلى بن حمزة (فى مجلد واحد) .

ومن تآليفه النافعة كتاب « إقليد الخزانة » ، وهو فهرس الكتب الواردة فى خزانة الأدب ، للبغدادى . من مطبوعات جامعة البنجاب بالهند ، عام ١٩٢٧ م .

هذا إلى مشاركته فى التعليق على الأربعة الأجزاء التى طبعت من الخزانة ، بالمكتبة السلفية ، كما تقدّم فى حديثى عن شيخى عبد السلام هارون .

---

(١) اشتملت على ديوان الأفوه الأودى ، والشنفرى ، وإبراهيم بن العباس الصولى ، والمختار من شعر المتنبى ، والبحترى ، وأبى تمام للشيخ عبد القاهر الجرجانى ، وتسع قصائد نادرة .

وله من وراء ذلك مقالات وبحوث كثيرة حول نوادر المخطوطات التى رآها فى مكتبات القاهرة واستانبول والهند والاسكوريال ، وقد نشرها فى مجلات ، شرقية وغربية .

توفى رحمه الله منذ نحو خمس سنوات ، ولعلى أظفر بترجمة كاملة له . رحمه الله رحمة واسعة ، وأجزل له المثوبة والرضوان .

* * *

دار المعارف

من أشهر دور النشر فى المشرق العربى . وقد بدأت نشاطها فى إحياء التراث العربى ، سنة ١٩٤٢ م ، بنشر المفضليات ، ثم الأصمعيات ، وهما من أوثق المجاميع الشعرية القديمة .وقام على تحقيقهما الشيخ أحمد محمد شاكر ، والأستاذ عبد السلام هارون ، تحت عنوان : (ديوان العرب) .

ثم اقترح الأستاذان الجليلان على دار المعارف ، أن تُخصِّص نشراً منظَّماً لعيون التراث العربى ، فسرعان ما استجابت لهذا الاقتراح ، وقامت بتنظيم تنفيذه ، وقد أعلنت الدار فى ذلك الوقت عن مسابقة لتسمية هذا المشروع ، ففاز به عنوان : (ذخائر العرب) ، يشترك فى تحقيقها علماء الشرق والغرب .

وكان باكورة هذه المجموعة كتاب مجالس ثعلب ، فى مجلدين ، بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون [١] ، عام ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٨ م ، وقد قدمته اللجنة المشرفة على هذه السلسلة ــ والمكونة من الأساتذة : محمد حلمى عيسى ، وأحمد أمين ، وطه حسين ، وعلى الجارم ، وعبد الوهاب عزام ، وإبراهيم مصطفى ، وأحمد محمد شاكر ــ بكلمة جيدة ، أشارت فيها إلى جهود المستشرقين ، ثم أبانت عن منهجها القائم على إذاعة التراث العربى كله ؛ مشرقيّه ، ومغربيّه ، والإفادة من كل العلماء المشتغلين بتحقيق النصوص ، من عرب وعجم . وكان الكتاب الثانى فى هذه السلسلة : جمهرة أنساب العرب [٢] ، لابن حزم الأندلسى ، بتحقيق المستشرق الفرنسى ليڤى بروفنسال .

---

(١) التراث العربى ص ٦١

(٢) كانت النشرة الثانية من هذا الكتاب ، بتحقيق شيخنا عبد السلام هارون ، عن دار المعارف أيضا .

وقد والت الدار إصدار هذه الذخائر التى شملت كثيراً من فروع التراث ، وقد بلغت إلى الآن نحو ستين كتابا ، منها ما هو فى عشر مجلدات ، ومنها ما هو فى خمس .

وتحرص دار المعارف على أن تكون النصوص التى تخرج فى هذه السلسلة مطابقةً لعنوانها ، كما أنها تحرص على أن تخرجها فى آنق صورة . ويُعدّ قسم التصحيح فى دار المعارف من أحسن أقسام التصحيح ، فى المطابع العامة والخاصة .

ولا أسمِّى كتاباً من هذه الكتب التراثيّة التى أخرجتها دار المعارف ، فهى معروفة متداولة ، والدار تُسرع إلى إعادة ما ينفد من طبعاتها، كما أن سارقى الجهود والكتب فى بيروت ، لم يقربُوا مطبوعات الدار إلى الآن ، فلسنا فى حاجة إلى أن ندلَّ الناسَ عليها .

وقد بدأت دار المعارف ، فى سنة ١٣٧٤ هـ إصدارَ سلسلة أخرى من عيون التراث ، سَمَّتْها : (تراث الإسلام) ، كان الكتاب الأول فيها : تفسير الطبرى ، من تحقيق شيخ العربيّة محمود محمد شاكر ، وقد خرَّج أحاديثَه المحدّث الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر . وقد أصدرت منه الدار ستّة عشر مجلَّداً ضِخاماً ، وقفت فى أثناء تفسير سورة إبراهيم عليه السلام .

وكان الكتاب الثانى فى هذه السلسلة : جوامع السيرة ، لابن حزم ، مع خمس رسائل أخرى ، له ، وهى :

١ ــ رسالة فى القراءات المشهورة فى الأمصار .

٢ ــ رسالة فى أسماء الصحابة رواةِ الحديث ، وما لكلٍّ واحدٍ من العدد .

٣ ــ رسالة فى تسمية من رُوِى عنهم الفُتْيا من الصحابة ومَن بعدهم .

٤ ــ جُمَل فتوح الإسلام .
٥ ــ أسماء الخلفاء المهديِّين والأئمة أمراء المؤمنين .

وقد حقق هذا الكتابَ الدكتور إحسان عباس ، والدكتور ناصر الدين الأسد ، وراجعه الشيخ أحمد محمد شاكر .

* * *

معهد إحياء المخطوطات العربية

أنشئ هذا المعهد بالقاهرة ، عام ١٩٤٦ م ، قسماً من أقسام اللجنة الثقافية ، بجامعة الدول العربية ، وكان يرأس هذه اللجنة الدكتور طه حسين ، ويشرف عليها ويوجّهها الأستاذ أحمد أمين .

وكانت الغاية الأولى من إنشاء هذا المعهد : هى تصويرَ المخطوطات العربية من مظانِّها ، وفهرستها ، وإعدادها للباحثين والدارسين .

وقد رسم معهد المخطوطات من أول الأمر ، منهجاً دقيقا لتحقيق تلك الغاية ، فكوَّن لجنة عكفت على موسوعة بروكلمان « تاريخ الأدب العربى [1] » . واستخرجت نفائس المخطوطات ، وأسماء المكتبات التى تحتفظ بها . وكان من أعضاء هذه اللجنة الدكتور خليل عساكر ، والدكتور عبد العزيز الأهوانى . رحمه الله .

وإذْ تمَّ للمعهد ذلك ، أخذ فى التصوير ، فصوَّر نوادر مكتبات مصر : دار الكتب المصرية ، والمكتبة الأزهرية ، ومكتبة البلدية بالأسكندرية ، وبعض عواصم مصر ، مثل طنطا ، ودمياط ، والمنصورة ، وشبين الكوم ، وسوهاج .

ثم انطلقت بعثاته شرقاً وغربا ، إلى استانبول ، والهند ، والقدس ، وسوريا وبيروت ، وتونس والمغرب ، والمملكة العربية السعودية ،

---

(١) وكان ذلك حافزاً للجنة الثقافية لتنهض إلى ترجمة هذا الكتاب ، وعهدت بذلك إلى العلامة المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ، الذى ترجم منه ثلاثة أجزاء ، ثم أعجلته المنية عن إتمامه .

واليمن الشمالى والجنوبى ، ومكتبات أوربا وأمريكا . ثم كان المعهد مستودعاً لمصورات هيئة اليونسكو الدولية ، من القاهرة ، والعراق ، والمغرب ، وليبيا [١] ، فى أوائل الستّينات الميلادية .

ولا يعرف كثيرٌ من الناس ، العناءَ الباهظَ الذى احتمله أعضاء هذه البعثات من موظفى معهد المخطوطات ، وما كابدوه من مشقّة ونَصَب ، فإن تصوير المخطوطات كان ولا يزال محفوفاً بالمصاعب ، وبخاصّة فى تلك البلدان التى يرى بعضهم فى مخطوطاتها أنهم أحقّ بها وأهلها ، فإذا نظرتَ فيما أخرجوه من هذه المخطوطات وحقّقوه لم تجد شيئاً إلاَّ شيئاً لا يُعْبأ به ، وناهيك بالمكتبات الخاصّة التى تغصّ بالمخطوطات ، ويضنّ بها أصحابها على طلبة العلم ، ظناً منهم أنها إرثٌ كريم يخصُّهم وحدهم ، ولا ينبغى التفريط فيه ، فيتركونها تغتالها عوادى الأيام اغتيالا ؛ من الرطوبة والأرضة . وهيهات أن تقنعهم بأن تصوير المخطوطات من البرِّ بها والصيانة لها . وهذا حديث مُرٌّ طويل [٢] .

---

(١) قد يظن ظان أن ليبيا ، ليست من البلدان المعروفة بالمخطوطات ، ولكن هيئة اليونسكو صورت من مدينة طرابلس ، أشياء ثمينة ، منها نسخة جيدة من كتاب غريب الحديث ، لأبى سليمان الخطابى ، ونسخة من كتاب الأغفال ، لأبى على الفارسى . وهاتان النسختان من محفوظات معهد المخطوطات بالقاهرة . ثم قرأت أخيراً بملحق التراث بجريدة المدينة المنورة ، بالمملكة العربية السعودية (٢٠ من شهر صفر ١٤٠٤ هـ) خبراً عن تحقيق كتاب « الجوهرة فى نسب النبى ﷺ وأصحابه العشرة » ، لمحمد بن أبى بكر بن عبد الله بن موسى الأنصارى التلمسانى البرى ، من علماء الأندلس فى القرن السابع . ومخطوطة الكتاب بخط المؤلف ـــ وهو مسوَّدته ـــ وقد عثر عليها المحقق الدكتور محمد التُّونجى ، فى مكتبة جامعة قار يونس بمدينة بنى غازى . وكم فى الزوايا من خبايا !

(٢) أقول هذا من موقع المعاناة والمعايشة ، فقد خرجتُ فى بعثات المعهد إلى تركيا والمغرب الأقصى ، والمملكة العربية السعودية ، واليمن الشمالى . والإنصاف يقتضينى أن=

ومهما يكن من أمر فقد نجحت بعثات المعهد فى تصوير واستنقاذ كثير من هذا التراث المخطوط ، وعادت به إلى القاهرة ، زاداً شهياً ، ثم عكف عليه موظفو المعهد ، فهرسةً وتصنيفاً وتعريفا .

وحين أفسحت الجامعات العربية صدرها ، لتحقيق التراث ، حصولاً على شهاداتها العليا ، كان معهد المخطوطات مثابةً وملاذاً ، فزع إليه الدارسون ، فهيّأ لهم ما لديه من مخطوطات ، ثم يسَّر لهم الحصول على ما فى المكتبات الأخرى داخلَ مصر وخارجَها .

ولم يكن العاملون بمعهد المخطوطات ، يلْقَوْن المتردِّدين عليه بما كان يلقاهم به غيرُهم فى المكتبات الأخرى ، بل إنهم لم يكتفوا بما تقتضيه الوظيفة ، من تيسير الخدمة المكتبيّة ، فى حدودها ورسومها المعروفة ، بل تجاوزوا ذلك ، إلى تقديم العَوْن فى الدلالة على كلِّ ما له صِلةٌ بالكتاب المحقّق ، أو الدراسة المطلوبة ، ثم أباحُوا فى أريحيّة وسماحة مكتباتهم الخاصّة لطلبة العلم ، يأخذون منها ما يشاءون من مطبوعاتٍ نادرة . فعل ذلك محمد رشاد عبد المطلب ، ومحمد مرسى الخولى ــ رحمهما الله ــ وعبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحى . وقد عرف ذلك مَن عَرَف ، ونسيه مَن نسى . « وعند الله فى ذاك الجزاءُ » .

ولعلّ ما عاق معهدَ المخطوطات ، فى السنوات الأخيرة ، عن تنفيذ

= أشير وأشيد بما لقيته بعثة المعهد من ترحيب وعون بعض أصحاب المكتبات الخاصة بالمغرب ، مثل العلاّمة الأستاذ محمد المنونى بالرباط ، والسيد عبد الله الصبيحى بمدينة سلا ، وبيت آل عبد القادر بالمبرَّز بالأحساء من المملكة العربية السعودية ، ومكتبة السيد عبيد مدنى ، رحمه الله ، بالمدينة المنورة ، ومكتبة الشيخ محمد العبيكان بالرياض ، ومكتبات علماء القصيم ، وعلى رأسهم الشيخ الفاضل محمد بن صالح العثيمين ، والشيخ سليمان بن صالح بن بسَّام ، بمدينة عُنيزة .

برامجه ، والوفاء بأهدافه ، هو اشتغاله بتلبية حاجات طلبة الدراسات العليا [(١)] .

نقول هذا للتاريخ ، ولا نُتْبعُ ما فعلْنا مَناً ولا أذى ، فقد كثر الحديثُ فى هذه الأيام عن جمع التراث ، وحفظ التراث ، ونشر التراث ، إلى آخر هذه القائمة الطويلة التى يردّدُها من يعرف ومن لا يعرف ، ونسى الناسُ ما فعله الروّادُ الأوائل ، فلا تكاد تسمع شيئا فى هذه الأيام عن جهود ذلك المعهد العريق ، ورجاله المخلصين .

وقد تعاقب على معهد المخطوطات رؤساء كثيرون ، كان أولهم الدكتور يوسف العِشّ ، وهو من علماء المخطوطات البارزين . وكان قبل تولّيه إدارة المعهد محافظاً لدار الكتب الظاهرية بدمشق مدة عشر سنوات ، وصنَّف فهرساً لما تحتويه من مخطوطات تاريخية ، وهو أول من تخصّص فى تنسيق الكتب والوثائق فى سوريا .

وقد خرج فى أول بعثة للمعهد إلى استانبول ، سنة ١٩٤٩ م ، فعاد منها بنفائس كثيرة . وقد عاونه فى هذه البعثة محمد رشاد عبد المطلب ومحمد بن تاويت الطَّنْجِى [(٢)] . توفى يوسف العش بدمشق عام ١٣٨٧ هـ

---

(١) لم يكن ذلك مقصوراً على من حضر إلى المعهد فى القاهرة فقط ، بل شمل ذلك أيضاً طلبة العلم والباحثين من مختلف أنحاء العالم ، التى كان رسائلهم ترِدُ على المعهد كلَّ يوم .

(٢) من علماء المغرب المعاصرين اثنان ، كل منهما يسمى : محمد بن تاويت . أولهما هذا . وقد ولد بطنجة وتعلم بالقاهرة . ثم تعلم التركية ، وأقام باستانبول ، أستاذا فى كلية الإلهيات . وله عناية بآثار ابن خلدون . وله تحقيقات منها : أخلاق الوزيرين ، لأبى حيان التوحيدى ، والمكاثرة عند المذاكرة ، لأبى جعفر الطيالسى ــ نشره بأحد أعداد مجلة كلية الشرقيات ــ كما نشر بالاشتراك مع الأستاذ محمد الفاسى كتاب مختصر العين ، لأبى بكر الزبيدى . توفى باستانبول عام ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م [الأعلام ٦٢/٦] أما الثانى أمدّ الله فى عمره ــ فهو من العلماء الأثبات ، وله دراسات تراثية جادة وعميقة . وقد قرأت له =

= ١٩٦٧ م [١] .

ثم كان من أبرز وأنشط رؤساء المعهد ، الدكتور صلاح الدين المنجد ، وهو من رجال سوريا أيضاً ، ويُعَدّ من خبراء المخطوطات ، العارفين بالنوادر والنفائس [٢] . وكان له جهدٌ ظاهر فى المعهد ، قام به وأعانه عليه قومٌ آخرون ، منهم الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب ـــ ابن المعهد البارّ ، وشعلةُ نشاطِه المتَّقِدة ـــ والأستاذ فؤاد سيد ، والدكتور لطفى عبد البديع ، وفهارس المعهد من تصنيف هذين العالمين .

وقد أصدر الدكتور المنجد مجلة معهد المخطوطات ، وهى أول مجلة عربية تعنى بشئون المخطوطات ، والتعريف بها ، وأماكن وجودها ، ورَصْد ما نُشر منها . وقد نُشرت فيها طائفة من النصوص الصغيرة . وقد أصابت هذه المجلةُ نجاحاً كبيرا ـــ وبخاصة فى أعدادها العشرة الأولى ـــ وكتب فيها كبار العلماء فى الشرق والغرب . وصدر العدد الأول منها فى شهر رمضان ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م [٣] .

= فى أثناء إقامتى بالمغرب عام ١٣٩٥ هـ مقالاً عالياً بمجلة دعوة الحق المغربية فى نقد تحقيق كتاب البرصان والعرجان للجاحظ ، الذى قام به صديقنا المرحوم الدكتور محمد مرسى الخولى .

(١) الأعلام ٢٣١/٨

(٢) لم أعرف هذا الرجل ، ولم ألتق به إلى الآن ، فقد التحقت بمعهد المخطوطات ، بعد تركه له ، لكننى فى خلال عملى بالمعهد ـــ الذى استمر خمسة عشر عاما ـــ كنت أحسّ بصماته ولمساته فى جميع أرجاء المعهد . فهذه شهادةٌ أؤدِّيها على وجهها .

(٣) وقد أفردت المجلة بعض أعدادها لنصوص خاصة . مثل الجزء الأول من المجلد السابع ، الذى خصص لكتاب المرشد ، أو الفصول للرازى ، والمجلد الثامن كله لكتاب تحديد نهايات الأماكن ، للبيرونى ، وكذلك المجلدات الخاصة بدواوين عمرو بن قميئة ، والمتلمّس ، والمثقّب .

ولقد كان من أهداف معهد المخطوطات نشرُ الموسوعات التراثيّة ، منفرداً أو متعاوناً مع دور النشر الأخرى .

ومما أصدر من ذلك : شرح السِّيَر الكبير ، لمحمد بن الحسن الشيبانى ، والشارح هو أبو بكر محمد بن سهل السرخسى (خمسة أجزاء) ومختار الأغانى لابن منظور صاحب لسان العرب (ثمانية أجزاء) نشره بالتعاون مع الهيئة المصرية العامة للكتاب . والمحكم ، لابن سيده (ظهر منه سبعة أجزاء ، وبقيت خمسة) بالتعاون مع مطبعة مصطفى البابى الحلبى . ثم باشر — بالتعاون مع دار المعارف — طبع كتاب أنساب الأشراف ، للبلاذرى ، وسير أعلام النبلاء لمؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبى ، وصدر من الأول جزءٌ واحد ، ومن الثانى ثلاثة أجزاء .

وكان معهد المخطوطات فى سنواته كلها شعلةَ نشاط ، وخليّةَ نَحْل ، ومنارةَ علم .

ثم عَدَتْ عَوادٍ ، وأطْبَقَتْ غَواشٍ .... وكان ما كان مما لستُ أذكره . وتوقف نشاط معهد المخطوطات ، فى إحياء التراث ، وفى غيره . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

* * *

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قام هذا المجلس تابعاً لوزارة الأوقاف المصرية ، فى نحو سنة ١٣٨٠ هـ . وقد بدأ بدايةً فارهة ، حيث وجَّهت أعمالَه لجنة من كبار علماء المخطوطات ، وخبراء التراث ، منهم الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، والشيخ أبو الوفا المراغى (مدير المكتبة الأزهرية) والأستاذ فؤاد سيد ، والأستاذ محمد رشاد عبد المطلب .

وقد أصدر المجلس طائفة من عيون التراث منها : تحرير التحبير ، لابن أبى الإصبع المصرى ، وموطأ مالك ، برواية محمد بن الحسن الشيبانى . والمنازل والديار لأسامة بن منقذ ، والمعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، لعبد الواحد المراكشى ، وتثقيف اللسان وتنقيح الجنان ، لابن مكى الصقلى ، والمحتسب فى تبيين وجوه شواذّ القراءات ، لابن جنى ، والدرر فى اختصار المغازى والسِّير ، لابن عبد البر ، وما ينصرف وما لا ينصرف ، لأبى إسحاق الزجاج ، وتاريخ الموصل ، لابن إياس الأزدى ، وإعلام الساجد بأحكام المساجد ، لبرهان الدين الزركشى ، والسَّماع ، لابن القيسرانى ، وغاية المرام من علم الكلام ، للسيف الآمدى ، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادى ، وكشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية (فى النقود العربية وطريقة سكّها) لمنصور بن بعرة الذهبى الكاملى . وتخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله من الحرف والصناعات الشرعية للخزاعى ، ومن الكتب التى أصدر منها أجزاء ، ولم تكمل : الغريبين (غريبى القرآن والحديث) لأبى عبيد الهروى . والحماسة البصرية ، لصدر الدين البصرى ، وإنباء الغُمْر بأنباء أبناء العُمْر ، لابن حجر العسقلانى ، والطبقات السنية فى تراجم الحنفية ، لتقى الدين التميمى . ولطائف

الإشارات فى علم القراءات ، لشهاب الدين القسطلانى المصرى ، شارح البخارى ، وسبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ــ ﷺ ــ ويسمى السيرة الشامية ، لشمس الدين الشامى الصالحى . والمذكر والمؤنث ،لأبى بكر بن الأنبارى .

وعن لجنة السُّنَّة بالمجلس ، صدر : معرفة السنن والآثار ، ودلائل النبوّة ، كلاهما للبيهقى ، ولم يكملا .

وقد عصفت بهذا المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عواصفُ ، جمَّدتْ نشاطه ، ولا يزال المخلصون ينفخون فيه .

ومن أنفس ما أخرج المجلس ، الكتابُ المقتضَب ، لأبى العباس المبرد ، (أربعة أجزاء ، مع مقدمة نفيسة عن حياة المبرد وآثاره وآرائه النحوية) .

وهذا الكتاب هو الذى عرَّف الناسَ بعالم جليل ونحويٍّ ضليع ، هو الأستاذ الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة . وكان من قبلُ متوارياً ، يعرفه طلبة كلية اللغة العربية بالأزهر ، وحدهم ، ثم تعرفه قاعةُ المخطوطات بدار الكتب المصرية ، مكباًّ على النَّسْخ والقراءة ، لا يكلِّم أحداً ولا يكلِّمه أحد ، وكنت لا تراه إلاّ فى هذه القاعة ، ثم فى مكتبة حسين حجاج [1] ، ومكتبة الشيخ

---

(١) كانت مكتبته فى وسط ميدان باب الخلق ، قريباً من دار الكتب . وقد ضمت هذه المكتبة قدراً كبيراً من نوادر المخطوطات والمطبوعات . وممن استفادوا من نفائس هذه المكتبة الورَّاق العراقى الكبير قاسم الرجب ، صاحب مكتبة المثنى ببغداد ، وصاحب الأيادى البيضاء على النشر والناشرين . رحمه الله . وكان فى حسين حجاج هذا انقباضٌ عن الناس . توفى رحمه الله منذ نحو عشر سنوات .

على خربوش (١) .

وقد كشف الشيخ عضيمة فى تحقيق الكتاب المقتضب عن علمٍ غزير ، ظلَّ حبيسَ صدره طَوالَ هذه السنوات التى سبقت طبع المقتضب .

---

(١) الشيخ على خربوش ـــ بفتح الخاء المعجمة بعدها راء ساكنة ، ثم باء مضمومة وشين معجمة ـــ شخصية عجيبة غريبة فى دنيا المطبوعات القديمة . تراه فى مكتبته الزاخرة بأشتات من المطبوعات التى وضعت على غير ترتيب ولا تصنيف ، غارقاً فى لُجَّتها ، وقد التحم بها والتحمت به ، تنطق ملامحه بالقِدم والعتاقة ، فكأنه طبعة نادرة من طبعات بولاق ، أو لَيْدن . ما رأيته بعمامته الغريبة وثوبه الفضفاض إلاّ وتمثّلت لى صورةٌ نابضة بالحياة والحركة لورَّاق من ورَّاقى بغداد ، الذين ذكرهم ابن النديم فى الفهرست . يكلّمك فى عجلة واقتضاب ، ولا يقبل منك مساومةً أو مراجعة ، فإذا أكثرت التردُّدَ عليه ، وأنِس إليك ، ووجد فيك رائحة العلم ، فتح لك قلبه ومكتبته ، وتركك تجوس خلالها ، تقرأ ما تشاء ، وتنتقى ما تشاء ،واجلسْ ما شئت من الساعات واخرُجْ دون أن تشترىَ شيئا ، وما عليك من بأس فقد وقعت منه موقع الرضا والقبول . أما إذا ثقُلْتَ على قلبه ، وأحَسَّ منك كِبراً أو عُجْباً فهيهات أن تحظى منه بشىء ، مهما سخوت له فى الثمن ، وأجزلت العطاء .

ومن عجيب أمر هذا الرجل ، أنه كان يجمع نوادر ما يسقط إليه من المطبوعات ويحزمها ، ويذهب بها إلى العلماء فى بيوتهم ، ويتحمل فى ذلك مشقّة الانتِقال ، ووعثاء الطريق ، وكثيراً ما رأيته فى ليالى الشتاء الباردة يحمل هذه الأثقالَ إلى بيت الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم بمصر الجديدة ، وبينها وبين بيته فى شارع المغربلين بحىّ الدرب الأحمر ، نحو خمسة عشر كيلومترا .

وقد ظلّ الشيخ على خربوش مَعْلَماً من معالم القاهرة التراثيّة زمنا طويلا ، وكانت فيه غفلة ، مبعثها صفاءُ نفسه ، وقِلّةُ حرصه ، فكثيراً ما كان زملاؤه فى الصنعة من الورَّاقين يأخذون منه الكتب بثمن بَخْس ، ثم يبيعونها بأغلى الأثمان . وتقع مكتبته ـــ أمد الله فى عمره ـــ فى شارع درب الجماميز (بورسعيد الآن) أمام مستشفى أحمد ماهر ، على يمينك وأنت قادم من باب الخلق تريد ميدان السيدة زينب . وله ولد يسمَّى إبراهيم ، ورِث عن أبيه حبَّ الكتب ـــ وإن قصَّر فى جَمْعها ـــ كما ورث عنه أيضا طيبَ الخلق وكرم النفس ، والسرعةَ فى الحديث أيضا .

وللشيخ على وأمثاله من الورّاقين فضلٌ على العلماء ظاهر ، فهم قد أعدُّوا لهم أصول=

ولعلَّ أنفع ما فى تحقيق هذا الكتاب أنه دلَّ الناسَ على كتاب سيبويه ، وفتح لهم مقفله ، وخاضَ بهم لُججه ، فقد ربط الشيخ بين مسائل المقتضب ومسائل سيبويه ربطاً محكماً ، إلى فوائد أخرى نثرها الشيخ فى حواشيه .

= علمهم ، حين سَعَوْا فى جمع المطبوعات القديمة وتحصيلها ، بل إن بعض هؤلاء الوراقين كان يذهب إلى ورثة العلماء فى الكفور والنجوع ، ليستنقذ ما خلّفوه ، قبل أن تذهب به يد الأيام .

وممن أدركت من الورّاقين : زكى مجاهد ، صاحب كتاب الأعلام الشرقية (تراجم رجال القرن الرابع عشر الهجرى) ، ومحمد العَبّادى ، وكان يعمل من قبل فى مكتبة محمود توفيق ، الكتبى الشهير . وقد رأيت عند العبّادى هذا مكتبة الشيخ عيسى مَنُّون ، عميد كلية الشريعة بالأزهر . وكان شيخاً لرواق الشوام ، ومن هيئة كبار العلماء توفى سنة ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م . وقد حوت مكتبته نوادر المخطوطات والمطبوعات . وبخاصة فى فقه الشافعية ، إذ كان الشيخ على مذهب الشافعى . لازلت أذكر منها أجزاء من كتاب (التتمة) لأبى سعد المتولىّ . ومحمد الطيّب . وكان طيِّبا كاسمه . وحجازى ، صاحب المكتبة الحجازية ، بزاوية الأعرج بحىّ المنشية بالاسكندرية . وقد توفى هؤلاء الأربعة ، رحمهم الله .

ومن الورّاقين الأحياء : توفيق عفيفى ، وقد اشتغل بنشر الكتب وطبعها ، وسمى مكتبته : دار الكتب الحديثة . وحسين امبابى ، صاحب مكتبة الكليات الأزهرية ، وقد ورث هو وأخوه حمدى معرفة نوادر المطبوعات عن أبيهما ، الذى تعلّمها هو أيضا من مكتبة محمد على صبيح .

وكانت مكتبات هؤلاء الورّاقين مجمعاً للعلماء والفضلاء . وقد عرفت منهم فى هذه المكتبات الشيخ المحدّث عبد الوهاب عبد اللطيف الأستاذ بكلية أصول الدين رحمه الله ، وهو محقق تقريب التهذيب لابن حجر ، والموطأ برواية محمد بن الحسن الشيبانى ، وتدريب الراوى للسيوطى . والشيخ الأصولى الفقيه الأديب عبد الغنى عبد الخالق الأستاذ بكلية الشريعة . محقق كتاب آداب الشافعى ومناقبه ، لابن أبى حاتم الرازى . وكان صاحب غرائب وعجائب ، وله مع الأستاذ السيد أحمد صقر أيّام . ومكتبة الشيخ عبد الغنى رحمه الله من أعظم المكتبات الخاصة ، وأحفلها بالنفائس والنوادر . وكان كثير البِرّ بتلاميذه وأبنائه ، وقد تخرَّج عليه عددٌ من أبناء الدول العربية ، وبخاصة طلبة العراق ، والمملكة العربية السعودية . وقد أحسن إلىَّ كثيراً ، وقرَّبنى من مجلسه فى أول اشتغالى بالعلم . توفى عام ١٤٠٣ هـ ، رحمه الله رحمة واسعة .

ومن أعمال الشيخ عضيمة العظيمة كتاب (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) وهو أجلُّ ما عُمِل فى نحو القرآن الكريم ، لا أستثنى كتاباً واحداً ، منذ كتب كاتبٌ إلى يوم الناس هذا . واقرأ تقدمته لشيخ العربية محمود محمد شاكر ، لتعرف مكانه فى المكتبة العربية . وقد كسَرَه الشيخ علَى أقسام ، جاءت فى أحد عشر مجلَّداً .

ومن أعمال الشيخ الجليلة أيضاً ، ذلك الفهرسُ الجامع الذى صنعه لكتاب سيبويه ، وجاء فى نحو ألف صفحة . غير أنى أنبّه طلبة العلم إلى أن هذا الفهرس ، مع جلالته ونفعه لا يُغْنى عن الفهرس الذى صنعه شيخنا بعد السلام هارون ، للكتاب [١] ، وهو المجلد الخامس من طبعة الكتاب ، كما أن فهرس شيخنا لا يغنى عن فهرس الشيخ ، « فكِلاهما فى كفِّه يَزَنِيَّةٌ » [٢] كما قال أبو ذؤيب .

توفى الشيخ عضيمة فى يوم من أيام شهر ربيع الأول ، من هذا العام ١٤٠٤ هـ ، إثر حادث سيارة عقبَ خروجه من مطار القاهرة ، مُنْقَلَبَه من الرياض . ولم يكتب عنه أحدٌ من تلاميذه ، أو المنتفعين بعلمه ، وهذه مِحْنة زماننا . رحمه الله ، ورضى عنه .

ولن أدع الحديثَ عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، حتى أشيرَ إلى أن هذه الروحَ القويّة التى سَرَتْ فى المجلس ، إنما كانت بجهود رئيس لجنة التراث الأستاذ الكبير محمد أبو الفضل إبراهيم .

---

(١) أقول هذا ــ علم الله ــ من باب التجربة والمداخَلة للفهرسين .

(٢) تمامه :

فيها سِنانٌ كالمنارة أصلعُ

وهذا الرجل ــ مهما اختلفت أقوال الناس فيه ــ مَعْلَمٌ بارزٌ من معالم نشر التراث فى مصر .

ومما نشره بمطبعة دار الكتب المصرية : إنباه الرواه على أنباه النحاة ، للقفطى (أربعة أجزاء) . وبهذا الكتاب عُرِف الأستاذ أبو الفضل إبراهيم ، وذُكِر . وله من وراء ذلك تحقيقات كثيرة ، منها : شرح نهج البلاغة ، لابن أبى الحديد (عشرين جزءا) ، تاريخ الطبرى (عشرة أجزاء) ، شرح مقامات الحريرى ، للشريشى (خمسة أجزاء) ، الكامل ، للمبرد (أربعة أجزاء) ، البرهان فى علوم القرآن ، للزركشى (أربعة أجزاء) أمالى المرتضى (جزءان) . ومن كتب الجلال السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن ، تاريخ الخلفاء ، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه (جزءان) ، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة (جزءان) . وله من الكتب والدواوين الشعريّة ذات الجزء الواحد ، كثير .

وقد رأس وشارك مجالسَ عدّة لشئون التراث .

وكان آيةً فى طِيب العِشرة ، وحُسْنِ المذُاكَرَة ، وإيثار السَّلامة ، مما عَطفَ القلوب نحوَه ، وجمع الناسَ حوله . وكان أديباً صاحب عبارة صافية ، وبيان رائقٍ عذب ، تراه فى مقدمة تحقيق ديوان امرئ القيس ، وشرح نهج البلاغة ، كما تراه فى كثير من موضوعات كتاب (قصص القرآن) [1] الذى شاركه فيه من أبناء جيله الأساتذة محمد أحمد جاد المولى ، والسيد

---

(١) رزق هذا الكتاب حظوةً وقبولا عند الناس ، عامّتهم وخاصتّهم ، وقرأه منهم من لا يحصى . وقد طبع نحو عشر طبعات . وهو من مطبوعات المكتبة التجارية لمصطفى محمد . ومثل هذا الكتاب فى الذيوع والانتشار : كتاب قصص العرب ، وكتاب أيام العرب . للثلاثة : أبى الفضل وجاد المولى والبجاوى . والكتابان من منشورات مطبعة عيسى البابى الحلبى .

شحاته ، وعلى محمد البجاوى . وكلهم من أبناء دار العلوم ، فى أيّامها الذهبيّة .

حضرت ندوته ، التى كانت تعقد مساء كلّ جمعة ، فى بيته بمصر الجديدة ، سنين كثيرة ، وعرفت أبناءَ جِيله الذى كانوا يحضرون ندوته ، واحداً واحداً ، وتعلَّمت منه ومنهم الشئ الكثير .

توفى رحمه الله منذ أربع سنوات ، عن عُمْرٍ يدنو من الثمانين . رحمه الله رحمة واسعة سابغة ، وأجزل له المثوبة والرضوان .

* * *

مجمع اللغة العربية

أنشئ فى عهد الملك فؤاد الأول ، سنة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤ م .
وهو من أعرق المجامع اللغوية العربية . وقد اضطلع بأعباء ضخمة ، وقام بجهود عظيمة فى خدمة اللغة العربية ، والنهوض بها ، وشملت عضويته كبارَ العلماء ، من داخل مصر وخارجها ، ولكنّ جهوده فى نشر التراث ظلت محدودة ـــ ولذلك أخّرتُ ذِكرَه إلى هذا المكان ـــ ولم ينشط لذلك إلاّ فى السنوات الأخيرة . حيث أصدر : عجالة المبتدى وفضالة المنتهى ، فى الأنساب لأبى بكر محمد بن موسى الحازمى ، والقلب والإبدال ، لابن السِّكيت . ومن الكتب اللغوية ذات الأجزاء : التكملة والذيل والصلة ، لرضىّ الدين الصاغانى ، وديوان الأدب ، لأبى إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابى ، وهو خال الجوهرى ، صاحب الصحاح ، وغير الفارابى الحكيم الفيلسوف ، أبى نصر محمد بن محمد . والأفعال للسرقسطى . وما وُجد من حواشى ابن برِّى على الصحاح .

وقد عنيت مجلة المجمع بنشر بعض النصوص التراثية ، أذكر منها : نحو القلوب الصغير ، للقشيرى .

ويباشر المجمع فى هذه الأيام طبع كتاب غريب الحديث ، لأبى عبيد القاسم بن سلام ، الذى طبعته دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد ـــ الهند ، مختصراً ، سنة ١٣٨٤ = ١٩٦٥ م .

* * *

الهيئة المصرية العامة للكتاب [(١)]

أنشئت فى أوائل الستِّينات الميلادية ، وبدأت نشاطها بتصوير بعض مطبوعات دار الكتب المصرية ، وتيسيرها للناس بثمنٍ زهيد ، مثل الأغانى ، لأبى الفرج الأصبهانى ، وعيون الأخبار ، لابن قتيبة ، ونهاية الأرب ، للنويرى ، والنجوم الزاهرة ، لابن تغرى بردى ، وصبح الأعشي ، للقلقشندى . وكذلك فعلت بطبعة بولاق من لسان العرب . وكان مشروعاً ناجحاً جداًّ ، لولاء سوءُ التصوير ، وعدمُ العناية بالإخراج .

وقد اتجهت الهيئة إلى استكمال ما توقف من موسوعات دار الكتب المصرية ، فأكملت كتاب الأغانى ، والنجوم الزاهرة ، ولا زالت تواصل إكمال نهاية الأرب .

ثم خططت لجان التراث بالهيئة لنشر بعض الكتب ، ومما أصدرت من ذلك : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، لابن حجر ، وذيل رفع الإصر ، فى أخبار قضاة مصر ، لشمس الدين السخاوى ، وبهجة المَجالس وأنس المُجالس ، لابن عبد البر ، ولطائف الإشارات ، فى تفسير القرآن ، للقشيرى ، ودول الإسلام للذهبى ، وكشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوى (لم يكمل) ، ونثر الدُّرَر ، فى الأدب ، لأبى سعد منصور بن الحسين الرازى الآبى (لم يكمل) . والإعلام بمناقب الإسلام ، للعامرى ، ورسائل ابن سبعين ، والمكتبة الاندلسيّة [(٢)] . وغير ذلك . ويعود نشاط الهيئة المصرية ،

---

(١) تقلبت فى ثلاثة أسماء : إحداها هذا الاسم ، والثانى : الدار القومية للطباعة والنشر . والثالث : المؤسسة المصرية العامة للكتاب .

(٢) سيأتى حديث عنها ، فى ذكر جهود المستشرقين فى نشر التراث .

فى أول عهدها ، إلى جهود الدكتور محمد عبد القادر حاتم ، وزير الثقافة والإرشاد القومى .

ومن أضخم أعمال الهيئة : نشر كتاب تهذيب اللغة ، لأبى منصور الأزهرى ، وهو من كتب اللغة الأصيلة ، وقد جعله ابن منظور صاحب لسان العرب ، من مصادره الخمسة .

وجاءت هذه الطبعة فى خمسة عشر جزءا ، وهى طبعة غير محرَّرة (باستثناء بعض الأجزاء) لا تليق بمكانة الكتاب ، ولا بمكان صاحبه . وبعد صدور الكتاب وتداوُلِه بين الناس ، اتضح أن به نقصاً فى بعض الموادّ اللغوية ، وقد تنبّهت لهذا أيام اشتغالى بتحقيق كتاب الغريبَيْن ، لأبى عبيد الهروى ، إذ كان تلميذاً للأزهرى ، ومن كتابه صنَّف غريبه ، كما يقول ابن خلّكان [(١)] .

وقد جمع هذا النقصَ من مخطوطات الكتاب ، صديقُنا البغدادى الدكتور رشيد العبيدى ، ونشره فى جزء مستقل ، بمطابع الهيئة أيضاً ويقع هذا النقص بين الجزءين الثامن والتاسع . وفى ظنى أن لا يزال فى الكتاب نقص . والكتاب بحاجة إلى نشر جديد .

وقد أحسن شيخى عبد السلام هارون ، حين صنع لهذا الكتاب الكبير فهرساً نافعاً ، دلَّ على مفرداته اللغوية ، وأشعاره ورجزه ، ونشره فى مجلد كبير ، بمكتبة الخانجى .

ومهما يكن من أمر ، فإن الهيئة تواصل نشاطها فى نشر التراث وإذاعته ، ونرجو لها اطّراد التوفيق والنجاح .

* * *

---

(١) انظر مقدمة تحقيق الغريبين ص ١٧ . وكان ذلك منذ خمسة عشر عاماً ، ولعلى أول من تنبه لهذا النقص فى الكتاب .

المجلس الأعلى للفنون والآداب

قامت من بين لجانه ، لجنةٌ للتراث ، نشرت بعض النصوص التراثية المُجازَة جامعياً ، ومن ذلك : شعر الأحوص الأنصارى ، الذى نشره صديقى الدكتور عادل سليمان جمال ، وديوان ابن سناء الملك ، الذى حققه الأستاذ إبراهيم نصر .

كما أعاد المجلس نشر بعض مطبوعات دار الكتب المصرية ، مثل : ديوان الهذليين ، وشروح سقط الزند ، وتعريف القدماء بآثار أبى العلاء المعرى ، وكتاب الفاضل للمبرد ، ودواوين زهير ، وابنه كعب ، وحميد بن ثور ، وسحيم عبد بنى الحسحاس .

وتُعدَّ مصوَّرات المجلس هذه ، أرقى وأجملَ من مصورات الهيئة العامة للكتاب ، التى تحدثت عنها قريبا .

* * *

دار العروبة

فى ختام حديثى عن تاريخ نشر التراث فى مصر ، أجد لِزاماً أن أقف عند دارٍ من دور نشر التراث فى مصر ، كانت مرجوَّةً لخيرٍ كثير ، لولا أن اغتالتها يدُ الطُّغيان . تلك هى (دار العروبة) التى قامت بالقاهرة منذ نحو خمسة وعشرين عاماً .

وكان بدايتها (لجنة الشباب المسلم) التى تكوَّنت من بعض شباب الإخوان المسلمين ، الذين كانوا يؤمنون بضرورة الاهتمام بالجانب الفكرى والتربوى فى الإسلام ، وعدم التركيز على الجانب العسكرى ، مع إيمانهم العميق بوجوب الجهاد لإعلاء كلمة الله .

وقد قامت هذه اللجنة عام ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م ، واتخذت لها مكتبةً بسِكَّة راتب بالحلمية الجديدة ، أمام المركز العام للإخوان المسلمين . وكان أعضاؤها : محمد رشاد سالم ، وعبد الحليم محمد أحمد ، وأحمد البساطى ، وعبد النافع السباعى ، وعبد العزيز السِّيسى (وقد توفى هؤلاء الثلاثة ، رحمهم الله) . وانضم إلى اللجنة : أحمد كمال أبو المجد ، وجمال الدين عطية [١] . وأدار مكتبتها : إسماعيل عبيد .

---

(١) هؤلاء هم شباب مصر ، فى تلك الأيام ، وكلهم الآن خارج مصر : الأستاذ الدكتور محمد رشاد سالم ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، بالرياض ، وهو أحد القلائل ، الذين توفرّوا على فكر شيخ الإسلام ابن تيمية ، وإبراز كنوزه ، وقد أخرج له جزءين من « منهاج السنة النبوية » ، وكتابه الكبير : « درء تعارض العقل والنقل » ـــ أحد عشر جزءا ـــ وغير ذلك . وهو من قبل ذلك ، ومن بعده مَثَلٌ كامل للطهارة والنقاء . والأستاذ الدكتور أحمد كمال أبو المجد ، من كبار المشتغلين بقضايا الإسلام ، وقد تولىَّ الوزارة بمصر فى الستينات الميلادية ، وهو الآن أستاذ بجامعة الكويت . والدكتور جمال الدين =

وكان تمويل اللجنة الأساسى ، على عاتق محمد رشاد سالم ، وحده . ثم كان يوجّه اللجنةَ فكريًّا شيخُ العربية محمود محمد شاكر . وقد شارك ــ حفظه الله ــ فى نشاط اللجنة ، بتحقيق « رسالة الصلاة » للإمام أحمد ابن حنبل .

ومن منشورات اللجنة رسالة لأبى الحسن الندوى ، بعنوان : « أريد أن أتحدث إلى الإخوان » ، وبعض رسائل لأبى الأعلى المودودى . وكتاب « أبو بكر الصديق » للأستاذ على الطنطاوى .

وفى تلك الأيام ثار عجاجٌ أسودُ كئيب ، حولَ بعض الصحابة ، رضوان الله عليهم ، قام له وبدَّدَه الأستاذ محمود محمد شاكر ، بعِدّة مقالات فى جريدة « المسلمون » ، بعنوان « لا تسبُّوا أصحابى » .

ثم دعت اللجنة الأستاذ محب الدين الخطيب ؛ ليشترك فى التصدِّى لهذا الضَّلال ، فاستخرج ، رحمه الله ، جزءاً نشرته اللجنة ، من كتاب « العواصم من القواصم » لأبى بكر بن العربى . وهذا الجزء يتصل بتاريخ الصحابة ومواقفهم ، وما يجب على المسلمين من توقيرهم .

وفى سنة ١٩٥٤ م كانت المحنة الثانية [١] لجماعة الإخوان المسلمين ، وانطفأت جذوةُ الشباب المسلم ، واغتيلت لجنتهُ .

ومرّت الأيام ، وهدأت الفتنة ، ودعا شيخ العربية محمود محمد شاكر ، الأستاذ إسماعيل عبيد ؛ ليعيد البناء المتهدّم ، بتصميم جديد ،

= عطية ، أحد رجال الاقتصاد الإسلامى ، ويشرف الآن على أحد البنوك الإسلامية فى لوكسمبورج . والأستاذ عبد الحليم محمد أحمد ، صاحب مكتبة دار القلم بالكويت .

(١) وكانت المحنة الأولى فى عام ١٩٤٩ م

وطموحات كبرى ، فكانت مكتبة « دار العروبة » ، وحين عاد الدكتور محمد رشاد سالم من بعثته بانجلترا ، استقرت الدار شركةً بين الثلاثة .

وقد وضع الأستاذ محمود محمد شاكر ، فى هذه الدار ، كلَّ أحلامه وتصوراته ، فيما ينبغى أن يكون عليه الكتاب العربىّ ، من جودة الطبع ، وحُسْن الإخراج .

وكان من بواكير أعمال الدار كتاب « شرح أشعار الهذليين » صنعة أبى سعيد السّكّرى ، وقد صدر فى ثلاثة أجزاء من القطع الكبير ، مع فهارس فنيّة جامعة ، بتحقيق المرحوم الأستاذ عبد الستار أحمد فرّاج ، ومراجعة الأستاذ محمود ـــ أطال الله بقاءه ، ومتعّه بالسَّلامة والعافية ـــ وقد تحلَّى هذا الكتابُ الجليل بتصحيح أخٍ ذكىّ القلب واللسان ، هو الأستاذ عبد الحميد بسيونى .

ثم توالت النفائس ، فكان منها : جمهرة نسب قريش وأخبارها ، للزبير ابن بكار ، بتحقيق شيخنا محمود محمد شاكر ، وديوان عبد الله بن الدُّمَيْنَة ، من تحقيق شيخ الشام ، بل شيخ الدنيا ، أحمد راتب النفّاخ ، وكان أطروحة لدرجة الماجستير من جامعة القاهرة ، ولكنْ أىّ أطروحة ! وديوان قيس بن الخطيم ، بتحقيق الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد . وكتاب إيضاح علل النحو ، للزَّجّاجى ، بتحقيق الدكتور مازن المبارك ، وكتاب حَذْفٍ مِن نسب قريش ، لأبى فيد مؤرِّج السَّدُوسِى ، بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . ومخطوطة هذا الكتاب من أنفس ما احتفظت به مكتبات المغرب الأقصى العزيز ، وهى نسخة فريدة ، لا أعلم لها ثانية فى مكتبات العالم ، وقد كتبها عالِم معروف ، هو أبو إسحاق النجيرمى ، إبراهيم بن عبد الله بن محمد ، المتوفى نحو سنة ٣٥٥ هـ ، وهو صاحب كتاب أيمان العرب [١] .

---

(١) الذى نشره الشيخ محب الدين الخطيب ، وسبق الحديث عنه .

ومن الدراسات الجليلة التى نشرتها دار العروبة ، كتاب « الظاهرة القرآنية » للمفكر الإسلامى الجزائرى مالك بن نبى رحمه الله ، وقد ترجمه عن الفرنسية الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين . وقدَّم له الأستاذ محمود محمد شاكر بمقدمة عالية نفيسة ، فى إعجاز القرآن الكريم . وقد استخرج هذه المقدمة صديقنا الفاضل المغربى الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس ، ونشرها بمجلة دعوة الحق المغربية ، منذ بضع سنوات .

وكان ممَّا جرى فى تلك الأيام ، أن الأستاذ الدكتور طه حسين ، رحمه الله ، كان معنيًّا بإخراج كتاب « المغنى فى أبواب التوحيد والعدل » للقاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى . وهذا الكتاب من أصول المعتزلة ، وهو كتاب كبير ، وقد حصل الدكتور طه حسين ، على عونٍ من وزارة الأوقاف المصرية ، لطبع الكتاب ، وكان وزير الأوقاف وقتئذ الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى ، وكان من أوِدَّاء الأستاذ محمود محمد شاكر ، ومن ملازمى مجلسه ، فكلمه الأستاذ محمود ، على طريقته إذا تحمَّس لشىء وآمن به ، وقال له : ما ينبغى أن تعين وزارة الأوقاف على نشر تراث المعتزلة ، ولا يكون لها إسهام فى نشر كتب السَّلف ، فوافق الشيخ الباقورى على ما أراد شيخنا ، وأعانت الوزارة دار العروبة ، فى نشر كتاب « منهاج السنّة » لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وصدر منه جزءان ، بتحقيق الأستاذ الدكتور محمد رشاد سالم ، كما سبق .

وفى سنة ١٩٦٥ م كانت المحنة الثالثة لجماعة الإخوان المسلمين ، وكانت فتنةً عمياء ، أطاحت فيما أطاحت بمكتبة دار العروبة . وقُضى على أحد الآمال الكبار ، فى نشر التراث العربى وإذاعته . وإلى الله المشتكى .

وقد استقلّ الأستاذ إسماعيل عبيد ، بعد ذلك بدار العروية ، واختار لها اسماً جديدا ، هو : دار التراث . وأصدر عدة نصوص ، منها : متشابه

القرآن ، للقاضى عبد الجبار ، بتحقيق الدكتور عدنان زرزور ، والديباج المذهب ، لابن فرحون ، ودرة الحجال فى أسماء الرجال ، لابن القاضى ، كلاهما بتحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور . كما أعاد نشر كتاب تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، بتحقيق أستاذنا السيد أحمد صقر . وكانت طبعته الأولى بمطبعة عيسى البابى الحلبى .

* * *

نشر التراث العربىّ خارج مصر

النشر فى تركيا

شاركت البلدان العربيّةُ والإسلاميّة مصر ، فى نشر التراث العربىّ ، مشاركةً ظاهرة ، وقد سبق القولُ فى صدر هذا المدخل ، أن الآستانة (استانبول) عاصمةَ الخلافة العثمانية ، كانت أسبقَ مدنِ الشرق إلى الطباعة العربية ، وكان من أشهر مطابعها التى عنيت بنشر التراث ، مطبعة الجوائب ، التى أنشأها أحمد فارس الشدياق ، ونشر فيها طائفة صالحة من كتب التراث . وكذلك المطبعة العامرة ، التى نشرت كتباً كثيرة ، منها : شرح كافية ابن الحاجب ، للرضى ، عام ١٢٧٥ هـ ، والكليات ، لأبى البقاء الكفوى ، عام ١٢٨٧ هـ . وقد حكى لى المرحوم الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب ــ نقلاً عن الشيخ أحمد محمد شاكر ، رحمه الله ــ أن هذه الطبعة من الكليّات ، تفضل طبعة مصر [١] ، وشرح الشافية ، للجاربردى ، عام ١٣١٠ هـ . ومن أنْفَس مطبوعات هذه المطبعة ؛ من حيث العنايةُ بالضبط والتصحيح والإخراج ، صحيح مسلم ، الذى بدأت المطبعة نشرَه سنة ١٣٢٩ هـ ، وأتّمتْه سنة ١٣٣٤ هـ ، وجاء فى ثمانية أجزاء [٢] .

---

(١) كان ذلك فى أثناء إقامتنا باستانبول عام ١٣٩٠ هـ ، وكنت قد اشتريت نسخة من الكتاب ، من الحاج مظفر ، بمكتبته بالقرب من جامع بايزيد . وهذا الحاج مظفر من أشهر الورّاقين فى استانبول ، وله صلات كثيرة بعلماء العالم .

(٢) انظر وصف هذه الطبعة ، وما بذل فيها من عناية تامة وتصحيح دقيق ، فى مقدمة طبعة عيسى الحلبى من صحيح مسلم التى أخرجها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، رحمه الله .

وقد تأثرت الطباعةُ فى استانبول ، فى تلك الأيام ، بالطباعة المصريّة ، تصحيحاً وإخراجاً ، وآية ذلك ما تراه فى آخر طبعة صحيح البخارى ، التى صدرت هناك عام ١٣١٥ هـ ، إذ يقول مصحّحها محمد ذهنى : وشكر الله مساعىَ أفاضل العلماء ، من مصحِّحى المطابع المصريّة ، الأماثل الكرماء ، فإن فضيلة التقدّم لهم ، وغيرهم حاذٍ فى هذا الأمر حَذْوَهم » .

وقد ضعفت الطباعة العربيّة فى تركيا ، بعد تغلّب مصطفى كمال أتاتورك ، وقضائه على الخلافة العثمانية .

وفى السنوات الأخيرة عادت تركيا إلى وجهها الإسلامى ، وظهرت من جديد محاولات جادّة ومخلصة ، لوصل ما انقطع ، وتمَّ ذلك على يد الشباب التركىّ الجامعىّ ، الذى نشر أصولاً جيّدة من التراث ، منها : كتاب العلل ومعرفة الرجال ، للإمام أحمد بن حنبل (الجزء الأول) أنقرة ١٩٦٣ م ، وشرف أصحاب الحديث ، للخطيب البغدادى أنقرة ١٩٧١ م . ومما نشر بأنقرة أيضا ، فى السنوات القريبة ، الاقتراح فى أصول النحو ، للسيوطى ، وديوان قيس بن الملوح ، مجنون بنى عامر .

وينبغى أن نضمّ لهذه الجهود التركية الحديثة فى نشر التراث ، عمل الدكتور محمد فؤاد سزجين فى تحقيق مجاز القرآن ، لأبى عبيدة ، وإن كان قد نشره بمصر ، صدر الجزء الأول عام ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م ، والثانى عام ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م .

ومما نشر باستانبول أيضا : كتاب المكاثرة عند المذاكرة ، لجعفر بن محمد بن جعفر الطيالسى ، بتحقيق الدكتور محمد بن تاويت الطنجى . نشر بمجلة الشرقيات ، بجامعة استانبول عام ١٩٥٦ م .

* * *

نشر التراث فى لبنان ــ بيروت

سبق القولُ أيضاً ، أن الطباعة العربية ، عُرِفت مبكِّراً فى لبنان ، على يد الرهبان ، من الكاثوليك والأرثوذكس . وكان من أشهر المطابع البيروتية التى عنيت بإخراج التراث : المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، ومطبعة المعارف ، للبستانى ، وقد ذكرت أشياء مما طبعته هاتان المطبعتان من قبل .

وفى العصر الحديث تعددت دور النشر فى بيروت ، وكثرت كثرةً ظاهرة ، فكان من أشهرها دار صادر ، ومن أبرز أعمالها التراثية نشر كتاب « لسان العرب » لابن منظور ، بعد أن عزَّت طبعة بولاق . وهى نشرة جيدة المظهر ، اعتمدت فيها على طبعة بولاق (١) ثم تصوير الطبعة المصرية ، من كتاب « تاج العروس » ، للمرتضى الزبيدى ، وكان ذلك فى سنة ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م ، لحساب دار ليبيا للنشر والتوزيع ــ بنى غازى .

وقد نشرت دار صادر كثيراً من كتب التراث ، وبخاصة دواوين الشعر العربى ، فى عصوره المختلفة ، ويغلب على منشوراتها التراثية الطابعُ التجاريّ ، الذى لا يُعنى بجمع النسخ المخطوطة للكتاب ، وصنع الفهارس

---

(١) يقول عنها شيخى عبد السلام هارون : « وقد نشر لسان العرب ، للمرة الثانية ، فى دار صادر ، ببيروت ، من سنة ١٩٥٥ م إلى سنة ١٩٥٦ م ، فى ٦٥ جزءا [من الأجزاء الصغار] . وكان من المتوقّع أن تسلم هذه النشرة من كثير من أخطاء النشرة الأولى ، ولكن من المؤسف أن الأخطاء والتحريفات التى وردت فى النشرة الأولى ، أى طبعة بولاق ، قد زِيد عليها كثير من أمثالها ، وإن كان من الحق أن بعض الأخطاء القديمة قد عُولج فيها بنسبة ضئيلة جدا » . تحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب ص ٤

الفنية ، إلاّ ما تراه من بعض المطبوعات التى قام عليها الأستاذان الفاضلان الدكتور إحسان عباس ، والدكتور محمد يوسف نجم ، وهما من أهل العلم والخبرة .

ومن دور النشر الشهيرة فى بيروت أيضا : دار الفكر ، ودار الثقافة ، وهذه الدار كان يوجِّهها الدكتور إحسان عباس ، وكثيرٌ من أعماله خرج من هذه الدار . والمكرَّر من حديث الدكتور إحسان يَحْلُو ، فقد كان من أعماله الجليلة قيامه بنشر الموسوعات التراثية ، ومنها : وفيات الأعيان ، لابن خلّكان ، وفوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبى ، ونفح الطيب للمقرى ، والذخيرة ، لابن بسَّام . وقد انتفع بعلمه وخُلقه عددٌ من الشبّان ، منهم تلميذته النابهة الدكتورة وداد القاضى .

وخلاصة القول أن بيروت قدمت جهوداً طيِّبةً ، فى نشر التراث العربىّ ، على امتداد سنين طويلة ، ولكنّ هذه الجهودَ العظيمة طمَسَتْها جهودٌ أخرى ظالمة ، أكلت حقوقَ الناس أكلا ، واغتالت تاريخَهَم اغتيالا ، وأعنى تلك المطابعَ التى أغارت على أعمال المحققين ، ونشرتْها دون إذنٍ منهم ، أو من ورثتهم ، وقد كان الخطب يهون لو أنهم أبقوا على أسمائهم ، كما فعلوا فى بدء ظهور الفتنة ــ فيذهب المال ، ويبقى المجْد ــ ولكنهم تمادوا فى الشرِّ والعدوان ، فأسقطوا أسماء المحققين من فوق الأغلفة ، ومن آخر المقدمات ثم مَحَوْا أسماء المطابع الأولى من آخر الكتب . وقد أشرت إلى أمثلة من ذلك فى صدر البحث .

* * *

نشر التراث فى سوريا

كان ظهور الطباعة العربية المبكِّر فى لبنان ، إيذاناً بظهوره فى سوريا ، فالبلدتان متجاورتان ، بل هما فى القديم بلدٌ واحد ، لكنّ حركة النشر فى مطابع سوريا كانت حركة عربيّة إسلامية ، ولم تصطبغ بالصبغة المسيحيّة ، كما عرفنا فى بداية الطباعة فى لبنان .

وقد كان لوجود المكتبة الظاهريّة بدمشق — وهى إحدى خزائن المخطوطات الكبرى فى العالم — وإنشاء المجمع العلمى العربى ، نحو سنة ١٣٣٨ هـ ، ووفرة العلماء الأثبات ، من أمثال عبد القادر بدران المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ ، وجميل العظم المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م [(١)] ، ومحمد راغب الطباخ المتوفى سنة ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م ، ومحمد كرد على المتوفى سنة ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م ، وغيرهم ممن لا أُحصِى ، والورَّاقين النابهين الأدباء ، مثل أحمد عبيد [(٢)] ، أمدَّ الله فى عمره . ثم الصلات المتينة بين هؤلاء العلماء فى سوريا ، وعلماء التراث فى المشرق والمغرب ، والمستشرقين . كان لذلك كلّه أثرٌ بارز فى تنشيط حركة نشر التراث ، فتَعدّدت المطابع فى دمشق وحلب . ومن أشهر

---

(١) كان — رحمه الله — من المعنيين بجمع نفائس المخطوطات ، وله مصنفات ، منها : السِّر المصون ، ذيل كشف الظنون ، لا يزال مخطوطا . الأعلام ١٣٩/٢

(٢) هو صاحب المكتبة العربية بدمشق . وهو ممن يعتنون بجمع نوادر المخطوطات . وقد أفاد منه ، ومن مكتبته العلاّمة الزركلىّ ، وأشار إليه فى غير موضع من الأعلام . ومن تحقيقات الأستاذ أحمد عبيد : سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم الطبعة الأولى بدمشق ١٣٤٥هـ ، والثانية بالقاهرة ١٣٧٣ هـ ، نشرها الأخ الفاضل الصادق الحاج وهبه حسن وهبة .

المطابع التراثيّة فى دمشق مطبعة الترقىّ . وكثر إنتاج هذه المطابع ، ما بين كتاب صغير إلى كتابٍ ذى أجزاء .

أما النشر العلمىّ للتراث فلم يأخذ صورته الكاملة إلاَّ فى مطبوعات المجمع العلمى العربىّ ـــ الذى سُمِّى فيما بعد بمجمع اللغة العربية .

لقد أخرج هذا المجمع قدراً عظيما من كتب التراث ، المحققة تحقيقا جيّداً ، وتدور معظم النصوص التى نشرها حول اللغة والأدب والشعر ، وقام على تحقيقها نخبة من كبار علماء سوريا ، أذكر منهم الأساتذة : محمد كرد على ، وخليل مردم بك ، ومحمد بهجة البيطار ، وعز الدين التنوخى ، ومحمد أسعد طلس ، وأحمد الجندى ، وعمر موسى باشا ، وعِزّة حسن ، وشكرى فيصل .

كما نشر المجمع لطائفة من شباب العلماء السوريين ، منهم : عبد المعين الملُّوحى ، ومحيى الدين رمضان ، وفخر الدين قباوة ، ومحمد على سلطانى ، وأحمد الخرّاط ، وياسين السَّوَّاس ، وعبد الإله نبهان (وهذا الشابّ تُنْبِىء أعمالهُ عن مستقبل طيِّب) [١] .

ثم أفسح المجمعُ موضعا لبعض المحقّقين العرب من غير سوريا ، أذكر منهم العلاَّمة محمد بهجة الأثرى ، العراق ، الذى نشر له المجمع تفسير أرجوزة أبى نواس ، لابن جنى ، سنة ١٩٦٦ م ، والدكتور رمضان عبد التواب ، المصرى ، ونشر الأمثال لأبى عكرمة الضبىّ ، سنة ١٩٧٤ م ، ومحمد الديباجى ، المغربى ، ونشر التعازى والمراثى ، للمبرد ، سنة ١٩٧٦ م .

وتُعدَّ مجلة المجمع صورةً أخرى من صور نشاط السوريين ، فى

---

(١)انظر تحقيقه لكتاب إعراب الحديث النبوى ، للعكبرى ، الذى نشر سنة ١٩٧٧ م

نشر التراث ، وبخاصة تلك الرسائل الصغيرة ، إلى جانب الدراسات الجادة العميقة فى مختلف فروع التراث [١] . وقد أفسحت المجلة صفحاتها للأقلام العربية وغير العربية من مختلف البلدان [٢] . وتعتبر هذه المجلة من أعلى مجلات المجامع العلمية العربية .

وقد ظهر إلى جانب نشاط المجمع ، نشاط حكومىّ آخر ، هو ما قامت به وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، من جهدٍ بارز فى نشر التراث ، ويدور معظم نشاط هذه الوزارة أيضا ، فى اللغة والأدب والشعر .

وهناك هيئة حكومية ثالثة فى سوريا ، هى (معهد التراث العلمى) فى حلب ، وتَخْلُص جهود هذا المعهد إلى إبراز أثر العرب فى مجال العلوم الطبيعية والتطبيقية ؛ دراساتٍ ونصوصاً محققة ، إلى ما يعقده من مؤتمرات وندوات حول هذا الجانب من التأليف العربى ، الذى اهتمَّ به المستشرقون أكثر من اهتمامنا نحن العرب .

وفى السنوات الأخيرة قامت بعض دور النشر الخاصّة فى سوريا ، بنشر بعض الموسوعات التراثية . وكان أسبقَ هذه الدور ظهوراً : المكتب الإسلامى ، ويديره الأستاذ الفاضل محمد زهير الشاويش ، الذى نشر عيوناً من التراث ، منها : كتاب شرح السُّنّة للبغوى (خمسة عشر جزءا ، وجزء للفهارس) ، وكتاب زاد المسير فى علم التفسير ، لأبى الفرج بن الجوزى

---

(١) ومن أنفس ما نشرته مجلة المجمع فى السنوات الأخيرة ، ذلك البحث الذى كتبه شيخنا العلاّمة أحمد راتب النفاخ ، فى تصحيح نسبة كتاب « إعراب القرآن » المنسوب خطأً إلى أبى إسحاق الزجاج .

(٢) وممّا أعتزُّ به أنى نشرت بها فى سنة ١٩٧٦ م بحثاً عن النسخة الثانية التى اكتشفتُها من كتاب « الفرق » لثابت بن أبى ثابت . وكان الأستاذ محمد الفاسى قد نشره عن نسخة وحيدة ، بالرباط .

(تسعة أجزاء) إلى كتبٍ أخرى ، من ذوات الجزء الواحد ، وبعض دواوين الشعر ، منها ديوان النابغة الجعدى ، رضى الله عنه ، وديوان ذى الرمة .

ويلقى الأستاذ زهير الشاويش ، عوناً ظاهراً من المملكة العربية السعودية ودولة قطر .

ومن هذه الدور الخاصة أيضا : مكتبات الحلوانى ، والملاَّح ، ودار البيان ، التى أخرجت كتاب جامع الأصول من أحاديث الرسول ـــ ﷺ ـــ لمجد الدين بن الأثير (أحد عشر جزءا ـــ أردفتْها بجزئين للفهارس) . وهذه الطبعة أصحُّ من طبعة مصر التى أخرجها الشيخ محمد حامد الفقى . وقد أشرت إلى ذلك ، فى الحديث عن الشيخ الفقى . على أن هذه الطبعة الدمشقية قد أخلَّتْ بشيءٍ من آخر الكتاب ، وهى خاتمته فى بيان الأسماء والكنى ، والأبناء والألقاب والأنساب الواردة فى الكتب الستّة . وقد تعجَّب من ذلك مولانا حبيب الرحمن الأعظمى ، فقال أحسن الله إليه : « هذا ولا ينقضى عجبى من صنيع الناشرين لجامع الأصول ، فإنهما لم يقدرا هذا الركن من جامع الأصول ، ما يستحقه من التقدير والعناية بنشره ، فأهملاه رأساً ، مع أن فيه من الفوائد الهامة ما لا يستغنى عنه محدّث ، ولا معلِّم ، ولا متعلم ، وفيه ما لا يمكن تمام الاستفادةِ من الركن الثانى إلاَّ بمعرفته » [1] .

ومنها : مؤسسة الرسالة ، وقد نشرت نصوصاً كثيرة ، ومن أنفس ما

---

(١) تلخيص خواتم جامع الأصول ، لمحمد طاهر الفَتَّنى . تحقيق مولانا المحدّث الجليل الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى ، ص ج من مقدمة تحقيق الكتاب . وقد طبع هذا الكتاب فى علمى بريس بالهند ، بدون تاريخ . وقد تفضل الشيخ الجليل فأهداه إلىَّ بمكة المكرمة ، عام ١٤٠٠ هـ .

باشرت طبْعَه كتاب سير أعلام النبلاء ، للحافظ الذهبى . وتحقيق الكتاب وإخراجه جيّدٌ جدا ، يليق حقاً بمكانة الكتاب ومكان صاحبه فى المكتبة العربية ، وقد بدأت طبعه ، سنة ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م ، وظهر منه حتى سنة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م خمسة عشر جزءاً ضخاماً .

ويشرف على تحقيق الكتاب ، ويخرِّج أحاديثَه الشيخ شعيب الأرنؤوط ، جزاه الله خير الجزاء ، وتصدرت الجزءَ الأول مقدمةٌ نفيسة ، عن الذهبى وكتابه ، للصديق المحقِّق الدكتور بشار عوَّاد معروف البغدادى الكرخى .

وقد استعان الشيخ شعيب الأرنؤوط ، على تحقيق الكتاب بمجموعة من المحقِّقين ، ذوى أسماء جديدة فى عالم التحقيق ، ولكنهم كشفوا عن خبرة جيّدة بفنّ تحقيق النصوص ، وإدراك خباياه .

وهذا الكتاب العظيم مما تعثَّر فيه معهد المخطوطات ، ووقف عند الجزء الثالث ، كما ذكرت من قبل .

ولابدّ من التنويه هنا بفضل ناشر الكتاب ــ ولست أعرفه ــ الأستاذ رضوان دعبول ، الذى عرف جلالةَ الكتاب ، وسعى لها سَعْيَها ، من الإخراج الجيّد ، والتأنُّق فى الطبع ، والسَّخاء على المحقّقين ، وموالاة طبع أجزاء الكتاب ، ولو لم يكن فى هذا العمل إلاّ جُرْأتُه عليه واقتحام لُجته ، لكان فى ذلك ما يدعو إلى الثناء عليه والدعاء له . فإنى خبيرٌ بالناشرين ، وتجنُّبِهم لمثل هذه الأعمال الموسوعيّة التى تهُزّ رأسَ المالِ هزاً ، ولا تأتى بعائدٍ سريع .

وليت الأستاذ رضوان ، والشيخَ شعيباً يفرغان لكتاب الذهبىّ الآخر : « تاريخ الإسلام » ، الذى طبع منه المرحوم الأستاذ حسام الدين

القدسىّ ، خمسة أجزاء ، فيكون قد بدأ طبْعَ الكتاب دمشقىّ ، وأتمَّه دمشقىّ ، ومن قبلُ ألَّفه دمشقىّ ، فإن الحافظ الذهبى ــ رحمة الله عليه ــ وُلد وتوفىّ بدمشق .

ومن دور النشر الخاصة بسوريا أيضا : دار المأمون للتراث ، التى يقوم عليها الأخوان الفاضلان : عبد العزيز رباح ، وأحمد يوسف الدقاق . ومن الموسوعات التى نشرتها هذه الدار : شرح أبيات مغنى اللبيب ، للعلاّمة عبد القادر البغدادى (ثمانية أجزاء) .

وبعد صدور هذه الكتاب ، وخزانة الأدب ، لم يبق من موسوعات البغدادىّ سوى حاشيته على شرح بانت سعاد ، لابن هشام ، وقد سمعت أن بعضهم مشغولٌ بها هذه الأيام .

ومن النصوص الأصيلة التى باشرت دار المأمون نشرها : كتاب الحجّة فى تعليل القراءات السبع ، لأبى على الفارسى ، ولعل الجزء الأول منها يظهر هذا العام إن شاء الله . ومعلوم أن الجزء الأول من هذا الكتاب كان قد صدر فى القاهرة ، منذ نحو عشرين عاماً بتحقيق الأساتذة عبد الحليم النجار ، وعلى النجدى ناصف ، وعبد الفتاح إسماعيل شلبى .

ولن أدع حديثى عن تاريخ نشر التراث فى سوريا ، حتى أشير إلى جهود بعض الشباب الذين عُرفوا بعنايتهم بالتراث ونشر نصوصه ، وأذكر منهم الأخوين الصديقين فخر الدين قباوة ، ومحمد رضوان الداية .

أما الدكتور فخر الدين قباوة ، فقد اندفع إلى نشر النصوص ، غداةَ حصوله على الدكتوراه من جامعة القاهرة ، وهو من أنشط الناشرين الجامعيِّين وأدْأبهم ، ومما أخرجه :

الاختيارين ، للأخفش الأصغر على بن سليمان . شرح اختيارات المفضل ، للتبريزى . شرح القصائد العشر ، للتبريزى أيضا . شعر زهير بن

أبى سلمى ،صنعة الأعلم الشنتمرى . شعر الأخطل ، صنعة السُّكّرى ، شرح الملوكى فى التصريف ، لابن يعيش ، الممتع فى التصريف ، لابن عصفور . الجنى الدانى فى حروف المعانى ، لابن أم قاسم المرادى ، بالاشتراك مع الأستاذ محمد نديم فاضل .

وأما الدكتور محمد رضوان الداية ، فقد كان خلال إعداده للدكتوراه بجامعة القاهرة معنياً بالمخطوطات ونوادرها ، وقد صوَّر كثيراً من نفائس دار الكتب المصرية ، ومعهد المخطوطات ، وفى أثناء ذلك أخرَج هو والصديق الدكتور عدنان زَرْزُور ، كتاب الجمان فى تشبيهات القرآن ، لابن ناقيا البغدادى . وحين عاد إلى دمشق ، أخذ فى إخراج ما فى جعبته ، ومما نشره :

نثير الجمان فى نظم فحول الزمان ، لابن الأحمر ، إحكام صنعة الكلام ، لأبى القاسم الكلاعى . المعيار فى أوزان الأشعار والكافى فى علم القوافى ، لأبى بكر الشنتريني ــ ولشيخنا العلاَّمة أحمد راتب النفاخ ، عليه نقدٌ عالٍ [١] ــ ديوان أبى إسحاق الألبيرى . شرح مشكل شعر المتنبى ، لابن سيده . التنبيه [٢] على الأسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم ، لابن السِّيد البطليوسى .

وقد ذكرت هذين الصديقين المحققين ؛ لأدلَّ على اتصال أجيال علماء التراث فى سوريا ؛ لأنى أرصد هذه الظاهرة ، وأتتبَّعها فى مختلف البلدان العربية ، وغير العربية . وأتمنّى ألاَّ تنقطع الوشائج والصلات بين الأجيال ، فيما يتصل بنشر التراث وإذاعته . وإن تباينت هذه الأجيالُ قوّةً وضعفا .

* * *

---

(١) نشره فى مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة . الجزء الثانى من المجلد الخامس عشر ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م

(٢) ويسمى : الإنصاف فى التنبيه ...

نشر التراث فى العراق

سبق القولُ أن الطباعةَ العربيّة قد ظهرت فى العراق عام ١٨٣٠ م ، وكانت مطبعة حجرية . ثم أسَّس الرُّهبان الدومينيكان فى الموصل ، مطبعة كاملة سنة ١٨٥٦ م .

وتوالت الأيام ، وتعددت المطابع فى بغداد ، والموصل ، والنجف ، وغيرها من عواصم العراق ، ونشرت فيما نشرت كتباً من التراث ، ثم أنشئ المجمع العلمى العراقى فى بغداد ، سنة ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٧ م ، فغذّى حركة نشر التراث فى العراق ، ونمَّاها .

ونطوى أيام العراق المجيدة فى نشر التراث ، لنصلَ إلى السنوات الأخيرة ، حيث نرى نهضةً عارمة فى نشر التراث ، ونشاطاً ظاهراً فى إخراج النصوص من مختلِف فروع التراث ، يقوم به شيوخ العراق وشبابه ، مما لا يُعرف فى أىّ قُطرٍ عربىٍّ آخر ، فى تلك السنوات المذكورة .

ولابُدَّ من التذكير بأن العراق الحديث ــ فيما يتصل بنشر التراث ، والاهتمام بعلومه ــ لم يعرف الفواصل بين الأجيال ، فجيل محمود شكرى الآلوسى ، ومحمد بهجة الأثرى ، ومصطفى جواد ، وناجى معروف ؛ وأحمد ناجى القيسى ، وصالح العلى ، موصولٌ بجيل إبراهيم السامرائى ، وهلال ناجى ، وأحمد مطلوب ، ونورى القيسى ، وأكرم ضياء العمرى ، وبشار عوَّاد معروف ، وحاتم صالح الضامن ، وعبد الله الجبورى ، وسامى مكى العانى [1] .

---

(١) هذه الأسماء دالَّةٌ على غيرها ، من أحبابنا العراقيين ، الذين سعدت بصداقتهم ، والذين ملأوا الساحة تحقيقاً ونشراً ، وكثير منهم حصلوا على شهاداتهم العليا من مصر ، من=

ويقوم على نشر التراث فى العراق ثلاث جهات حكوميّة [1] هى : المجمع العلمى العربى ، ووزارة الأوقاف ، ووزارة الثقافة والإعلام .

أما المجمع العلمى العربى ، فتاريخه فى نشر النصوص قديم ، إلى جانب ما تفسحه مجلته لنشر النصوص الصغيرة ، ودواوين الشعر .

ويأتى إصدار وزارة الأوقاف غزيراً ثَرّاً مُعجِباً ، وقد بلغ ما أصدرته حتى سنة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م اثنين وخمسين كتاباً ، وهو الرقم الذى يحمله كتاب الكشف الحثيث عمّن رُمِىَ بوضع الحديث ، لبرهان الدين الحلبى .

وهذا العدد يمثل إنجازاً ضخماً فى عمر إصدارات الوزارة من التراث ، التى لم تتجاوز خمسة عشر عاماً . وهذه النصوص تمثل أصولاً جيدة فى علوم التراث العربى وفنونه ، وقد جاء بعضها فى ثلاثة أجزاء ضخام ، مثل غريب الحديث ، لابن قتيبة ، وإعراب القرآن ، لأبى جعفر النحاس .

وكثيرٌ من هذه النصوص ، رسائلُ جامعيّة عليا ، مجازة من جامعات مصر وبغداد ، وهذا ممّا يُذكر لوزارة الأوقاف العراقية ، وتُشكر عليه ، فلم تترك هذه الجهود حبيسةً عند أصحابها ، تذكّرهم بأيام العناء والضَّنَى ، ليس غير .

= أمثال : يحيى الجبورى ، وطارق الجنابى ، وأحمد خطاب العمر ، ومحمد قاسم ، وأحمد نصيف الجنابى ، وطه جابر فياض ، وحمد الكبيسى ، وخليل العطية ، وجليل العطية ، ورشيد العبيدى ، وهلال سرحان ، وعبد الوهاب العدوانى ، وزهير غازى ، والحاج صبحى السامرائى ، وداود سلُّوم .

(١) أما النشر الخاص فى العراق ، فهو كثير ، ولا سبيل إلى ملاحقته هنا .

غير أنّ لى ملاحظةً على هذه المطبوعات ، كنت أحبّ أن تبرأ منها، وهى عدم العناية بالإخراج الطباعىّ ، المتمثل فى جودة الورق ، ونصاعة الحرف الطباعىّ ، وثبات الحِبْر ، وجريانه على ماءٍ واحد ، ممّا حدثتك عنه فى مطبوعات دار الكتب المصرية ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، ودار المعارف ، ومطبعة عيسى البابى الحلبى ، ودار العروبة بالقاهرة . وإغفالُ مثل هذه الأمور الطباعية ممّا يُضعف الشعورَ بجهد المحقِّق ، لا محالة . ولو أن وزارة الأوقاف استحدثت قاعدةً طباعية خاصة بها ، كتلك التى تخرج عليها مطبوعات المجمع العلمى فى بغداد ، لكان فى ذلك خيرٌ كثير (١) .

أماَّ نشاط وزارة الثقافة والإعلام ، فهو غزيرٌ أيضاً ، لكنّ معظمه يدور حول نصوص الأدب والشعر .

ولم يقتصر نشاط الوزارة على نشر أعمال المحقِّقين العراقيّين وحدهم ، فقد شمل تحقيقات غيرهم من العلماء العرب . ومن ذلك كتاب البرصان والعرجان ، للجاحظ ، بتحقيق شيخنا عبد السلام هارون . وكتاب بدائع السِّلك فى طبائع الملك ، لابن الأزرق (٢) الغرناطى ، بتحقيق الأستاذ الدكتور على سامى النشار ، رحمه الله ، والجزء الأول من ديوان الشريف الرضى ، بتحقيق أخى الأستاذ الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو .

---

(١) ولا بد من الإشارة هنا أيضا ، إلى العون والتعضيد ، اللذين تقدمهما جامعات العراق ، فى بغداد ، والموصل ، والبصرة ، والنجف ، لأبناء هذه الجامعات ، فعن طريق هذا العون والتعضيد ، ظهر تراث كثير .

(٢) محمد بن على بن محمد الأصبحى الأندلسى . توفى سنة ٨٩٦ هـ عالم اجتماعى ، سلك طريقة ابن خلدون . وهو من العلماء المجاهدين . وفى ترجمته أنه تولِّى القضاء بغرناطة إلى أن استولى عليها الإفرنج فانتقل إلى تلمسان ثم إلى المشرق يستنفر ملوك الأرض لنجدة صاحب غرناطة قال المقرى : « واستنهض عزائم السلطان قايتباى لاسترجاع الأندلس ، فكانكمن يطلب بيض الأنوق ، أو الأبيض العقوق ! ثم حجَّ ورجع إلى مصر ، فجدَّد الكلام فى غرضه ، فدافعوا عن مصر =

وتمثل حركة نشر دواوين الشعر القديم فى العراق الآن ، ظاهرةً جديرةً بالاحتفاء والإشادة . وأهمّ ما فى هذه الظاهرة أنها عُنيت بشعر المقلّين من الشعراء ، الذين تناثرت أشعارهم فى المجموعات الشعرية ، كالأصمعيات ، والمفضليات ، والحماسة ، وجمهرة أشعار العرب ، والموسوعات الأدبية ، مثل الأغانى ، وأمالى القالى ، وسائر كتب الأمالى ، والعقد الفريد ، وزهر الآداب ، ومعاجم اللغة ، وأمهات النحو ، وكتب التفسير والمعانى .

وبعض ما نشره العراقيون من هذا الشعر ، قد سبق نشره فى مطابع أوربا ، على يد المستشرقين ، مع إصلاح ، وزيادة تخريج وفهرسة ، وكلّ ما يمكن للعين العربية أن تضيفه من بَصَرٍ بالشعر ، ونفاذٍ إلى أسراره وأعماقه .

كما أن بعض هذا الشعر المنشور قام على تحقيق لمخطوطات دواوين الشعراء ، لكنه قليل إذا ما قيس بالشعر المجموع من بطون الكتب والدفاتر .

وعن وزارة الثقافة والإعلام صدرت مجلة « المورد » وهى مجلة تراثيّة فصليّة ، تعالج شئونَ التراث وقضاياه ، وتنشر من نصوصه ما تُطيقه طبيعة المجلات الفصليّة .

وتُعدَّ هذه المجلة أرقى مجلة عربيّة ، تعنى بشئون التراث ، منذ ظهور الطباعة العربية إلى يوم الناس هذا . وحسْبُها فضلاً ورفعة أنّ شيخ العربية محمود محمد شاكر ، أهدى إليها كتابه « برنامج طبقات فحول الشعراء » ، بهذه العبارة :

« إلى مجلة المورد بالعراق لجميل فضلها على أهل هذا اللسان العربىّ » . وشيخنا أبو فهر ـــ حفظه الله ـــ لا يمدح الأشياءَ إلا إذا اتضحت مقاصِدُها عنده ، وأضاء إخلاصُها فى نفسه . كما أقول دائما .

* * *

= بقضاء القضاة فى بيت المقدس ، فتولاه بنزاهة وصيانة ، ولم تطل مدّته هنا لك حتى توفى به » نفح الطيب ٧٠٢/٢

نشر التراث فى الكويت

فى نحو سنة ١٣٨٠ هـ بدأت وزارة الإرشاد والأنباء ، فى الكويت ، مشروعاً عظيماً ، لنشر كتب التراث ، وأعدَّتْ له عُدَّتَه من اختيار المحقِّقين الأعلام ، والعناية بحسن الصورة ، وجمال الإخراج ، فكانت طائفة صالحة من كتب التراث ، منها : الأضداد ، لأبى بكر بن الأنبارى ، والمصون ، لأبى أحمد العسكرى ، ومجالس العلماء للزجاجى ، وديوان لبيد ، ورسائل الصابى والشريف الرضى ، وخلق الإنسان ، لثابت بن أبى ثابت ، والعبر فى خبر من عَبر [١] ، للذهبى ، مع ذيوله (فى ستة أجزاء) . ومآثر الإنافة فى معالم الخلافة ، للقلقشندى (ثلاثة أجزاء) . والأنوار فى محاسن الأشعار ، للشمشاطى . ومقالتان فى الحواسّ ، لعبد اللطيف البغدادى .

وآخر ما صدر من هذه السلسلة ، كتاب جمهرة النسب لابن الكلبى ــ ١٤٠٣ هـ ــ وهو يحمل الرقم (٢١) .

ومن أعظم الأعمال التى خرجت ضمن هذا المشروع ، كتاب تاج العروس فى شرح القاموس ، للمرتضى الزَّبيدى ، وقد ظهر الجزءُ الأول منه سنة ١٣٨٥ هـ ، وآخر ما صدر منه حتى هذه السنة ١٤٠٤ هـ : الجزء العشرون ، وبقى منه عشرون آخرون . وقد أشرف على إخراج التاج ، وتنسيق أجزائه ومراجعتها محقق اللغة الكبير الأستاذ عبد الستار فراج ، رحمه الله ، ثم آل الأمرُ من بعده إلى الأخ المحقق الثبت الأستاذ مصطفى حجازى ، وفقه

---

(١) عبر ، بالعين المهملة . وجاء فى المطبوع « غبر » بالغين المعجمة ، وهو وهم . انظر : الذهبى ومنهجه فى كتابة تاريخ الإسلام ، لصديقنا المحقق بشار عواد معروف البغدادى ــ ص ١٧٨ ــ مطبعة عيسى البابى الحلبى . القاهرة ١٩٧٦ م

الله لإتمام هذا العمل الكبير . ووزارة الإرشاد والأنباء بدولة الكويت مدعوّةٌ إلى أن تنشط لإكمال طبع الكتاب ، وأن تخصص له مطبعة تفرغ لطبع الأجزاء الباقية مرة واحدة ، وهذه الأجزاء محققة منذ زمن طويل .

وتبعت وزارةَ الإرشاد والأنباء ، فى نشر التراث بالكويت ، وزارةُ الأوقاف والشئون الإسلامية ، وكان باكورة إنتاجها كتابُ الفوائد فى مشكل القرآن ، لعز الدين بن عبد السلام ، الذى صدر عام ١٣٨٧ هـ . ثم توالت مطبوعات الوزارة ، فكان منها: الجمان فى تشبيهات القرآن ، لابن ناقيا البغدادى ، ومختصر صحيح مسلم ، للحافظ المنذرى . والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، لابن حجر العسقلانى (أربعة أجزاء) . والزاهر فى غريب ألفاظ الشافعى ، لأبى منصور الأزهرى . والنكت والعيون ، فى تفسير القرآن الكريم ، للماوردى (أربعة أجزاء) . وكتاب الفروق فى الفقه الحنفى ، للكرابيسى (جزءان) وكتاب تحقيق القضية فى الفرق بين الرشوة والهدية ، لعبد الغنى النابلسى .

ثم أعادت الوزارة طبع كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (البخارى ومسلم) الذى وضعه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، ونشر بمطبعة عيسى البابى الحلبى بمصر ، أول مرة سنة ١٣٦٨ هـ مع بعض تصحيحات وفهارس ، من عمل الأخ الدكتور عبد الستار أبو غدّة .

وقد أصدرت وزارة الأوقاف أيضاً فهرس كتاب جمع الجوامع ، فى أصول الفقه ، لتاج الدين السبكى ، صاحب طبقات الشافعية ، وفهرس حاشية ابن عابدين ، فى الفقه الحنفى ، بالإضافة إلى اضطلاعها بإصدار الموسوعة الفقهية .

وهناك هيئة حكومية ثالثة لنشر التراث فى دولة الكويت ، هى شعبة التراث العربى بالمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب . ومن جهودها الطيِّبة

فى ذلك إخراج كتاب المناظر ، للحسن بن الهيثم ، وقد صدر عام ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

ويوجّه نشاطَ هذه الشعبة أخ صادق الإخاء ، بارٌّ بالعلم والعلماء ، هو الأستاذ الدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، عميد كلية الآداب بجامعة الكويت ، وهو آخذٌ طريقَه ـــ إن شاء الله ليكون من كبار الجغرافيين العرب ، وقد سعدت بأخوّته وصداقته أيامَ دراسته فى القاهرة . وكانت أزهى أيام العمر « إذِ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمانُ » .

ويشدُّ أزرَه فى أعمال هذه الشُّعبة الأخ الذكىُّ القلب واللِّسان ، صاحبُ الفنون والغرائب الأستاذ الشيخ عبد الحميد بسيونى . وإنى أدعو الصديقين الكريمين إلى العناية بنشر تراث العرب العِلمى ، مما كتبه علماؤنا فى الطب والكيمياء والفلك والجغرافيا ، وما عُرِف بعلوم الكون ، وهو مما يرغب عنه الناشرون من التجار ، لأنه لا يحقق ربحاً سريعا . وإن كان المستشرقون قد عُنُوا بهذا الجانب من تراثنا عناية بالغة ، كما يظهر فى الحديث عن نشاطهم .

* * *

نشر التراث فى المملكة العربية السعودية

اتجه كثيرٌ من علماء المملكة العربية السعودية إلى طبع إنتاجهم التأليفى أو التراثى ، فى مصر ، إذ لم تكن المطابع قد عرفت قديماً فى المملكة على النحو الذى عرفت به فى البلدان العربية الأخرى . وكذلك فعل الناشرون السعوديون الذين كانوا يكثرون من التردّد على مصر ، وكانت لهم صلات وثيقة بعلماء مصر ، وأصحاب المطابع بها . وأذكر من هؤلاء الناشرين ثلاثة : الحاج عبد الشكور فدا [1] ، وهو من أبرزهم ، ومن أكثرهم نشاطاً ، وأوثقهم صلاتٍ وصداقات بالعلماء والناشرين بمصر . ومما نشره فى مطابع مصر : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، لتقى الدين الفاسى ، الذى طبعه بمطبعة عيسى البابى الحلبى ، سنة ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م ، ورياض الصالحين للنووى ، والطب النبوى ، لابن قيم الجوزية . ومنهم الشيخ محمد سعيد كمال صاحب المكتبة الشهيرة بالطائف ، وقد عرفته زمان اشتغالى بنَسْخ المخطوطات ، ومما نسخته له كتاب الجواهر والدرر فى مناقب شيخ الإسلام ابن حجر ، لشمس الدين السَّخاوى . والشيخ محمد سلطان النمنكانى ، صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة . وكان رحمه الله ، فاضلاً ذاسَمْت صالح ووقار زائد .

وقد بذل بعضُ علماء المملكة ووُجهاؤُها ، عوناً ظاهراً فى نشر بعض كتب التراث فى مصر ، من أمثال الشيخ الجليل محمد نصيف ، الذى كان

---

(١) هكذا ينطق أصدقاؤه فى مصر ، اسمَه مقروناً بالحاج ، على نحو ما يقال فى صاحب كشف الظنون : الحاج خليفة . وكلمة « حاج » فى مصر ، لها رنينٌ خاصّ ، كان ولا يزال .

بيته بجدّة مثابة للعلماء من كلّ أنحاء الدنيا ، والشيخ محمد سرور الصبّان ، الذى أعان على نشر كتاب العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، لتقى الدين الفاسى ، الذى صدر الجزء الأول منه عام ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م ، وقد ذكرته فى حديثى عن جهود الشيخ محمد حامد الفقى . والسيد حسن شربتلى ، الذى أنفق على طبع الصحاح للجوهرى ، الذى نشر عام ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م ، بمطبعة دار الكتاب العربى (محمد حلمى المنياوى) ، وكانت من المطابع الجيدة بمصر .

وأشير هنا إلى مطبعتين فى مصر ، نهضتا بطبع كثير من كتب التراث : أولاهما مطبعة السنة المحمدية ، للشيخ محمد حامد الفقى ، وقد تحدثت عنها من قبل ، وقد حظيت بدعمٍ ظاهر من المملكة العربية السعودية .

والمطبعة الثانية : هى مطبعة المدنى (المؤسسة السعودية بمصر) ، وقد أنشأها المرحوم الشيخ على صبح المدنى ، عام ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م ، بجهود ذاتية خالصة . وقامت بطبع كثيراً من كتب السَّلف ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن قيم الجوزية ، وغير ذلك فى فنون تراثية شتى . وقد خرجت منشورات دار العروبة كلُّها من هذه المطبعة ، التى اجتمع لها من جودة الطبع وجمال الإخراج ما يجعلها تقف على درجة واحدة مع مطبوعات دار الكتب المصرية ، ومطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، كما أفسحت هذه المطبعة مكاناً لمطبوعات دور النشر الأخرى مثل جمهرة الأمثال ، لأبى هلال العسكرى ، ووقعة صفين ، لنصر بن مزاحم ، وأمالى الزجاجى ، وشرح مقامات الحريرى ، للشريشى ، ودمية القصر للباخرزى .

وقد خرجت تآليف شيخنا محمود محمد شاكر ، وتحقيقاته الأخيرة من هذه المطبعة .

وبعد وفاة مؤسِّسها الشيخ على صبح المدنى ، رحمه الله ، قام مقامَه ولدُه الكريم الأخ الأستاذ محمود المدنى ، الذى يتابع خطوات والده ، ويجمع لهذه المؤسَّسة كلَّ وسائل الجودة والإتقان .

وقد بلغت منشورات المطبعة منذ إنشائها ، إلى هذه السنة ١٤٠٤ هـ ، نحو تسعين كتابا ، بعضها فى أربعة أجزاء ، مثل الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح ، لشيخ الإسلام ابن تيمية . والدين الخالص ، لمحمد صدِّيق حسن القنّوجى ، وبعضها فى خمسة أجزاء ، مثل زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ، لمحمد حبيب الله الشنقيطى . وجاء كتاب أضواء البيان فى تفسير القرآن ، لمحمد الأمين الشنقيطى ، فى تسعة أجزاء .

وفى السنوات العشر الأخيرة نشطِ الإخوة فى المملكة العربية السعودية ، نشاطاً ملحوظاً فى جمع صور المخطوطات من مظانِّها فى مكتبات العالم ، بل إنهم اهتموا أيضاً بشراء المخطوطات أنفُسِها ، وبذلوا فى سبيل ذلك أموالاً سخيَّة ، ممّا أغرى تجّار المخطوطات بالاتجاه إليهم وعرْضِ بضاعتهم ، فجمعوا من ذلك نفائَس ونوادرَ ، أضيفت إلى ما تجمَّع عندهم قديماً فى مكتبة عارف حكمة ، بالمدينة المنورة ، ومكتبة الحرم المكى بمكة المكرمة . ثم أخذوا فى إعداد بعض هذه المخطوطات للتحقيق والنشر . وقد أنشأوا لذلك مراكز علميّة ملحقة بالجامعات ، فكانت العناية بجمع المخطوطات ونشرها مرتبطةً بالجامعات عندهم ، وهذا ما ندعو إليه ، ونتحمَّس له ، وسوف ترى أن نشاط المستشرقين فى نشر التراث قد آتى ثماره ؛ لأنه ارتبط بالجامعات عندهم ، ذلك أن ترك أمر نشر التراث إلى التجار وأصحاب المطابع الخاصة لا يخدم قضية التراث فى شموله وإحاطته ، فإن التاجر قبل أن يطبع كتابا يتحسَّسُ حاجة السُّوق إليه ، فهو يُخضِع

كلَّ جهدٍ يبذله لموازين الربح والخسارة ومدى انتشار الكتاب المطبوع ، وإقبال جمهور الناس عليه . ومَن مِن التجار الآن يطبع موسوعةً فى أصول الفقه ، أو فى علم القراءات ، أو كتاباً من كتب الطب القديم ؟ .

ومهما يكن من أمر ، فقد بذل الإخوان فى المملكة العربية السعودية ، جهوداً طيبة فى جمع صور المخطوطات من مكتبات العالم ، وكانت البداية من القاهرة : من دار الكتب المصرية والمكتبة الأزهرية ، ومعهد المخطوطات ، ثم انطلقوا بعد ذلك شرقاً وغربا ، فجمعوا أشياء من تركيا والهند ، والظاهرية بدمشق ، والخزانة العامة بالرباط فى المغرب الأقصى ، وتشستر بتى بمدينة دبلن بأيرلندا ، وغير ذلك من مكتبات العالم [1] .

وينبغى الإشارة هنا إلى جهدٍ سخىّ ، سبق كلَّ هذه الجهود ، هو ما قام به العلاَّمة الشيخ حَمْد الجاسر ، من جمع صور المخطوطات النادرة ، التى ركب إليها الصَّعبَ والذَّلول ، وجمعها من مظانّها شرقاً وغربا ، ثم عرَّف بها ودلَّ الناسَ عليها فى مجلته العظيمة (العرب) التى كان يصدرها فى بيروت ، ثم قدَّمها للعلماء طيّبةً بذلك نفسُه ، زاكياً بذلك عملُه ، إن شاء الله . ومما قدَّمه من هذه النوادر للعلماء ــ وهو كثير ــ مخطوطة جمهرة نسب قريش

---

(١) من الأسماء التى عنيت بجمع المخطوطات فى المملكة : الشيخ حماد الأنصارى ، فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، والدكتور ناصر بن سعد الرشيد ، وهو أول مدير لمركز البحث العلمى . والحصيلة الأولى من مخطوطات المركز جُمِعت على يديه ، والدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، والدكتور يحيى ساعاتى ، أيام اشتغاله بعمادة شئون المكتبات بجامعة الملك سعود (جامعة الرياض سابقا) .

وأخبارها ، للزبير بن بكّار ، الذى أخرج منها شيخنا محمود محمد شاكر الجزء الأول عام ١٣٨١ هـ وذكر صنيع الشيخ حَمْد ، فى ثناءٍ عاطر ، هو به جدير . ولو ذهبتُ إلى إحصاء جهود هذا العالم الجليل ، المحبّ للتراث ، الحافظِ له ، لذهب بى القولُ كلَّ مذهب ، ولخرج هذا المدخل عما أردته له من الوجازة والاختصار ، فالله يجزيه خير الجزاء .

ثم كان التحقيق والنشر . وقد نهضت بذلك ثلاث هيئات فى المملكة : مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة . والمجلس العلمى بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . والمجلس العلمى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

وقد نشر مركز البحث العلمى فى فترة وجيزة منذ إنشائه [1] ، قدْراً طيّباً من نصوص التراث ، بلغ عشرين كتابا فى فنون متنوعة ، وهى :

تاريخ يحيى بن معين (أربعة أجزاء) ، وتحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب ، لشيخنا عبد السلام هارون . وتفسير أبيات المعانى من شعر أبى الطيب المتنبى ، لأبى المرشد المعرّى . وشرح الكوكب المنير فى أصول الفقه ، لابن النجار (صدر منه ثلاثة أجزاء ، وبقى جزء واحد) . والمساعد فى شرح تسهيل الفوائد ، لابن عقيل (جزءان ، وبقى جزء واحد) . والأمثال لأبى عبيد القاسم بن سلام ، ومنال الطالب فى شرح طِوال الغرائب ، لمجد الدين بن الأثير . والمختصر فى أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، لابن اللّحام . والإيضاح والتبيان فى معرفة المكيال والميزان ، لابن الرفعة . ومن كلام أبى زكريا يحيى بن معين فى الرجال . وتاريخ عثمان بن سعيد الدارمى عن أبى زكريا يحيى بن معين . وبرنامج الوادى آشى ، والتبصرة

---

(١) حيث أنشئ فى عام ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م

والتذكرة فى النحو ، للصيمرى . والكواكب النيِّرات فى معرفة من اختلط من الرواة الثقات ، لابن الكيال . وغريب الحديث ، لأبى سليمان الخطابى (ثلاثة أجزاء) وهو من أنْفسِ ما أخرجه المركز . والدليل الشافى على المنهل الصافى ، لابن تغرى بردى (جزءان) . وإتحاف الورى بأخبار أمّ القرى ، لابن فهد (صدر منه جزءان ، وبقيت منه بقية) . وفضائل الصحابة ، للإمام أحمد بن حنبل (جزءان) . وشرح الكافية الشافية ، لابن مالك (خمسة أجزاء) والمشوف المعلم فى ترتيب إصلاح المنطق على حروف المعجم ، للعكبرى (جزءان) . ولازال المركز يوالى إصداراته ، بالإضافة إلى مجلة المركز ، التى تعنى ــ بجانب الدراسات والبحوث ــ بنشر النصوص الصغيرة .

أما المجلس العلمى بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، فقد نشر طائفة صالحة من كتب التراث أيضاً . منها :

درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية (أحد عشر جزءا) .

وكان محققه الفاضل الأستاذ الدكتور محمد رشاد سالم ، قد نشر الجزء الأول منه بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية عام ١٣٩١ هـ . والمحصول فى أصول الفقه ، للفخر الرازى مع دراسة موسَّعة عنه (ستة أجزاء) وجمهرة أشعار العرب ، لأبى زيد القرشى (ثلاثة أجزاء) . والعفو والاعتذار ، لأبى الحسن محمد بن عمران العبدى ، صاحب ابن دريد (جزءان) . وحماسة أبى تمام (جزءان) وتاريخ العلماء النحويين ، لابن مِسْعَر . وهو على وجازته من النصوص المتقدمة فى تاريخ النحاة .

وقد نَهَدتْ [١] جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، لعمل علميٍّ جليل ، هو ترجمة كتاب تاريخ التراث العربى ، الذى وضعه بالألمانية العالم التركىّ المسلم الدكتور محمد فؤاد سزكين . ونرجو أن توفق جامعة الإمام محمد لإتمام هذه الترجمة ، وألاَّ تتقاعس كما تقاعست من قبلُ جامعة الدول العربية فى ترجمة كتاب تاريخ الأدب العربى ، للمستشرق الألمانى كارل بروكلمان [٢] .

ولا ينبغى أن نُغفل فى ذكر جهود جامعة الإمام فى نشر التراث ، احتضانها لأعمال العلماء الكبار ، ونشرها برسم الجامعة وتحت شعارها . ومن ذلك كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، الذى صنَّفه على وضعٍ لم يسبق إليه العلامة الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ، رحمه الله ، وقد حدثتك عنه من قبل . ومن ذلك أيضا : ما بقى من كتاب تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار ، للإمام أبى جعفر الطبرى . بتحقيق شيخنا محمود محمد شاكر . وفى مقدمة تحقيق الكتاب ما ينبئك أنه لولا حثُّ مدير جامعة الإمام ، الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى ، وتحريضه ، لبقى هذا الأثر النفيس فى مكتبة شيخنا أبى فِهر ، كتاباً لمراجعته . وشيخنا حفظه الله ــ كما قلت من قبل ــ لا يذكر من أعمال الناس إلاَّ ما ثبت صِدقُه عنده .

أما الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ــ على ساكنها أفضلُ الصلاة وأزكى السلام ــ فلا تزال خطواتُها فى نشر التراث محدودة ، ونرجو لها اطِّرادَ التوفيق والنجاح .

---

(١) نهد كنهض ، وزناً ومعنى .
(٢) حيث أصدرت منه ستة أجزاء ، فى نحو خمسة وعشرين عاما .

فممّا نشرته من النصوص : كتاب الإيمان ، لابن مندة (ثلاثة أجزاء) ، وسؤالات أبى عبيد الآجُرِّى أباداود السجستانى ، فى الجرح والتعديل . وكتاب الضعفاء ، لأبى زرعة الرازى وأجوبته على أسئلة البرذعى (ثلاثة أجزاء) ، وقد طبع باسم : « أبو زرعة الرازى وجهوده فى السنة النبوية مع تحقيق كتابه الضعفاء وأجوبته على أسئلة البرذعى » وواضح أن هذا هو عنوان رسالة الدكتوراه التى تقدّم بها محقّق الكتاب ، الدكتور سعدى الهاشمى لجامعة الأزهر ، وكان الواجب عند طبع الكتاب أن يكون عنوانه : كتاب الضعفاء لأبى زرعة الرازى ، وأجوبته على أسئلة البرذعى .

ولعل الجامعة الإسلامية قد نشرت أشياء أخرى ، لم يبلغنى خبرُها ؛ فإن مما يؤخذ على هيئات نشر التراث فى المملكة العربية السعودية ، وفى الكويت أيضا ، أنها تجعل منشوراتها خالصةً للإهداء ؛ لمن تعرفه ، أو لمن يطلبها منها ، أو لزوّارها ، وقد يكون بعض هؤلاء الزوَّار ممن لاصلة له بكتب التراث ، وأيضا فقد يترك بعض هؤلاء الزوّار ما أُهْدِى له بالفندق ؛ استثقالاً لحمله ، ونرجو ألا يغضب أحد ، فإننا نريد لهذه الجهود العظيمة أن تنتشر ويعمَّ النفعُ بها ، ويتحقَّق ذلك بأن تخصص تلك الهيئات قدراً من مطبوعاتها للبيع ، وتختار لذلك دارين للتوزيع ، إحداهما فى المشرق العربى (مصر مثلا) والثانية فى المغرب العربى (تونس مثلا) .

* * *

نشر التراث فى قطر

منذ نحو ستين عاماً أخذت دولة قطر فى نشر كتب التراث ، المتصلة بفقه الإمام أحمد بن حنبل ، وعقيدة السَّلَف . وكان من أوائل ما نشر من ذلك كتاب الفروع ، لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن مفلح ، ومعه تصحيح الفروع ، لعلاء الدين أبى الحسن المرداوى . وقد تم طبع هذين الكتابين سنة ١٣٤٥ هـ بمطبعة المنار بمصر ، على نفقة الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثانى ، حاكم قطر .

وفى عهد ولده سمو الشيخ على بن عبد الله آل ثانى ، قوى هذا الاتجاه ونما بفضل توجيهات العلاَّمة الجليل الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ، رحمه الله رحمة واسعة . وقد كان هذا الرجل من فضلاء العصر ، وهو من روّاد التعليم فى المملكة العربية السعودية . وقد ورث عنه حبَّ العلم وتكريمَ العلماء ، ولدُه الكريم الأستاذ أحمد المانع ، مدير البعثة التعليميَّة السعودية بمصر ، والمستشار الثقافى ، ومندوب المملكة فى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . وقد أقام بمصر نحو أربعين عاماً ، قريباً إلى كلِّ قلب ، حبيباً إلى كلِّ نفس ، وقد سعد به أهل مصر وعلماؤها ، إذ وجدوا فيه صورةً نادرة ، من الفضل والكمال ، والسَّماحة والأريحيّة .

ومن الكتب التى طبعت على نفقة سموّ الشيخ على آل ثانى :

مطالب أولى النهى فى شرح غاية المنتهى ، للشيخ مصطفى السيوطى الرحيبانى ، ومعه تجريد زوائد الغاية والشرح ، للشيخ حسن الشطىّ (ستة أجزاء) . وكتاب الفروع السابق (أعيد طبعه فى ستة أجزاء) والروض الندى شرح كافى المبتدى ، فى الفقه الحنبلى ، لأحمد بن عبد الله بن أحمد البعلى . ولوامع الأنوار البهيّة وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضيّة فى

عقد الفرقة المرضية ، لمحمد بن أحمد السفارينى الأثرى الحنبلى (جزءان) . والمسوَّدة فى أصول الفقه الحنبلى ، لآل تيمية : مجد الدين أبى البركات عبد السلام بن عبد الله ، وشهاب الدين أبى المحاسن عبد الحليم بن عبد السلام ، وشيخ الإسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم . جمعها وبيَّضها شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد الحرَّانى الدمشقى . وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد فى شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، النونية . المسماة بالكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية . للشيخ أحمد ابن إبراهيم بن عيسى الشرقى (جزءان) وجلاء العينين فى محاكمة الأحمدين [ابن تيمية وابن حجر الهيتمى] لخير الدين نعمان بن محمود بن عبد الله الآلوسى البغدادى . وسمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى ، للعصامى المكىّ (أربعة أجزاء) والدين الخالص ، للسيّد محمد صدِّيق حسن القِنَّوْجى البخارى (أربعة أجزاء) والتاج المكلَّل من جواهر مآثر الطِّراز الآخِر والأوّل ، للمؤلف نفسه . ومنادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، للشيخ عبد القادر بدران ، وهو فى مدارس دمشق وآثارها . والفواكه العديدة فى المسائل المفيدة ، لأحمد بن محمد المنقور التميمى النجدى(جزءان) .

ومن دواوين الشعر التى طبعت على نفقة سمو الشيخ على آل ثانى : ديوان النابغة الجعدى ، رضى الله عنه ، وديوان ذى الرمة ، وديوان الأخطل مصورة عن طبعة بيروت ، وديوان أبى الحسن التهامى ، وديوان ابن درَّاج القَسْطَلّى . وقد كان لهذا الأمير عنايةٌ بالعلم والأدب ، وسعىٌ فى نشرهما وإذاعتهما يقول العلاَّمة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ، فى وصفه : « كان صاحب السموّ الشيخ على بن الشيخ عبد الله بن قاسم الثانى حريصاً على تحصيل العلوم اللغوية والشعرية ، ويديم سماعَها وقراءتها ، وكان حاذقاً ناقداً يفهم جيدّاً ما يسمع وما يقرأ ، وكانت مجالسه ليلا ونهاراً عامرةً

بقراءة فنون العلم ، وكان يبذل الأموال الطائلة فى نشر كتب العلم ، وتوزَّع بأمره على المستحقين من أهل العلم وقفاً لله تعالى ، وأمر بإنشاء عدة مكاتب فى قطر وغيره ، وأمر بأن يجمع لها الكتب النافعة المفيدة ، تسهيلاً لنشر العلم ، وإعانة للمطالعين المستفيدين » [١] .

وقد بلغ ما طبعه هذا الأمير العالم ، على نفقته ، نحو ثلاثين كتابا ، بعضها فى سبع مجلدات ، وذلك حتى سنة ١٣٨٠ هـ [٢] . وكان له مندوبون لتوزيع هذه الكتب بالمَجاَّن [٣] ، فى كلٍّ من : القاهرة ودمشق ، وجدة ، والأحساء ، وبيروت .

وفى تلك الأيام التى كان ينفق فيها حاكم قطر ، على نشر كتب التراث ، كان هناك رجلٌ من أعيان قطر ، ومن ذوى البِرّ والخير ، بها ، هو الشيخ قاسم بن درويش فخرو ، وقد نشر على نفقته طائفة من كتب التراث ، منها : التنقيح المشبع فى تحرير أحكام المقنع ، فى فقه الحنابلة ، لعلاء الدين المرداوى ، والمطلع على أبواب المقنع ، لشمس الدين البعلى الحنبلى . ومنار السبيل فى شرح الدليل ، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (جزءان) .

وقد طبعت هذه الكتب المذكورة ـــ وغيرها كثير ـــ بالمطبعة السَّلفيَّة ، ومطبعة المدنى بمصر ، والمكتب الإسلامى للطباعة والنشر بدمشق لصاحبه الأستاذ محمد زهير الشاويش . وقد لقى هذا الناشرُ العالِم دعماً آخر من دولة قطر ، حين اشترت من مطبوعاته قدراً كبيرا ، أهدته إلى طلبة

---

(١) مقدمة ديوان ابن دراج القسطلى ، الذى نشر عام ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م

(٢) راجع تصدير الأستاذ عبد البديع صقر ، لديوان ابن دراج المذكور .

(٣) المجاّن ، بفتح الميم ، وتشديد الجيم ، بوزن شدَّاد : ما كان بِلا بَدَل . وقال ابن فارس : هو عطيّةُ الرجل شيئا بلا ثمن . مقاييس اللغة ٢٩٩/٥

العلم ، ومن ذلك كتاب زاد المسير فى علم التفسير ، لأبى الفرج بن الجوزى (تسعة أجزاء) وللأستاذ محمد زهير الشاويش [١] جهود طيّبة كثيرة فى نشر التراث ، من هذه الجهود الموسوعية كتاب شرح السنة ، للإمام البغوى ، الذى طبع بأمر جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، رحمه الله .

وفى أيامنا هذه توالى دولة قطر جهودها فى نشر التراث وإذاعته ، ومما نشرته من ذلك كتاب البرهان ، فى أصول الفقه . والغياثى ـــ أو غياث الأمم فى التياث الظُّلَم ـــ وكلاهما لإمام الحرمين أبى المعالى الجوينى . وقام على تحقيق الكتابين الأخ الأستاذ الدكتور عبد العظيم الديب .

ولقد كان صدور كتاب البرهان ، عن دولة قطر ، فضلاً عظيماً ، ادَّخره الله لها ، فإن تاج الدين السُّبكىّ يقول عنه : « اعلم أن هذا الكتاب وضعه الإمام فى أصول الفقه ، على أسلوب غريب ، لم يقتد فيه بأحد ، وأنا أسمّيه لغزَ الأمَّة ؛ لما فيه من مصاعب الأمور ، وأنه لا يُخلى مسألة عن إشكال ، ولا يخرج إلاَّ عن اختيار يخترعه لنفسِه ، وتحقيقاتٍ يستبدُّ بها ، وهذا الكتاب من مفتخرات الشافعية » [٢] .

ولما كان لأخى الدكتور عبد العظيم الديب خصوصيّةٌ بآثار أبى المعالى الجوينى ، وأُنْسٌ بمنهجه فى التأليف والتصنيف ، فإنى أدعوه وأدعو دولة قطر إلى عملٍ جليل ، يكون لهما فيه أجر ، وللناس فيه نفع ، وهو نشر كتاب نهاية المطلب فى دراية المذهب ، لإمام الحرمين الجوينى ، فهذا الكتاب من موسوعات فقه الشافعية ، ومن أركان المذهب .

---

(١) سبق كلام عنه فى حديث نشر التراث فى سوريا .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ١٩٢/٥ ، وانظر أيضا ٢٤٣/٦

ومن نشاط دولة قطر أيضا فى نشر التراث ، إعادتُها لبعض الكتب المطبوعة قديماً ، مثل إمتاع الأسماع ، للمقريزى ، الذى تقدَّم خبره فى الحديث عن لجنة التأليف والترجمة والنشر . وكتاب رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة ، لمحمد بن عبد الرحمن بن الحسين الدمشقى الشافعى المتوفى بعد سنة ٧٨٠ هـ [١] .

ويقوم على طبع الكُتُب هناك رجل فاضل ، هو الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصارى . وهذا الرجل لا أعرفه ، ولكنى أشعر فى تقديمه للكتب بنبرة الصدق والإخلاص ، وإنى أدعوه الاَّ يقف عند حدود تصوير الكتب المطبوعة ، أو طبع الكتاب ذى الجزء الواحد ، بل يتجه إلى طبع الموسوعات التى لا يقدم عليها الناشرون من التجار الآن ، وبذلك يتصل ماضى قطر وحاضرُها ، فى نشر التراث .

* * *

(١) الأعلام ١٩٣/٦

نشر التراث فى المغرب العربى

يشكو المغاربة المعاصرون من أن إخوانهم فى المشرق لا يعرفون عنهم إلاَّ النزر اليسير ، فى حين أنهم يعرفون عنهم كلَّ شئ .

وهذه الشكوى تأتيك هامسةً رقيقة من طبقة الشيوخ ، على حين تسمعها غاضبةً صاخبة من جيل الشباب ، وعلى حين يرى الشيوخ أن هذا الإعراضَ والتجافىَ من المشارقة ، إنما حدثا نتيجة لعواملَ اصطنعت فى الأمة العربية اصطناعاً لتلفتها عمَّا وجدت عليها آباءَها من التواصل والتقارب ، يرى الشباب أن مردَّ ذلك إلى نغمةٍ نشاز من مقام التفوّق الثقافى الذى يُحسُّ به المشارقة نحو المغاربة .

وكنت امرءاً مُولَعا بحبّ المغاربة ــ وبخاصة أهلُ المغرب الأقصى ، الذى زرته مرتين عضواً فى بعثة معهد المخطوطات ــ وقد كتبت كثيراً [١] عن فضل المغاربة على المخطوطات العربية ؛ حراسةً وصيانة ، ولا أملُّ من ذكر ذلك والكشف عنه ، إن شاء الله ، ثم فضلهم القديم فى شرح آثار المشارقة ، كالذى تراه من شروح سيبويه ، وجُمل الزّجّاجى ، وإيضاح الفارسى ، وشرح أمثال أبى عبيد القاسم بن سلام ــ المسمَّى فصل المقال ــ لأبى عبيد البكرى الأندلسى ، وكذلك شرحه لأمالى أبى على القالى

---

(١) من ذلك مقالة بعنوان : « التراث العربى فى المغرب وقضية التواصل بين المشرق والمغرب » مجلة الثقافة المصرية (ديسمبر ١٩٧٥ ــ يناير ١٩٧٦ م) . وقد أعاد المغاربة نشر هذه المقالة بمجلة دعوة الحق التى تصدر بالرباط . ثم انظر مقدمة تحقيق كتاب منال الطالب فى شرح طوال الغرائب ، لابن الأثير ، الذى احتفظت الخزانة العامة بالرباط ، بنسخته الوحيدة .

البغدادى ، وشرح ابن السِّيد البطليوسى ، لأدب الكاتب لابن قتيبة ، المسمى الاقتضاب ، وشرح أبى العباس الشَّريشى ، على مقامات الحريرى ، وهو أجلُّ شروحها . وشرح سيرة ابن هشام ، المسمَّى الروض الأُنف ، للسُّهَيْلى .

ثم احتفالهم بعلم قراءات القرآن الكريم ، فإن عنايتهم به قديمة ، وتصانيفهم فيه مبسوطة ، « وهو الميدان الوحيد الذى سيطر عليه المغاربة سيطرة تامة » ، كما يقول بحق الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهوانى [١] .

والذى يعنينا هنا ، تاريخ نشر التراث العربى فى المغرب . وظاهرٌ أن المراد بالمغرب : ليبيا وتونس والجزائر ، والمغرب الأقصى .

أما ليبيا ــ ونحن نكتب للتاريخ ــ فليس لها جهودٌ بارزة فى نشر التراث ، إلاَّ ما تراه من نشرها لكتاب تاج العروس ، للمرتضى الزَّبيدى ، مصوراً عن نشرة المطبعة الخيرية بمصر ، ذات العشرة الأجزاء ، سنة ١٣٠٦ هـ . وقد صدرت هذه الطبعة المصورة عام ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م ، على مطابع دار صادر بيروت ، لحساب دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازى ، كما سبق .

ثم كان تعضيدٌ من الجامعات الليبيّة ، لنشر أعمال أعضاء هيئة التدريس بها ، مثل كتاب نتائج الفكر للسهيلى ، بتحقيق الأخ الدكتور محمد إبراهيم البنا ، وشرح الرضى على الكافية ، بتحقيق العالِم الفاضل الشيخ يوسف عمر ، رحمه الله ، وكتاب حجة القراءات ، لابن زنجلة ، وكتاب الإفصاح فى شرح أبيات مشكلة الإعراب ، لأبى نصر الفارقى ، والكتابان بتحقيق العالم السوريّ الكبير الأستاذ سعيد الأفغانى .

ومن وراء ذلك فقد كان علماء ليبيا وأدباؤها ينشرون إنتاجهم بمطابع

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد الأول ص ١١٨ . مقالة بعنوان : كتب برامج العلماء فى الأندلس .

مصر ، ومنهم الشيخ الطاهر أحمد الزاوى ، الذى كان يعمل مصححاً بوزارة الأوقاف المصرية ، وحين أحيل إلى التقاعد ، عمل مصحّحاً بمطبعة عيسى البابى الحلبى ، وقد نشر بهذه المطبعة كتاب الكشكول ، لبهاء الدين العاملى ، ونشر فى غيرها : ترتيب القاموس المحيط [1] ، وجهاد الأبطال فى طرابلس الغرب ، وتاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، وأعلام ليبيا .

أما الجزائر ، فقد عُرفت فيها الطباعة العربية فى وقت مبكِّر . وممّا نُشر فيها قديما : كتاب بغية الرُّوَّاد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد ، ليحيى بن محمد بن خلدون ، عام ١٣٢١ هـ = ١٩٠٣ م . وكتاب نزهة الأنظار فى فضل علم التاريخ والأخبار ، ويُعرف بالرحلة الورثيلانية ، للحسين بن محمد السعيد الورثيلانى ، عام ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م . وعنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ، للغبرينى عام ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠ م ، والذخيرة السنيّة فى تاريخ الدولة المرينية ، لمؤلف مجهول ، عام ١٣٣٩ هـ .

وفى معهد المباحث الشرقية ، التابع لكلية الآداب بالجزائر ، خرجت نصوص تراثية ، منها : ديوان كثيّر عزة ، الذى نشره المستشرق الفرنسى هنرى بيريس فى جزءين عام ١٩٢٨ ــ ١٩٣٠ م ، بمطبعة جول كربونل بالجزائر . وأخبار النحويين البصريين ، للسيرافى ، الذى نشره المستشرق كرنكو عام ١٩٣٥ م ، ثم كان لغير هذين المستشرقين نشاط ملحوظ فى نشر النصوص بالجزائر.

---

(١) رتبه على الحرف الأول والثانى والثالث على طريقة أساس البلاغة ، والمصباح المنير . ولم يكتب لهذا العمل القبول والذيوع . وقد عمدت دار المعارف بمصر أخيراً إلى لسان العرب ، فأخرجته على هذه الصورة . وكلّ ذلك مما لا خير فيه ، ولا فائدة منه . والأولى أن ندرّب أبناءنا على التعامل مع المعاجم العربية فى مختلف مدارسها وأنماطها .

وقد كان لوجود العالم الجزائرى الكبير محمد بن أبى شنب فى كلية الآداب بالجزائر ، أثر ظاهر فى دفع حركة النشر خطوات واسعة ، وسأعيد عنه كلاماً فى حديثى عن الاستشراق ، إن شاء الله . ومما نشره ابن أبى شنب كتاب الجُمل ، للزجاجى عام ١٩٢٦ م .

أما العلاَّمة الكبير الشيخ طاهر الجزائرى المتوفى سنة ١٣٣٨ هـ = ١٩٢٠ م ، فهو جزائرىّ الأصل فقط ، وكان مولده ووفاته وأعماله العلمية بدمشق [١] .

وفى تونس ظهرت الطباعة العربية مبكِّرةً أيضا . وممَّا نشر فيها قديما : الحُلَل السُّندسية فى الأخبار التونسية ، لمحمد بن محمد الوزير ، والمطبوع منه قطعة من الجزء الأول سنة ١٢٨٧ هـ ، ولا تزال بقيته مخطوطة [٢] . وتاريخ الدولتين الموحَّدية والحفصيّة ، لمحمد بن إبراهيم اللؤلؤى المعروف بالزركشى [٣] ، عام ١٢٨٩ هـ . ورقم الحلل فى نظم الدول ، للسان الدين بن الخطيب ، عام ١٣١٧ هـ . وغير ذلك كثير .

وقد كان لإشراق تونس بالعلماء الكبار ، أمثال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، والأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، أثر كبير فى إذكاء حركة نشر التراث ، ليس فى تونس وحدها ، وإنما فى مختلف البلدان .

وفى السنوات الأخيرة قامت فى تونس دارُ نشرٍ كبيرة ، هى الدار

---

(١) أقول هذا للناشئة والمبتدئين ، حتى لا تختلط عليهم الأمور ، أماّ أهل العلم فهم أعرف منى بتاريخ الرجال .

(٢) الأعلام ٦٦/٧ ، وقد أعاد تحقيقه ونشره الأستاذ محمد الحبيب الهيلة . تونس ١٩٧٠ م

(٣) هو غير بدر الدين الزركشى صاحب « البرهان فى علوم القرآن » و « البحر المحيط » فى أصول الفقه . وقد رأيت بعض طلبة العلم يخلط بينهما .

التونسية للنشر ، وقد عُنيت هذه الدار بنشر كثير من عيون التراث ، وبخاصة فى تاريخ المغرب وعلومِه وآدابه . ولا داعى للتطويل بذكر منشورات هذه الدار ، فهى معروفة متداولة .

وهناك دار أخرى ، شركة بين تونس وليبيا ، هى الدار العربية للكتاب ، وقد باشرت طبع شىء من كتب التراث ، منها كتاب الغُنْية ، وهو فهرست شيوخ القاضى عياض .

ولن أدع هذه النبذةَ عن نشر التراث فى تونس ، حتى أشير إلى نشاط ملحوظ لناشرٍ تونسى فاضل ، هو الصديق العالم الأديب الأستاذ الحبيب اللَّمْسى ، الذى أنشأ دار الغرب الإسلامى ببيروت ، وبدأ يخرج من خلالها نُصوصاً تراثية يختارها بعناية . ومما أخرجه : موطأ الإمام مالك بن أنس (قطعة منه برواية ابن زياد) ، ومشيخة ابن الجوزى . وفهرس ابن عطية . والأربعون حديثا ، لصدر الدين البكرى ـــ وهذا طبع على نفقة الشئون الدينية بدولة قطر ـــ وبرنامج الوادى آشى . وطبعته تفضل طبعة مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى . ومن آخر ما أصدره : ديوان تأبّط شرًّا . جمع وتحقيق وشرح الصديق الأستاذ على ذو الفقار شاكر ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

ومن أضخم أعماله ، نشرُ كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، لأحمد بن يحيى الونشريسى (ثلاثة عشر جزءا) مع تخصيص جزء منها للفهارس . وقد صدر هذا الكتاب الموسوعى بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية . وكانت طبعته الأولى بالمطبعة الحجرية بفاس عام ١٣١٤ هـ = ١٨٩٧ م .

وهذا الصديق الكريم الأستاذ الحبيب اللَّمْسِى ، دائبُ الحركة ، كثير التَّجوال ، تراه اليومَ فى بيروت ، وغدا فى المملكة العربية السعوية وقطر ، وبعد غدٍ

فى القاهرة وتونس والمغرب ، ثم ما شئت من البلدان العربية الأخرى ، يجالس العلماء ويستفتيهم فيما ينبغى نشره :

يومٌ بحُزْوَى ويومٌ بالعَقِيق ويومٌ بالعُذَيْب ويومٌ بالخُلَيْصاء .

أنجح الله مسعاه ، وسدَّد على طريق الخير خطاه .

ونأتى إلى المغرب الأقصى . وهو المراد بالمغرب عند الإطلاق فى عصرنا الحديث ، وحينما أُطلِق كلمة « المغاربة » فإنما أعنى أهل المغرب الأقصى هذا .

كانت بداية الطباعة العربية فى المغرب ، فى المطبعة الحجرية بفاس ، التى بدأت نشاطها منذ نحو مائة عام ، فأخرجت قدراً كبيرا من كتب التراث المغربى والأندلسى . ومن أوائل ما نشر فى هذه المطبعة : الأنيس المطرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة فاس ، لابن أبى زَرْع ، عام ١٣٠٥ هـ ، وجذوة الاقتباس فيمن حلَّ من الأعلام مدينة فاس ، لابن القاضى عام ١٣٠٩ هـ . ودوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشاهير القرن العاشر ، للحسنى ، عام ١٣٠٩ هـ . والمعيار المعرب ، للونشريسى ، عام ١٣١٤ هـ ، وقد تقدم قريبا . ونشر المثانى لأهل القرن الحادى عشر والثانى ، للقادرى ، عام ١٣١٥ هـ . ومحادثة الأكياس فيمن أُقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، لمحمد بن جعفر الكتانى عام ١٣١٦ هـ . والروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون ، لابن غازى . عام ١٣٣١ هـ . وغير ذلك كثير ، مما تراه فى كتاب دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، لعبد السلام بن عبد القادر بن سودة ، رحمه الله ، وهذا الرجل كان من فضلاء الناس ، وكان يعين كل من يسأله أو يستفتيه ، وقد زرته فى بيته بفاس القديمة عام ١٣٩٥ هـ ، ورأيت من أريحيته وانبساطه إلى زائره الشيءَ الكثير .

وقد ذكر العلاَّمة محمد المنُونى ـــ أطال الله فى النعمة بقاءه ـــ قصَّةَ دخول المطبعة الحجرية [١] بلاد المغرب ، فقال : « وصلت المطبعة الحجرية للمغرب فى شعبان سنة ١٢٨١ هـ = ١٨٦٤ ـــ ١٨٦٥ م ، وكان دخولها يتّسم بشكل فردى ، حيث جاء على يد قاضى تارودانت محمد الطيب بن محمد السُّوسِى التملى الرودانى ، الذى اشتراها من الشرق لمّاَ حجّ ، ثم أتى بها للمغرب ، ومعه طبِّيع مصرى ليشتغل بها » [٢] . وقد أورد الأستاذ المنُونى صورة العقد المبرم بين القاضى الرودانى والطابع المصرى . ونحن نورد نصَّ ذلك العقد ، لطرافته ، وهو :

« إنه لما كان فى يوم الأربعاء المبارك ١٤ يوم خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٢٨١ : اتفق حضرة العمدة الفاضل السيد الطيب الرودانى ، ابن

---

(١) الطباعة الحجرية (ليتوجراف) : نوع من الطباعة ، اخترعها بألمانيا بمدينة ميونيخ الويز سنيفلدر ، عام ١٧٩٦ م . وهذا النوع من الطباعة يتطلب لوحات حجرية خاصة من الحجر الجيرى ، للكتابة عليها . وتبدأ العلمية بأن يكتب الناسخ ما يريد طبعه بحبر خاص ، وعلى ورق خاص يضغط عليه ، بعد كتابته ، بين ورقتين نشاشتين مبتلتين ، ويكتب الناسخ على الورقة كتابة مستقيمة غير مقلوبة ، وبعد هذا توضع اللوحة الحجرية التى يراد نقل الكتابة إليها فى مكبس بعد أن يحمى ، ثم تبسط الورقة على اللوحة بطريقة عكسية ، بحيث يقع وجهها المكتوب على وجه اللوحة ، وبضغطان مراراً كثيرة ، حتى تلتصق الورقة باللوحة ، ثم يستمر الضغط مرات كثيرة حتى تثبت الكتابة على اللوحة ، وبعد ذلك تنزع الورقة ، ثم يصب على اللوحة قليل من الصمغ ، وتبلّ خرقة بقليل من حبر الطباعة ويمسح بها ، فيلصق الحبر حيث كانت الكتابة ، وحينما تبرد جيدا يُصبّ عليها مزيج يسير من الحامض وذائب الصمغ مرة أو أكثر ، حتى إذا تنشفت توضع فى المطبعة ، وتبلّل بالماء ثم بالحبر ، ثم يطبع الورق عليها حسب العدد المطلوب ، ويعاد تبليلها بالماء وتحبيرها قبل طبع كل ورقة . الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٥٢ ، وانظر المرجع الآتى .

(٢) مظاهر يقظة المغرب الحديث ١/٢٠٥ ـــ مطبعة الأمنية بالرباط ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٣ م

المرحوم السيد محمد الروداني ، من أهالى مدينة روادن « مغرب » مع الفقير إلى الله تعالى كاتب الأحرف : الفقير محمد القيانى المطبعى ، ابن المرحوم إبراهيم ، من أهالى مصر المحروسة ، على أنه يتوجّه برفقته إلى مدينة روادن بأرض المغرب ، ويشتغل عنده على مطبعة حجرلوعدّة سنة كاملة ، ابتداها « كذا » شهر ربيع الأول سنة ١٢٨١ ، وانتهاها « كذا » شهر الخير « كذا » سنة ١٢٨٢ ، وله فى نظير ذلك راحته ممّا جميعُه [1] « كذا » من أكل وشرب وكسوة على طبق مراده ، وفى كل شهر يعطى له مائتان غرش مصروف لجيبه ، وقد رضى الفقير محمد القيانى بذلك ، ومن بعد وفاء السنة المذكورة إذا أراد الفقير محمد القيانى بأن يرجع إلى بلده مصر المحروسة بأن يرحّله العمدة السيّد الطيّب إلى حدّ بلده على طرفه ، وقد رضى السيد المذكور بذلك » [2]

وكان بدء عمل هذه المطبعة الأولى فى تاريخ الطباعة المغربية بمدينة مكناس ، وكان أول كتاب يطبع بها « الشمائل المحمدية » للإمام أبى عيسى الترمذى ، فى ٤ صفر سنة ١٢٨٢ هـ ، ثم كان الكتاب الثانى : شرح المقدمة الأجرومية ، للشيخ خالد الأزهرى ، وتم طبعه فى ١٨ جمادى الثانية ، سنة ١٢٨٣ هـ بمدينة فاس ، بعد أن انتقلت المطبعة إليها . وقد توقفت هذه المطبعة بعد رحيل الطابع المصرى ، وعودته إلى بلاده ، سنة ١٢٨٨ هـ ، لكنها عادت إلى نشاطها على يد أحد المغاربة الذين تدّربوا على يد هذا المصرى . وجاء فى رسالة الحسين بن محمد الدباغ ، إلى الوزير موسى بن أحمد ، بشأن قيام الطيب الأزرق بالمطبعة بعد سفر الطبيّع المصرى ، وهى رسالة مؤرخة فى ٢١ شوال عام ١٢٩١ هـ :

---

(١) لا يزال هذا التعبير مستعملا فى العامية المصرية ، إلى يومنا هذا . ويعنى : راحته من جميع الوجوه .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٨٤

« فليكن فى كريم علمكم أن المطبعة الشريفة ، التى كان سيدنا المقدَّس بالله أحدثها فى هذه البلاد المباركة ــ جعلها الله فى ميزان حسناته ــ لماّ بقيت مهملةً بتوجّه المصرى الذى كان قيّماً عليها لحال سبيله ، ورَدَ طلبة العلم الشريف علَى حامله المعلم الطيّب الأزرق ، الذى كان تخرّج فى معرفة كيفية الطبع على يد المصرى ، وطلبوا منه القيام فيه مقامه ، فلم يجد بداًّ من مساعدتهم ... » إلى آخر الرسالة (١) .

وقد تعددت المطابع الحجريّة بعد ذلك فى مدينة فاس ، وترى أسماءَها وأسماءَ مطبوعاتها فى كتاب الأستاذ المنونى المذكور .

ومع شيوع هذه المطابع الحجرية فى المغرب ، وقيامها بنشر الكتب وإذاعتها ،رأينا السلطان محمد الرابع يحاول تطوير الطباعة المغربيّة ، وتأسيس مطبعة عصرية بالحروف ، إلى جانب المطبعة الحجرية ، وقد أرسل لذلك أحد الطلاب المغاربة إلى مصر ، ليتدرب على الطباعة العصرية . وهناك رسالة من إسماعيل باشا خديوى مصر ، إلى محمد الرابع سلطان المغرب ، تتضمن الترحيب بذلك المغربىّ الموفَد ، وتاريخ هذه الرسالة ، شوال سنة ١٢٨٣ هـ = ١٨٦٧ م وهذا نصّ الرسالة :

« ... هذا وقد سررت بورود مشرّفكم الكريم ، المتضمن لزوم المطبعة لذلك الجناب الفخيم ، وما يحتاجه المخصوص الوارد بشأنها من مزيد التمرين والتفهيم ، وذلك لما فيها من الإعانة على طلب العلم الشريف وتعليمه ، وتسهيل السبيل فى نشره بين البرايا وتعميمه ، وصيانة كتبه الشريفة من تحريف الكاتبين ، وتقريب تناولها إلى أيدى الطالبين والراغبين ، وهذا دليل ظاهر ، وبرهان باهر ، على مزيد عنايتكم فيما فيه المصلحة العامة ، ورعايتكم لما يعود على الناس بالفائدة التامة ، واهتمامكم بأمر العلم الكريم

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٣٧

وأهله ، وقيامكم بما يجب من حقّ فضله ، فمتّع الله ببقائكم الملك والعليا ، ونفع بوجودكم وسعودكم الدين والدنيا . وقد أرسلنا المُومَى إليه إلى دار الطباعة ، وأكَّدنا على مأمورها بإراءته كلَّ ما يلزم لهذه الصناعة ، والاعتناء بتمرينه على استعمال أدواتها ، وتوقيفه على كيفية إدارة آلاتها ، وسائر كيفياتها » [١] .

وقد تعددت المطابع العصرية بعد ذلك ، فى فاس ، والرباط ، والدار البيضاء ، وتطوان ، وطنجة ، وغيرها من بلدان المغرب ، وقد خرج من هذه المطابع قدر كبير من التراث العربى المغربى فى مختلف العلوم والفنون .

ومع شيوع المطابع فى المغرب ، فقد رأينا كثيراً من العلماء والناشرين المغاربة يتجهون إلى مطابع مصر ، لنشر عيون التراث ، مشاركةً مع دور النشر فى مصر ، أو استقلالا ، فطبعوا أشياء فى المطبعة الأميرية (مطبعة بولاق) ، والمطبعة البهيَّة ، وغيرها من المطابع الخاصة [٢] . ومن أبرز الآثار المغربية التى طبعت فى مصر ، فى تلك الأيام كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، لأبى العباس أحمد بن خالد الناصرى السَّلاوى . وقد طبع هذا الكتاب العظيم بالمطبعة البهيَّة المصرية ، سنة ١٣١٢ هـ = ١٨٩٤ م .

ومن الناشرين المغاربة النابهين بمصر : محمد ساسى المغربى ، وكان تاجراً بالفحَّامين بالقرب من الأزهر ، وقد تولى الإنفاق على طبع موسوعات

---

(١) المرجع نفسه ص ٤٥ ، ٢١٢ ، وقد أفاد الأستاذ المنونى فى حاشية ص ٤٤ أن هذه الرسالة الخديوية من إنشاء الكاتب المصرى الشهير عبد الله فكرى باشا ، ناظر المعارف المصرية إذ ذاك ، وأنها قد وردت فى الآثار الفكرية ص ٥٤ ــ ٥٦

(٢) المرجع نفسه ص ٢٤٨ ــ ٢٥٠

هامة ، منها كتاب الأغانى ، لأبى الفرج الأصبهانى ، الذى أظهره مذيَّلا بالفهارس ، ومكمَّلاً بالجزء الحادى والعشرين ، ولا تزال طبعته هى الطبعةَ الأكثر تداولاً [١] .

وقد قدّمت لك فى حديثى عن مطبعة الجمالية ، ومطبعة السعادة بمصر ، ذِكْرَ الكتب التى كانت تنشر على نفقة مولاى عبد الحفيظ ، سلطان المغرب الأقصى ، بعناية وكيله الحاج محمد بن العباس بن شقرون ، وولده الحاج عبد السلام بن شقرون .

ثم كان تعاون علمىّ بين المعهد الخليفى [٢] بتطوان ، الذى أسسه مولاى الحسن بن المهدى العلوى ، خليفة جلالة ملك المغرب ، وبين لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر . وكان باكورة هذا التعاون العلمى نشرُ ثلاثة أجزاء من كتاب أزهار الرياض فى أخبار عياض ، لأبى العباس المقّرى ، صاحب نفح الطيب ، عام ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م . ومن مطبوعات هذا المعهد أيضا بمصر : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لأبى عبيد البكرى (أربعة أجزاء) عام ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م ، إلى جانب مترجمات كثيرة ، منها : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحِّدين ، للمؤرخ الألمانى يوسف أشباخ ، وترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان (جزءان) . والحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، لآدم متز ، ترجمة الأستاذ محمد عبد الهادى أبو ريدة (جزءان) . والنهضة الأوربية ، تأليف سدنى دارك ، وترجمة الأستاذ محمد بدران .

---

(١) التراث العربى ص ٦٠

(٢) ويسمى أيضا : معهد مولاى الحسن بتطوان ، وكان يمثله فى مصر : بيت المغرب .

وقد وقف خلف نشر التراث فى المغرب ، علماء مغاربة فحول ، تواصلت أجيالُهم العلمية ، من أمثال عبد الحىّ الكتانى ، صاحب « فهرس الفهارس » ، و « التراتيب الإدارية » ، وأبى العباس الناصرى السَّلاوى ، المتقدم قريبا ، ومحمد المنونى [١] ــ هذا العالم الجليل ، الذى جمع الفضائلَ والمفاخرَ كلَّها ، وهو بقية السَّلَف الصالح إن شاء الله ــ ومحمد العابد الفاسى ، وكان من أعلم الناس بنوادر خزانة القرويين بمدينة فاس ، رحمه الله ، ومحمد إبراهيم الكتانى ، أمين المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط ، ومحمد سعيد أعراب ، ومحمد داود ، وعبد الله كنون ، وعبد الله الجرارى ، ومحمد بن تاويت الطنجى [٢] ، وعبد الهادى التازى ، وعبد العزيز بن عبد الله ، وعبد الوهاب بن منصور ، ومحمد الفاسى ، ثم جيل الشباب ، من أمثال الأصدقاء الأوِدّاء : محمد بن شريفة ــ وكان المرحوم الأستاذ رشاد عبد المطلب يسميه : المنونى الصغير ــ وعباس الجرارى ، وعبد السلام الهَرَّاس ، وحسن الوراجلى ، والشاهد البوشيخى ، وإسماعيل الخطيب .

ولا زال هؤلاء المغاربة ، من ذكرت ومن لم أذكر ، يواصلون جهودهم فى نشر التراث وإذاعته ، بإعادة تحقيق ما طبع عندهم قديما ، فى مطبعة

---

(١) سعدت بمعرفته أيام زيارتى للمغرب ، وهو صاحب دراسات عميقة فى التاريخ المغربى ، والحضارة المغربية ، وبيته مفتوح ، ونصحه مبذول لكل طالب علم . ومن مآثره العظيمة أنه أباح مكتبته الخاصة لبعثة معهد المخطوطات عام ١٣٩٢ هـ تصوِّر منها ما تشاء ، وهو ما لا يفعله كثير من أصحاب المكتبات الخاصة . أطال الله حياته ، ومتعه بالسلامه والعافيه .

(٢) قدمت فى حديثى عن معهد المخطوطات أن هناك اثنين من العلماء المغاربة المعاصرين ، كل منهما يسمى : محمد بن تاويت . وأنا أريدهما معاً هنا .

فاس الحجرية ، أو بنشر ما لم ينشر من المخطوطات النفيسة ، التى تمتلئ بها خزائنهم العامة والخاصة .

وفى السنوات الأخيرة نشطت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ، إلى نشر طائفة صالحة من كتب التراث ، منها : التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ، لابن عبد البر ، وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، للقاضى عياض . والكتابان لم يكملا ، فصدر من التمهيد عشرة أجزاء ، ومن ترتيب المدارك ثمانية أجزاء . وهذه الطبعة من ترتيب المدارك ، تفضل كثيرا طبعة بيروت . وقد أصدرت الوزارة أيضا أجزاء من تفسير ابن عطية المسمى : المحرَّر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز . وكان قد طبع من هذا الكتاب جزءٌ فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، وقد نظرت فى هذا الجزء ، ونظيره من الطبعة المغربية ، فوجدت هذه أدقَّ وأصَحَّ .

ومما صدر عن وزارة الأوقاف المغربية أيضا كتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ، للقاضى عياض ، والمهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب ، لجلال الدين السيوطى ، وأربعون حديثا فى اصطناع المعروف ، للحافظ المنذرى ، وشرح ابن مخلوف الثعالبى الجزائرى . ومختصر العين ، لأبى بكر الزُّبيدى (صدر منه جزء واحد) . والإعلام بحدود قواعد الإسلام ، للقاضى عياض . وبعض هذه المطبوعات يصدر بالتعاون مع دولة الإمارات العربية المتحدة (أبو ظبى) .

وهناك بعض المطبوعات التراثية ، تصدر عن المطبعة الملكية ، بإشراف مؤرخ المملكة المغربية ، الأستاذ عبد الوهاب بن منصور ، وكان هذا قد أنشأ دار نشر ، سماها : دار المنصور ، نشر فيها عددا من كتب التراث المغربى ، منه ما هو إعادة لما طبع فى المغرب قديما ، ومنه ما يطبع لأول

مرة . وتدور معظم النصوص التى نشرها الأستاذ عبد الوهاب بن منصور ، سواء فى المطبعة الملكية أم فى دار المنصور ، حول التاريخ المغربى ، وكأنه أراد أن يدفع عن المغاربة تهمة إهمال علم التاريخ ، وقلة العناية به ، وقد صرّح هو نفسه بذلك فى تصديره لكتاب روضة الآس [١] .

ونقف أمام ملاحظة عامة حولَ حركة نشر التراث العربى فى المغرب الكبير (تونس والجزائر والمغرب) ، وهى أن ما نشر هناك قديماً وحديثاً يدور فى فلك التراث المغربى : تاريخه وعلومه وآدابه ، ومذهبه الفقهى — وهو المذهب المالكى — ونعم كانت لهم جهود فى نشر التراث العربى المشرقى ، ولكنها جهود قليلة إذا قايستْها بما نشروه من التراث المغربى .

وهذه الملاحظة تعود بنا إلى التذكير بجهود مطبعة بولاق ، وغيرها من المطابع الأهلية بمصر ، التى كان للتراث المغربىّ فيها حظٌّ وافر ، ونصيب مفروض ، وهذا شئ معروف ، لا داعىَ للتكثُّر بذكر شواهده ؛ إذ كان القائمون على النشر بمصر ، فى تلك الأيام ، ينظرون إلى التراث العربىّ نظرةً كليّة ، فلم يكونوا يتحمَّسون لنشر كتابٍ مّا ؛ لأنه يوافق البلد الفلانى ، أو المذهب الفلانى .

ومهما يكن من أمر ، فقد أحسن المغاربة كلَّ الإحسان ، حين توفَّروا على تراثهم ، ونشطوا لإذاعته ونشره ، وقد قوى هذا الاتجاه فى السنوات الأخيرة ، فإن أحبابنا المغاربة المعاصرين قد نظروا إلى ما صنعه إخوانُهم المشارقة فى الدراسات والنصوص المغربيّة ، فإذا هم قد خلطوا عملاً

---

(١) روضة الآس العاطرة الأنفاس فى ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين ، مراكش وفاس ، لأبى العباس المقرى . المطبعة الملكية بالرباط ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م

صالحاً وآخر سيّئا (١) ، وكان إخوانى المغاربة يطلعوننى على بعض أوهام الدارسين المشارقة ، فى أثناء إقامتى بالمغرب ، وكان يذكرون ذلك فى نبرة متواضعة ، وفى أدبٍ جمّ . ولو لم يكن من تلك الأوهام إلاّ الخطأ فى قراءة الخط المغربى (٢) ، والجهالة برسومه وقواعده ، لكان فى ذلك ما يدعو المغاربةَ إلى أن ينهضوا ببعء إذاعة تراثهم العربىّ المغربىّ ، وأهل مكة أدرى بشِعابها .

* * *

---

(١) ولا يكادون يستثنون من ذلك إلاّ تلك الدراسات التى قام بها الأستاذ العلاَّمة الدكتور عبد العزيز الأهوانى رحمه الله ، والباحث العالم الأستاذ الدكتور محمود على مكىّ ، أطال الله فى عمره ، ومن إليهما من الدارسين المشارقة النابهين ، و المستشرقين المتقدمين .

(٢) معلوم أن الخط المغربىّ مبنىٌّ على أصول الخطّ الكوفى القديم . يقول العلاَّمة محمد المنونى : حافَظَ المغاربة فى رسم المصحف الشريف على الطريقة الأولى لكتابته .

ثم يقول : ومن عالم القيروان ننتقل إلى طابع الأصالة المغربية فى الكتابة ، فقد كان الخط المشتهر فى صدر الإسلام هو الكوفىّ ، ثم تطوّر بالمشرق حتى انتهى إلى إصلاح ابن مُقْلة ، فصار الخط المشرقى إلى الأوضاع المتعارفة ، التى ابتعدت عن الكوفى ، غير أن المغرب لم يأخذ بذلك الإصلاح ، وتطورت الكتابة به فى إطار المحافظة على أصول الخط الكوفى بالقيروان والأندلس . أما ترتيب الحروف الهجائية ، فيمكن أن الترتيب المشرقى عُرف من زمن بنى أمية ، بينما يذكر المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب عن ترتيب هذه الحروف ونقطها ما يلى : « وجدير بالذكر أن أفريقية ــ ومن ورائها المغرب بأسره ــ حافظت من ذلك الوقت (العصر الإسلامى الأول) على أشكال الحروف العربية ، فى نقطها وترتيبها الأبجدىّ ، مثلما وضعت ــ أولا ــ بالعراق ، فالفاء تنقط بنقطة أسفل الحرف ، وأختها القاف بواحدة فوق الحرف ، ثم يظهر آخر القرن الثالث للهجرة تغيير نقطها فى المشرق بنقط الفاء واحدة من فوق ، والقاف باثنتين ، ويستمرّ المغرب على استعمال الطريقة القديمة إلى يوم الناس هذا .

أما ترتيب الحروف فإنه كانَ وما زال فى إفريقية على ما جرت به القاعدة فى الممالك الشرقية قبل القرن الثالث للهجرة » . انظر الطابع الخاص للحضارة المغربية فى العصر الوسيط . فصلة غير مؤرخة من العدد الثالث والرابع من مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط .

دائرة المعارف العثمانية
بحيدر آباد الدكن ـــ الهند

وهذه قلعة كبرى من قِلاع نشر التراث العربىّ . تأسَّست عام ١٨٨٨ م [١] ، بفضل ريع وُقِف عليها ، ومِنحٍ من الحكومة الهندية . ولمَّا أنشئت الجامعة العثمانية بحيدر آباد ، عام ١٩١٨ م ضمَّت إليها الدائرة .

وقد جمعت دائرة المعارف عدداً وفيراً من المخطوطات النادرة ، والأفلام المصغرة منها (الميكروفلم) من مكتبات أوربا وروسيا وإيران وتركيا ومصر ، وسائر البلدان العربية ، بالإضافة إلى ما تضمه مكتبات الهند نفسها ، ثم أخذت فى نشرها وإذاعتها . وقد بلغ ما نشرته الدائرة ، خلال سبعين سنة من إنشائها ١٧٠ كتابا ، فى ٣٧٠ مجلدا .

وقد أتت مطبوعات الدائرة على كلِّ فنون التراث ، وجاء فى قائمة مطبوعاتها المنشورة عام ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م ، أسماءُ هذه الفنون ، وهى :

التفسير ـــ أصول الحديث ـــ الحديث ـــ الرجال والأسانيد ـــ السِّيَر والمناقب والتراجم ـــ الفقه ـــ الكلام والعقائد ـــ التصوف

---

(١) ينبغى أن يكون معروفاً أن الطباعة العربية قد عرفت بالهند قبل ذلك التاريخ ، وأن هناك نصوصاً تراثية مطبوعة عندهم قديما ، منها على سبيل المثال : حماسة أبى تمام ، الذى طبع بكلكته عام ١٨٥٦ م ، ومغازى الواقدى ، قبل ذلك بعام . وكشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوى ١٨٦٢ م . وتلقيح فهوم أهل الأثر فى عيون التاريخ والسير ، لابن الجوزى . دهلى ١٢٨٦ هـ . وأبجد العلوم ، لصديق حسن خان القنوجى . بهوبال ١٢٩٥ هـ . وديوان مسلم بن الوليد (صريع الغوانى) بمبى ١٣٠٣ هـ = ١٨٨٥ م بعد عشر سنوات من صدوره فى ليدن ، على يد المستشرق دى خويه ، كما سيأتى . والرفع والتكميل فى الجرح والتعديل ، لمحمد عبد الحىّ اللكنوى ١٣٠٩ هـ . والرجال للنجاشى . بمبى ١٣١٧ هـ

ومتعلّقاته ــ التاريخ وجامع العلوم [١] ــ الأدب وما يتعلق به ــ اللغة والنحو والمعانى ــ الفلسفة وما بعد الطبيعيات ــ الرياضيات والهيئة ــ الأنساب ــ العلوم المختلفة من علم المناظر والزمان والمكان ، والمياه الخفية ، ومعرفة الجواهر ، وكيفية الوزن والتعليم وغيره ــ الطب .

وبعض منشورات الدائرة من الموسوعات الضخمة ، مثل الحاوى فى الطب ، لأبى بكر الرازى (٢٣ جزءا) ، وكنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ، للمتقى الهندى (٢٢ جزءا) . ونظم الدرر فى تناسب الآيات والسُّور ، للبقاعى (٢٠ جزءا) ، وتهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلانى (١٢ جزءا) والأنساب ، لأبى سعد السمعانى (١٢ جزءا) ، . والسُّنن الكبرى ، للبيهقى (١٠ أجزاء) . والثقات ، لابن حِبّان (٩ أجزاء) . والجرح والتعديل ، لابن أبى حاتم الرازى (٩ أجزاء) . وإنباء الغُمر بأنباء العُمر ، لابن حجر العسقلانى (٩ أجزاء) . والتاريخ الكبير ، للبخارى (٨ أجزاء) . والفتوح ، لابن أعثم الكوفى (٨ أجزاء) . ولسان الميزان ، لابن حجر العسقلانى (٦ أجزاء) .

ومن النصوص الأولى فى التأليف العربى ، التى نشرتها الدائرة : التيجان فى ملوك حمير ، لوهب بن منبه ، ومعه ما بقى من أخبار عَبيد بن شَرِيَّة ، وسيأتى حديث عن هذا الكتاب فى الكلام عن المستشرق كرنكو . والفقه الأكبر للإمام الأعظم أبى حنيفة . وكتاب الأصل ، للإمام محمد بن الحسن الشيبانى ، والخيل ، لأبى عبيدة معمر بن المثنى . وغريب الحديث ، لأبى عبيد القاسم بن سلام . والمحبَّر ، لابن حبيب ، والمنمَّق ، له . والمعانى الكبير ، لابن قتيبة . ورسائل ثابت بن قرّة الحرَّانى ، فى الرياضيات . والجمهرة فى اللغة . والمجتنى ، كلاهما لابن دريد . وأمالى اليزيدى .

---

(١) لعل المراد : المعارف العامة .

ويُعدُّ ما نشرته دائرة المعارف العثمانية ؛ من كتب رجال الحديث ، وتراجمهم ، من أوسع وأعظم ما نشرته الدائرة ، وهو ما لم تقم به هيئةٌ أخرى ، فى داخل العالم العربى ، أو خارجه .

وقد تعاون مع الدائرة ، فى نشر بعض مطبوعاتها نفرٌ من المستشرقين ، منهم كرنكو ، وآربرى ، ثم كان للدائرة اتصالات وثيقة بعلماء المخطوطات والتراث فى كل مكان .

وقد نشرت الدائرة بعض مطبوعاتها خارج الهند ، ومن ذلك كتاب معرفة علوم الحديث ، للحاكم النيسابورى ، الذى طبع بدار الكتب المصرية عام ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، لابن خالويه ، الذى طبع بمطبعة دار الكتب المصرية أيضا عام ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م . وهو بتحقيق الشيخ عبد الرحمن المعلمى ، والمستشرق كرنكو ، وصحَّحه وزاد فى حواشيه الأستاذ عبد الرحيم محمود ،أحد كبار مصححى دار الكتب المصرية .

والقائمون على تصحيح الكتب فى هذه الدائرة ، يعملون فى إخلاص واحتساب وصمت . ومن أشهرهم وأعلاهم قدراً الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المُعَلِّمى اليمانى [1] . نسبته إلى « بنى المُعَلِّم » من بلاد عُتْمة (بضم العين المهملة وسكون التاء الفوقية) باليمن . وقد وُلد بها سنة ١٣١٣ هـ ، ونشأ بها أيضا ، ثم رحل إلى جيزان سنة ١٣٢٩ هـ ، فى إمارة محمد بن على الإدريسى بعَسير ، وتولّى رئاسة القضاء ، ولقِّب بشيخ الإسلام ، وبعد موت الإدريسى سنة ١٣٤١ هـ سافر إلى الهند ، وعمل فى الدائرة المذكورة

---

(١) هكذا كان يكتب اسمه ونسبته . انظر مقدمة تصحيحه لكتاب الجرح والتعديل ، لابن أبى حاتم (١٢٧١ هـ = ١٩٥٢ م) .

مصحّحاً ما تطبعه من كتب رجال الحديث ، والأنساب والتاريخ ، واستمرَّ يعمل فى الدائرة زهاء ربع قرن .

ومن الكتب الموسوعية التى قام على تصحيحها فى الدائرة : الجرح والتعديل ، لابن أبى حاتم الرازى ، والطبعة الثانية من تذكرة الحفاظ ، للذهبى ، وأربع مجلدات من الأنساب ، للسَّمعانى ، وأربع مجلدات من الإكمال ، لابن ماكولا ، وقد كشف فى حواشيه على هذه الكتب ، عن علم غزير ، وتحقيق نفيس .

وله ــ رحمه الله ــ مؤلفات ، منها كتاب الأنوار الكاشفة ، وهو ردٌّ على كتاب أضواء على السنة ، للشيخ محمود أبو ريَّة . وكتاب التنكيل بما فى تأنيب (١) الكوثرى من الأباطيل . وترك رسائل مخطوطة .

وقد ترك حيدرآباد ، ورحل إلى مكة المكرمة ، سنة ١٣٧١ هـ ، فعيِّن بمكتبة الحرم المكى ، وظلَّ على صلة بدائرة المعارف العثمانية ، يوالى نشر الأنساب ، والإكمال ، إلى أن توفى عام ١٣٨٦ هـ . قيل : شوهد فى مكتبة الحرم المكى منكبًّا على بعض الكتب ، وقد فارق الحياة . وقيل : بل توفّى على سريره (٢) . ودفن بمكة . رحمه الله رحمة واسعة (٣) .

---

(١) المقصود بالتأنيب : كتاب تأنيب الخطيب ، للشيخ الجليل محمد زاهد الكوثرى ، الذى تعقَّب فيه ما ذكره الخطيب البغدادى ، فى ترجمة الإمام أبى حنيفة ، من تاريخ بغداد . واسم الكتاب : تأنيب الخطيب على ما ساقه فى ترجمة أبى حنيفة من الأكاذيب . راجع الأخبار التاريخية فى السيرة الزكية ص ١٣٢ .

(٢) وهذا هو الصحيح ، أخبرنى به أخى الشيخ محمد بن عثمان الكنوى ، رئيس قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية ، بجامعة أم القرى . وكان زميلاً للشيخ المعلمى فى مكتبة الحرم المكى . وأخبرنى أن الشيخ المعلمى كان يبيت فى المكتبة . إذ كانت له غرفة خاصة بها .

(٣) الأعلام ٣٤٢/٣ ، وانظر تعريفاً أكثر ، به وبمؤلفاته وتحقيقاته فيما كتبه الشيخ=

وكان الشيخ المعلِّمى ــ فيما وُصف لنا ــ متواضعاً ، رقيق الحال ، حدثنى الأستاذ فؤاد سيّد ، أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية ، رحمه الله قال : كنت فى أثناء الحج أتردد على مكتبة الحرم المكى ، لرؤية المخطوطات ، وزيارة مدير المكتبة المرحوم الشيخ سليمان الصنيع ، وكان بين الحين والآخر يأتى إلينا رجلٌ رقيق الحال ، يسقينا ماءَ زمزم . وبعد يومين طلبت من الشيخ الصنيع رؤية الشيخ عبد الرحمن المعلمى ، فقال : ألم تره بعد ؟ أليس يسقيك كلَّ يوم من ماء زمزم ؟ يقول الأستاذ فؤاد : فتعجبت من تواضعه ورقّة حالِه ، مع ما أعرفه من علمه الواسع الغزير .

* * *

= محمد ناصر الألبانى ، تقدمة لكتاب التنكيل المطبوع فى لاهور بباكستان ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

جهود المستشرقين فى نشر التراث

مرَّ بك فى صدر هذا البحث أن أيامنا كلَّها ؛ حلوَها ومُرَّها ، لم تكن بعيدةً عن الغرب ، وأن الحضارة الأوربية قد أفادت من حضارتنا العربية إفاداتٍ شتى ؛ ممّا أنتجته هذه الحضارةُ العربيةُ نفسُها ، ومما حملتْه من حضارات الأمم الأخرى .

وقد بدأ اتصال الغرب بالحضارة العربيّة ، اتصالا فعلياً ومؤثّراً منذ بزوغ النهضة الأوربية فى القرن العاشر الميلادى ، أو قبله بقليل ، وظهرت آنذاك طلائع المستشرقين ، وهم طائفة من علماء الغرب — جمهورهم من الرهبان — التفتوا التفاتة جادّة إلى تراث العرب ، وقد عرفوه من عرب الأندلس ، ومصر ، والشام ، وأكبُّوا عليه يفاتشونه ويتدارسونه ، وكان اهتمامهم فى أول الأمر مصروفاً إلى علوم الحكمة والفلسفة ، والجبر والحساب ، والفلك والأسطرلاب ، والطبّ والكيمياء [(١)] والبصريات . ثم أفضى بهم ذلك إلى فروع التراث العربىّ الأخرى .

ومن أوائل علمائهم فى تلك الحقبة ، راهب فرنسى يدعى جربر دى أورالياك ، المولود عام ٩٣٨ م ، والمتوفى عام ١٠٠٣ م ، وقد قصد الأندلس ، وأخذ على أساتذتها فى مدارس ريبول ، وأشبيلية ، وقرطبة ، حتى أصبح أوسع علماء عصره ، ثقافةً بالعربية ، والرياضيات والفلك ، ولما ارتحل إلى رومة ، سما على أقرانه ، وانتخب حبراً أعظم ، باسم سلفستر الثانى ،

---

(١) وقد تمثل كل أولئك فى مصنفات الخوارزمى ، والبيرونى ، وابن سينا ، والزهراوى ، وابن رشد ، وابن الهيثم ، وأبى بكر الرازى ، والإدريسى ، وعبد اللطيف البغدادى .

فكان أول بابا فرنسى ، وقد أمر بإنشاء مدرستين عربيتين ، الأولى فى رومة مقرّ خلافته ، والثانية فى رايمس ــ شمال فرنسا ــ وطنه ، ثم أضيف إليها مدرسة شارتر . وقيل : إنه أول من صنع ساعة رقاصة ، ووصف حروف الغُبار وصفاً علميّا ، وبثّ الأعداد العربية فى أوربا ، التى كان ينقصها رقم الصفر ، وترجم بعض الكتب الرياضية والفلكية ، كالزيج المنصورى ، وله دراسة عن كتاب أقليدس الهندسى بالعربية [1] .

ومنهم أدلرد أوف باث ، المولود عام ١٠٧٠ م ، والمتوفى عام ١١٣٥ م ، وهو راهب أيضا . طلب العلم فى الأندلس ، وصقلية ، ومصر ، ولبنان ، والقدس ، وأنطاكية ، واليونان ، وجمع معارف فى علوم الطبيعة والفلك والرياضيات . وعند عودته إلى انجلترا عيّن معلّما للأمير هنرى ، الذى أصبح فيما بعد الملك هنرى الثانى . واشتهر هذا الراهب باختباره سرعة الضوء والصوت ، وتضلّعه من ثقافة العرب ، الذين آثر مذهبهم فى العلم على مذهب الفرنجة ، فقال فى كتابه المسائل الطبيعية ، وهو محاورة بينه وبين ابن أخيه ، خرّيج جامعات الفرنجة : « إننى ــ وقائدى هو العقل ــ قد تعلمت من أساتذتى العرب ، غير الذى تعلمتَه أنت ، فبهرتك مظاهرُ السُّلطة ، بحيث وضعت فى عنقك لجاماً تُقاد به قيادَ الإنسان الحيوانات الضارية ، ولا تدرى لماذا ، ولا إلى أين .... فقد منح الإنسان العقل لكى يفصل بين الحقّ وبين الباطل ... فعلينا بالعقل أولا ، فإذااهتدينا إليه ــ لا قبل ذلك ــ بحثنا فى السُّلطة ، فإن سايرت العقل قبلناها وإلا ... » .

وآثار هذا الراهب كثيرة ، منها ترجمات لاتينية وفيرة ، فى الفَلَك

---

(١) المستشرقون ص ١٢٠

والرياضيات ، أشهرها زيج الخوارزمى . وترجم بمعاونة يوحنا الأشبيلى ، أربعة كتب لأبى معشر البلخى . وله كتاب القنص بالباز ، والعلوم عند العرب . وقد طبع هذا بعد سنة ١٤٧٢ م (١) .

ومن أشهر فلاسفة تلك الحقبة ، الذين أفادوا من تراث العرب ، فى الحكمة والفلسفة ، الراهب توما الإكوينى ، المولود عام ١٢٢٥ م ، والمتوفى عام ١٢٧٤ م . وهو من أسرة ألمانية شريفة ، وله حول آراء ابن رشد مواقف كثيرة ، يعرفها المشتغلون بالفلسفة ، وقد طبع من مصنفاته عشرة آلاف صفحة من القطع الكبير ، اعترف فيها صراحةً باقتباسه عن ابن سينا ، والغزالى ، وابن رشد ، وابن ميمون ، وغيرهم من علماء العرب ومفكّريهم (٢) .

وتمثل أعمال هؤلاء الرهبان قيمة كبرى فى تاريخ العلوم ، حيث إن بعض ما ترجموه عن العرب فى الفلسفة والطب والرياضيات والفلك ، قد ضاعت أصوله العربية ، وسلمت ترجماته اللاتينية (٣) .

وقبل أن أطوى تلك الكلمة الموجزة عن طلائع الاستشراق ، لابدَّ من وقفة أمام عالمين عربيّين مسلمين ، كان لهما تأثير ظاهر فى النهضة الأوربية فى العصر الوسيط . أما أولهما فهو : شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد السَّعدى ، الملقَّب أسد البحر . ولد بنجد (٤) ، ولم يعرف تاريخ مولده .

---

(١) المستشرقون ص ١٢٢

(٢) المستشرقون ص ١٣٠

(٣) المرجع السابق ص ١٢٦

(٤) يقول المستشرق الروسى كراتشكوفسكى ، فى التعريف بابن ماجد : « فهو بهذا ينتمى إلى نجد ، وهى حالة نادرة ؛ لأن الملاَّحين كانوا فى عهد ازدهار الحضارة العربية من بين الفرس عادة » . تاريخ الأدب الجغرافى العربى ص ٥٧٣ ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم . نشر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية . القاهرة ١٩٦٣ م

وينحدر ابن ماجد من صلب أسرة اشتغل أفرادها بقيادة السفن ، كما ذكر المستشرق كراتشكوفسكى .

وابن ماجد من علماء فن الملاحة عند العرب ، ويجمع مؤرخو العلم على أنه أكبر علماء البحار ، والرَّبابنَة ، فى العصر الوسيط . وهو الربّان الذى أرشد قائد الأسطول البرتغالى فاسكودى جاما ، فى رحلته التاريخية ، من مالندى ، عبر مضيق رأس الرجاء الصالح ، على ساحل افريقية الشرقى ، إلى كلكتا ، على الساحل الغربى للهند ، عام ١٤٩٨ م ، بعد فشل رحلات سابقة لفاسكودى جاما . وقد جعلت هذه الرحلة ثروة الهند فى متناول أوربا ، وساعدت على نموّ ثروة البرتغال وإمبراطوريتها ، حيث عرفت طريقها إلى الشرق وخيراته . وقد تمَّ فى هذه اللحظة انتقالُ السيطرة من الشرق إلى الغرب ، كما يرى المستشرق الروسى كراتشكوفسكى [١] ، الذى ذكر بالتفصيل قصة لقاء ابن ماجد بفاسكودى جاما ، وعمله معه .

وقد وضع ابن ماجد كثيراً من المصطلحات البحرية ، ورسم خرائط الملاحة فى بحار الشرق ، واخترع تركيب المغناطيس على البوصلة البحرية ، وذكر منازل القمر ، ورصد النجوم ، والرياح الموسمية ، مع ذكر الصفات المهنية والأخلاقية للربَّان . وقد ضمَّن ذلك كلَّه كتابه : الفوائد فى أصول البحر والقواعد . الذى سلمت مخطوطته التى كتبها ابن ماجد بيده ، وتوجد بباريس برقم (٢٢٩٢) ومنها مصورة بدار الكتب المصرية ، ومعهد المخطوطات بالقاهرة ، وقد نشرها جابرييل فيران ، بباريس عام ١٩٢٤ م .

ومن الغريب والمحزن حقاً ، أن يكون هذا الكشف العلمى الخطير ،

---

(١) تاريخ الأدب الجغرافى العربى ص ٥٦٢

الذى تمَّ بإرشاد الملاَّح العربىّ المسلم ابن ماجد ، سبيلاً إلى التنكيل بالمسلمين القاطنين بديار الهند ، حيث أخذ البرتغاليون يقطعون عليهم الطريق أسراً ونهباً ، إلى أن كثر ضررهم على المسلمين ، وعمّ أذاهم على المسافرين ، فأرسل السلطان مظفر شاه بن محمود شاه ، سلطان كجرات يومئذ (٩١٧ هـ ــ ٩٣٢ هـ) إلى السلطان الأشرف قانصوه الغورى ، يستعين به على الفرنج [١] . ولعلّ هذا الأذى الذى تعرَّض له المسلمون ، هو الذى جعل ابن ماجد يقول كلمته الشهيرة الواردة فى أحد مؤلفاته التى كتبها فى أواخر أيامه : « آه لو علمت من قبل ماذا يقدرون أن يفعلوا » .

توفى ابن ماجد بعد سنة ٩٠٤ هـ [٢] .

وأمَّا الثانى فهو : أبو على الحسن بن محمد الوزَّان الفاسى ، المولود فى غرناطة ، نحو سنة ٨٨٨ هـ = ١٤٨٣ م ، والمتوفى بتونس ــ فى أكثر الروايات ــ نحو سنة ٩٥٧ هـ = ١٥٥٠ م . وبين مولده فى غرناطة ، ووفاته بتونس ، حياةٌ زاخرة بالغرائب والعجائب .

ومن حديثه أنه هاجر طفلاً مع أبيه وبعض أقاربه إلى فاس ، فتلقى العلم بجامع القرويين ، وكان أبوه من وجهاء القوم فى المجتمع المغربى ، وقد انتدب لبعض السفارات والوساطات السياسية ، وكذلك كان عَمُّه ، وقد صحبه فى رحلة دبلوماسية ساقته إلى تمبكتو ، ثم انتدب هو أيضا لبعض السفارات ، فتيسرت له الرحلة إلى أكثر بلدان إفريقية الشمالية والشرق الأوسط ، وحجّ سنة ٩٢١ هـ ، ودخل الآستانة ومصر ، وطاف بلاد

---

(١) المرجع نفسه ص ٥٧١

(٢) راجع الأعلام ٢٠٠/١ ، تاريخ الأدب الجغرافى العربى صفحات ٥٦٣ ، ٥٦٧ ــ ٥٨١ ، ٥٨٣ ، ٥٨٥ ، ٥٩١ ، ٥٩٦ ، تقدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوربّا . تأليف عبد الله بن العباس الجرارى . دار الفكر العربى . القاهرة ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م . الموسوعة العربية الميسرة ص ٩٧

المغرب الأقصى ، وكانت سفاراته لأسرة بنى وَطّاس الحاكمة بفاس ، ثم قام بسفارات مماثلة للشريف محمد السعدى ، القائم بأمر الله ، وحضر حروباً بينه وبين البرتغال . ثم كانت محنته حين أسره قراصنة من الإيطاليين ، من أهل جزيرة صقلية ، وهو فى طريق عودته من المشرق عند جزيرة جربة ، سنة ٩٢٣ هـ ، أو سنة ٩٢٦ هـ ، ثم ساقوه إلى نابلى ، واتجهوا به إلى رومة حيث قدَّموه هدية ، مع زرافة ، إلى البابا ليون العاشر ، ومعه كتبه وأوراق رحلته ، وكانت للبابا عناية بعلوم العرب [1] ، كما أنه عرف باطلاعه على المسألة الشرقية ، حتى إنه بحث مع فرنسوا الأول ، ملك فرنسا ، فى عام ١٥١٥ م مشروع حملة صليبيّة ضد الترك ، إذ كانت تركيا تمثّل فى ذلك الوقت تجمّعا إسلامياً ، أرعب قلوبَ الصليبيين ، وبخاصة بعد دخول السلطان سليم العثمانى مصر ، وبدأت استانبول تجتذب إليها بشكل مطّرد ، أنظار العرب الذين أخذت أوطانهم تدور فى فلك الدولة العثمانية بطريق مباشر ، أو غير مباشر [2] .

ومن هنا فقد اهتمّ البابا ليون العاشر بذلك الأسير المغربىّ ، ووجد فيه ضالّته المنشودة ، التى تعينه على ما يريده من معرفة أحوال العرب وتاريخهم وحضارتهم ، فأكرمه وأدخله فى خاصته ، وسمَّاه جان ليون ، وكان الحسن الوزّان يكتبها بالعربية : « يوحَنَّى الأسد » . كما جاء بخطه على مخطوطة كتاب قواعد الشعر لثعلب ، نسخة مكتبة الفاتيكان رقم ٣٥٧ .

---

(١) راجع ما تقدم عن تاريخ الطباعة العربية .

(٢) تاريخ الأدب الجغرافى العربى ص ٤٥١ . ويقول ابن العماد الحنبلى ، فى صفة السلطان سليم : إنه من قوم « رفعوا عماد الإسلام ، وأعلوا مناره ، وتواصوا باتباع السنة المطهرة ، وعرفوا للشرع الشريف مقداره » . شذرات الذهب ١٤٣/٨

وقيل إنه اضطر إلى اعتناق المسيحية . قال الأستاذ الزركلي : « وما من دليل يؤكد ذلك » .

وقد تعلم الوزّان الإيطالية واللاتينية ، وكان يحسن الإسبانية والعِبرية ، وطلب منه البابا أن يترجم رحلته إلى الإيطالية ، ففعل . وأذن له بتدريس العربية فى كلية بولونية . وبعد موت البابا (سنة ٩٢٧ هـ) دخل تحت حماية الكردينال جيل ، وعلمه العربية ، وصنف فى خلال ذلك معجما طبيًّا عربيّا لاتينيًّا عبريًّا ، أنجزه سنة ٩٣٠ هـ ، ولا تزال أوراق منه موجودة بخطه . ثم صنَّف باللاتينية كتاباً فى تراجم ثلاثين عالماً من علماء المسلمين ، فى الفلسفة والطب . ومنه عرفت أوربا معلومات قيّمة عن تاريخ العلوم عند العرب وتطورها . وقد نشره المستشرق السويسرى هوتنجير (١٦٢٠ — ١٦٦٧ م) ، فى زوريخ عام ١٦٦٤ م .

ومن أبرز أعمال الحسن الوزّان كتابه فى وصف إفريقيا ، الذى وضعه بالعربية ، ثم ترجمه إلى الإيطالية ، وأتم هذه الترجمة فى العاشر من مارس ، عام ١٥٢٦ م . وفى هذا الكتاب كثير من جغرافية إفريقيا وتاريخها ، أوردها وعلّل أسبابها ونتائجها ، وهو القسم الثالث من كتابٍ له ، ألفه فى الجغرافية العامة . وقد طبع هذا الكتاب أول طبعة له بإيطاليا ، سنة ١٥٥٠ م ، ثم أعيد طبعه عدة مرات فى إيطاليا ، وليدن ، وباريس ، وهولنده ، وانجلتره ، وألمانيا ، وقد ترجم إلى اللاتينية ، والفرنسية ، والألمانية .

ويعدُّ كتاب الوزّان فى وصف إفريقيا أوّل كتاب فنِّى جغرافى ظهر بأوربا ، وكان فى طليعة الكتب التى ابتدأت بها المطبعة بفرنسا ، فتأثيره فى النهضة الأوربية ممّا لا شكَّ فيه . ويقول المستشرق الألمانى هارتمان ، فى وصفه : « إن ما يتصف به مصنفه من ميزات أمرٌ معروف للجميع ، ولن أتردَّد فى تكرار ما قاله البحَّاثة قبلى ، من أن كتابه كنزٌ من الذهب ، ولولا

وجوده بين يدىّ لخفيتْ علىَّ أشياءُ كثيرة » . وهذا القول نفسه ردَّده بعد قرنين من الزمان ، واحدٌ من خيرة العارفين بالجغرافيا التاريخية ، ومحرر الطبعة العلمية لوصف إفريقيا ، وهو المستشرق الفرنسى شيفير ، فقال : « إن ما يورده ليون الإفريقى من تفاصيل فى وصف المغرب ، يتميز بالدقة الشديدة ، بل ولقد أثبتت الأبحاث الأخيرة صدق قوله ، حتى فى تلك المواضع التى أثارت بعض الشك فيما مضى » (١) .

وفى نحو عام ٩٣٤ هـ = ١٥٢٧ م تمكّن الحسن الوزَّان (ليون الإفريقى) من الإفلات والعودة إلى بلاده . قال جريجوار : ومات على أكثر الروايات مسلما ، فى تونس ، نحو سنة ٩٥٧ هـ = ١٥٥٠ م (٢) .

هذا ما كان من أمر طلائع الاستشراق ، فى العصر الوسيط ، والتأثيرات العربية فيه ، أشرت إليه إشارة موجزة ، تذكرةً للشُّداة المبتدئين .

وحين ظهرت المطبعة فى القرن الخامس عشر الميلادى ، كان المستشرقون من أسبق الناس إلى طبع الكتاب العربىّ . وإن المرءَ ليعجب من غزارة ما طبعوه من تراثنا ، وكأنَّ هذا الاختراع العظيم إنما جاء لخدمة ذلك التراث وحده ، وإذاعته ونشره ، وكأنه لم يكن بين أيدى الناس فى تلك الأيام من تراث الإنسانية ، إلاَّ تراثُ العرب .

وقد كان المهد الأول للطباعة العربية فى إيطاليا — كما سبق — ومن

---

(١) تاريخ الأدب الجغرافى ص ٤٥٤

(٢) انظر المرجع السابق ص ٤٥٠ — ٤٥٤ ، والأعلام ٢١٧/٢ ، والمستشرقون ص ١٣٦ . وانظر مقدمة كتاب وصف إفريقيا . الطبعة العربية . ترجمة الدكتور عبد الرحمن حميدة ، ونشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٣٩٩ هـ .

أوائل ما طبع فيها كتاب الكافية فى النحو ، لابن الحاجب سنة ١٥٩٢ م .
والقانون فى الطب ، لابن سينا ، سنة ١٥٩٣ م .

ثم تعددت المطابع العربية بعد ذلك فى أوربا ، وطبع فيها مئات الكتب العربية ، وأكثرها فى لندن وباريس ، وليبزج ، وليدن ، وجوتنجن ، وروما ، وفينا ، وبرلين ، وبطرسبورج . ومن أشهر هذه المطابع الأوربية مطبعة بريل بمدينة ليدن بهولاندا . وهى تشبه فى شهرتها مطبعة بولاق بمصر .

ولم تقف جهود المستشرقين عند حدود نشر النصوص فقط ، بل انصرفوا إلى دراسة التراث العربى ، فى فنونه وأطواره المختلفة ، وأثره وتأثيره ، وموازنته بغيره ، ورصدوا لذلك الجوائز [١] ، وأنشأوا لتحقيق تلك الغاية مجلات خاصة ، من أشهرها : مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ، وقد أسسها المستشرقون الانجليز ، بلندن ، سنة ١٨٢٣ م ، والمجلة الشرقية الألمانية ، التى تأسست سنة ١٨٤٧ م ، وهى التى يرمز لها بالحروف : (Z M G) . ثم عقدوا المؤتمرات التى تبحث شئون التراث العربى ، وشارك فيها كثير من العلماء العرب والمسلمين ، وأنشأوا دوائر المعارف الإسلامية ، وأقاموا المكتبات التى تعنى بجمع المخطوطات العربية ، وصيانتها . ومن أشهر هذه المكتبات : المكتبة الأهلية بباريس ، أو مكتبة باريس الوطنية ، وقد تأسست عام ١٦٥٤ م . ومكتبة المتحف البريطانى ، التى تأسست بلندن عام ١٧٥٣ م . وهاتان المكتبتان من أغنى مكتبات أوربا بالمخطوطات . ومكتبة

---

(١) سيأتى شئٌ من ذلك ، فى ترجمة المستشرق الهولندى دوزى . وذكر الأستاذ الزركلى ، فى ترجمة محمود شكرى الآلوسى العراقى ، أنه ألّف كتابه : بلوغ الأرب فى أحوال العرب ، إجابة لاقتراح لجنة اللغات الشرقية ، فى استكهولم ، وفاز بجائزتها . الأعلام ١٧٣/٧

جامعة ليدن ، وفيها قدر كبير من نفائس المخطوطات . ومكتبات برلين ، والفاتيكان ، ولينجراد والاسكوريال ، وكمبردج .

وقد نقل المستشرقون الاهتمام بالتراث العربى ، إلى داخل الجامعات ، فأنشأوا بها كراسى للّغات الشرقية والأدب العربى ، كما فى جامعات السوربون بفرنسا ، واكسفورد وكمبريدج بانجلترا ، وليدن بهولاندا . وقد عمل فى هذه الجامعات بعضُ الأساتذة العرب ، مثل الشيخ حسن توفيق العدل ، الذى تعلم بالأزهر ، ودار العلوم . وكان معلّما للعربية فى المدرسة الشرقية ببرلين ، مدة خمس سنوات . واختير أستاذاً للعربية فى كمبردج بانجلترا ، سنة ١٩٠٣ م وصار من أعضاء الجمعية الآسيوية الملكية بلندن ، ولم يكن فيها أجنبىٌّ عن الانجليز غيره . وتوفى هناك عام ١٣٢٢ هـ = ١٩٠٤ م ، ثم نقل إلى مصر .

ومن عجيب ما يذكر هنا أنهم قد اصطنعوا فى هذه الأقسام التى تعنى بالتراث العربى وظيفة « قارئ نصوص » بجانب الأساتذة والمحاضرين .

وعلى نحو ما رأينا ، من قيام بعض الجمعيات الخيرية فى مصر ، بطبع كتب التراث ، رأينا لجنة جيب التذكارية بلندن . ومن حديثها أنه لما توفى المستشرق الانجليزى إلياس جون جيب ، سنة ١٩٠١ م ، أرادت والدته تخليد ذكراه ، بمبرّة دائمة الريع ، فاقترح عليها المستشرق إدوارد جرانفيل براون ، وقْفَ مبلغ من المال ، يُنفَق ريعه على نشر البحوث العلمية ، فى تاريخ العرب والفرس والترك ، وآدابهم ، وفلسفتهم وديانتهم ، وهى العلوم التى كان ابنها قد تخصّص فيها ، ويتعذّر على طلاّب الاستشراق إيجادُ ناشر يتكلّف طبع مصنفاتهم فيها ، لكساد سُوقها ، فأوقفت مبلغاً كبيراً من المال ، لذلك الغرض العلمىّ ، وتألفت لجنة من أعلام المستشرقين ، لإنفاق ريعه على المؤلفات التى تختارها للتحقيق والنشر . وكان من حظّ العربيّة نشرُ عدد

من أمهات المصادر ، منها : الأنساب ، للسمعانى (مصورة فى مجلد ضخم عن المخطوطة) دون تحقيق ، أو فهرسة ، ومعجم الأدباء ، لياقوت ، وتجارب الأمم ، لابن مسكويه ، والولاة والقضاة ، للكندى ، وفتوح مصر والمغرب والأندلس ، لابن عبد الحكم ، واللمع ، لأبى نصر السرَّاج ، والبديع ، لابن المعتز ، ثم دواوين شعرية كثيرة منها : ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس والأعْشَيْن [١] الآخرِين ، وطبع باسم : الصبح المنير فى شعر أبى بصير . وآخر هذه الدواوين التى طبعت ضمن تلك السِّلسلة — فيما أعلم — ديوان حسان بن ثابت ، رضى الله عنه ، عام ١٩٧١ م ، بتحقيق الأستاذ الدكتور وليد عرفات . وهذ الطبعة من الديوان محققة تحقيقا علميًّا جيّدا ، وهى تفضل ما سبقها ، وماتلاها من طبعات .

وقد صُدِّرت مطبوعات لجنة جِيب التذكارية بهذا البيت :

تلك آثارُنا تدلُّ علينا فانظروا بعدَنا إلى الآثارِ [٢]

ولى عدَّة ملاحظات حول منهج المستشرقين ، فى نشر التراث العربى ، وأحبُّ أن يكون واضحاً ، أن هذه الملاحظات تمثل وجهة نظرى وحدى ، ولست متأثّراً فيها بأحد ، مادحاً كان ، أو ذاماً ، راضياً أو ساخِطاً ، فإن الحقيقة العلميّة أعلى من المدح والذم ، أو الرضى والسخط .

ولقد عملت مع بعض هؤلاء المستشرقين ، فى مصر ، بل إن نظراتى الأولى فى النصوص كانت من خلال أعمالهم . ثم كان ما كان ، من اتصالى بالتراث العربى ، ذلك الاتصالَ الوثيق ؛ ناسخاً ومفهرساً ، وقارئاً ومحقّقا ، وباحثا بمعهد المخطوطات ، ومجالساً لأكابر علماء هذا الفن ، فأظهرنى ذلك

---

(١) الأعشَيْن ، بفتح الشين المعجمة ، وسكون الياء التحتية ، وكثير من الناس يقوله : الأعشِين ، بكسر الشين ، وهو خطأ ، فإنه جمع الأعشَى ، مقصورا ، وسبيله أن يكون على حدّ مصطفى . قال تعالى : ﴿ وإنهم عندنا لمن المُصْطَفَيْنَ الأخيار ﴾ سورة ص ٤٧ . وبعضهم يظن أنه مثنى . انظر المغنى ص ٦٧١

(٢) المستشرقون ص ٤٦٢

كلّه ـــ بعد عون الله وتوفيقه ـــ على طرائق العلماء ، فى نشر التراث ؛ من كان منهم من أهل لسانى العربى ، ومن كان من أهل اللسان الأجنبى .

وسوف أوجز ملاحظاتى فى تلك النقاط المحدَّدة ، تيسيراً لطالب العلم المبتدئ :

أولا : اتخذ نشاط المستشرقين ثلاثة اتجاهات : نشر النصوص ، والتعريف بالمخطوطات ، ودراسة الفنون ، وأعلام التراث . والاتجاهان الأخيران ظهر أثرُهما فى مؤتمرات المستشرقين ، ومجلاتهم المتخصصة ، ودوائر المعارف . والذى يعنينا هنا ، الاتجاه الأول ، المتّصل بنشر النصوص .

ثانيا : ارتبطت حركة نشر النصوص عند المستشرقين ، بالجامعات ، والمعاهد العلمية ، ارتباطاً وثيقا ـــ وقد أشرت إلى ذلك قريبا ـــ ومعنى هذا أنهم لم يأخذوا فى دراساتهم العربية إلاَّ بعد أن هّيأوا مادَّة هذه الدراسات ، وهى النصوص ، فلا دراسة مع غياب النصّ ، ومن هنا أيضا كان احتفالهم الزائد ، وعنايتهم البالغة بفهرسة الكتب فهرسة تحليلية ، تكشف عن كنوز الكتاب ، وتضمّ الأشباه والنظائر فيه . وسوف أزيد هذا الحديث بياناً ، إن شاء الله .

ثالثا : لم تحظَ فنون التراث بقَدْرٍ متساوٍ ، فى النشر عندهم ، وقد دارت معظم النصوص التى نشروها حول التاريخ ، والبلدان ، والجغرافيا ، وكتب التراجم والطبقات ، والأدب ، ودواوين الشعر ـــ وبخاصة الجاهلى ـــ والمجموعات الشعرية الخاصة ، مثل شعر هذيل ، والنقائض [١] .

---

(١) انظر لجهود المستشرقين فى دراسة الأدب الجاهلى ، ونشر نصوصه ، بحثاً بعنوان : « بيليوغرافيا العصر الجاهلى » للدكتور عفيف عبد الرحمن . مجلة المورد العراقية (المجلد التاسع ـــ العدد الثالث) ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م

ومن النصوص التى حظيت باهتمامهم أيضا : نصوص الفلسفة ، وعلم الكلام ، والفِرَق ، والمذاهب الفكرية ، وتراث العرب العلمى التطبيقى ، مثل الطب ، والكيمياء ، والفلاحة ، والحساب والجبر والهندسة ، والفلك ، والبصريات .

وهناك فنون قلَّ إنتاجُهم فيها ، مثل النحو والصرف ، والبلاغة ، والعروض ، وإن نشروا فى ذلك نصوصاً أصيلة . كذلك قلَّ إنتاجهم فى تحقيق فقه المذاهب الأربعة ، وأصول الفقه ، إلاَّ ما تراه من اهتمامهم بمختصر خليل ، فى فقه المالكية ، وشرح البزدوى ، على الفقه الأكبر ، والهداية ، فى فقه الحنفية ، للمرغينانى ، وإرشاد الفحول إلى علم الأصول ، للنسفى ، والحدود فى مذهبِ الإمام أحمد بن حنبل [١] .

أما تفاسير القرآن الكريم ، ومتون الأحاديث وشروحها ، فإن نشاطهم فى تحقيق نصوصهما لا يكاد يذكر ، ولم أعرف من ذلك إلاَّ تفسير البيضاوى ، المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، الذى نشره فلايشر الألمانى ، فى ليبزج ، سنة ١٨٤٤ م [٢] .

أما الدراسات والفهارس لهذين العلمين الجليلين ، فقد مدَّ المستشرقون فيهما يداً ، ولا سبيل إلى حصر جهودهم فى هذا المضمار ، فإنها كثيرة جدا . وحسْبنا أن نذكر هنا : فهرس ألفاظ القرآن الكريم ، الذى وضعه المستشرق الألمانى فلوجل ، وسماه : نجوم الفرقان فى أطراف القرآن .

---

(١) المستشرقون ، صفحات ١٩٥ ، ٣١٣ ، ٣٧٦ ، ٤٧٦ ، ٤٨٠ ، ٦٤٢ ، ٦٧٠ ، ٧٢٩ ، ٨٠٣

(٢) المرجع نفسه ص ٧٠٧ ، وانظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ــ ترجمة البيضاوى .

ونشر فى ليبسك عام ١٨٤٢ م . وقد كان هذا الفهرس أساساً بنى عليه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ـــ رحمه الله ـــ كتابه العظيم : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، الذى طبع لأول مرة ، بدار الكتب المصرية عام ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م . ومفتاح كنوز السنة ، الذى وضعه المستشرق الهولندى فنسنك ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، الذى بدأ فنسنك نشره عام ١٩٣٦ م بمطبعة بريل بمدينة ليدن ، بمعاونة بعض المستشرقين . وقد توفى قبل إتمامه ، فأتمه من بعده تلاميذه . وانتهوا منه سنة ١٩٦٩ م .

ومن أبرز جهودهم فى الحديث النبوّى الشريف : ترجمة صحيح البخارى ، للمستشرق النمساوى ليوبولد فايس ، الذى نشره عام ١٩٣٥ م . وهذا المستشرق أعلن إسلامه ، وتسمّى بمحمد أسد وايس ـــ والله أعلم بحقيقة حاله ـــ وأنشأ بمعاونة وليم بكتول ، الذى أسلم هو الآخر ، مجلة الثقافة الإسلامية ، فى حيدر آباد بالهند سنة ١٩٢٧ م ، وكتب فيها دراسات وفيرة ، معظمها فى تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام (١) .

رابعا : اتجه المستشرقون من أول الأمر ، إلى أصول العلوم والفنون ، فعمدوا إلى نشر النصوص الدالَّة عليهما . ومن ذلك « الكتاب » لإمام النحاة سيبويه ، وقد نشره المستشرق الفرنسى هرتويج ديرنبورج ، سنة ١٨٨١ م ، أى قبل أن تظهر طبعة بولاق بمصر ، بعشرين عاما (٢) .

ومن ذلك أيضا « الكتاب الكامل » لأبى العباس المبرد ، الذى نشره المستشرق الانجليزى وليم رايت سنة ١٨٦٤ م ، قبل أن تظهر الطبعات المصرية منه ، بنحو ربع قرن . وكذلك دواوين الشعراء الجاهليين ، والمجموعات

---

(١) المستشرقون ص ٦٤٢

(٢) انظر مقدمة تحقيق « الكتاب » لشيخنا عبد السلام هارون ص ٤٢

الشعرية القديمة ، مثل النقائض ، والمفضليات ، وشرحها ، والأصمعيات ، وبعض شعر هذيل ، وأدب الكاتب ، لابن قتيبة .

وأشير هنا إلى أنه عندما كان الناشرون العرب مشغولين بألفية ابن مالك ، فطن المستشرقون إلى ألفية ابن معطى ، التى اعترف ابن مالك بسبْقها ، فنشرها المستشرق السِّويدى سترستين ، فى ليبزج ، سنة ١٩٠٠ م عن مخطوطات برلين ، والاسكوريال وليدن . ولعل أول دراسة عربية عن ابن معطى هى التى قمت بها ، مع تحقيق كتابه « الفصول الخمسون » فى النحو ، وحصلت بها على درجة الماجستير من كلية دار العلوم ـــ جامعة القاهرة ، عام ١٣٩١ هـ = ١٩٧٢ م ، ونشرتها مطبعة عيسى البابى الحلبى ، بالقاهرة ، عام ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

خامسا : اهتم المستشرقون بجمع واستقصاء مخطوطات الكتاب المراد تحقيقه ،وبَذْل أقصى الوسع فى ذلك ، وقد أعانهم على ذلك قناصلهم وسفراؤهم فى بلدان العالم ، وهؤلاء القناصل والسفراء لم يكونوا يقبعون فى مكاتبهم للأعمال السياسية فقط ، بل كانوا يقومون بنشاط ثقافى واسع ، تداخلت فيه النوايا والمقاصد . كما أعانهم على ذلك أيضا ، المعاهدُ العلمية التى أقاموها فى بلدان العالم العربى والإسلامى ، مثل المعهد الفرنسى بالقاهرة ودمشق ، والمعهد الألمانى للآثار فى استانبول ، والقاهرة ، وبيروت ، ثم الجامعة الأمريكية فى القاهرة وبيروت .

وأيضا فقد كان لرحلاتهم المتكررة إلى بلاد العرب ، وتولى بعضهم إدارة دار الكتب المصرية ، والتدريس فى الجامعة المصرية آنذاك ، كان لذلك كله أثَر ظاهر فى جمع المخطوطات ، والإفادة من علماء تلك البلاد ، إضافة إلى ما كانوا يستثمرونه من عقد مؤتمرات الاستشراق ، التى كانوا يدعون إليها كبار العلماء العرب والمسلمين .

سادسا : استعان المستشرقون كثيراً بأهل اللسان العربىّ ، فى تحرير النصوص ونشرها . وقد حرص المستشرقون على ذكر ذلك وبيانه ، فى صدر تحقيقاتهم ، فيما جَلَّ ودَقَّ من المساعدات ، وهذا مما يُحْمَد لهم ، ويُحْسَب فى موازينهم العلمية .

وقد بدأت هذه الاستعانة بالخبرات العربية مبكّرة ، ومن أوائل من استفاد منهم المستشرقون : رزق الله حَسُّون ، وهو صحافى متأدب ، وأصله من الأرمن . وُلد فى حلب سنة ١٢٤٠ هـ = ١٨٢٥ م ، ونفى إلى انجلترا سنة ١٢٩٧ هـ = ١٨٨٠ م . وقد تنقلت به الأيام بين تركيا وروسيا وانجلترا . وله مؤلفات عدة . ويُعدُّ أول ناشر لديوان حاتم الطائى . وقد نشره فى لندن ، سنة ١٨٧٢ م ، عن نسخة وحيدة ، وجدها فى مكتبة لندن [١] .

وكان رزق الله حَسُّون يتقن الأرمنية ، والعربية ، والتركية ، والفرنسية ، والانجليزية ، والروسية ، وقد تنقل فى باريس ، ولندن ، ومصر ، لجمع المخطوطات العربية ، واستنساخها ، فكانت أساساً لمكتبته المعروفة بلندن . وقد اتصل فى لندن بالمستشرق الانجليزى إدوارد هنرى بالمر ، وعاونه فى وضع معجمه الكبير : « الذخيرة العلمية باللغتين الانجليزية والعربية » وطبع فى لندن سنة ١٨٨١ م . وممن أفاد منه أيضا : المستشرق الروسى الكبير كراتشكوفسكى [٢] .

ومن هؤلاء العلماء العرب ، الذين أفاد منهم المستشرقون : الشيخ محمد عيَّاد الطنطاوى المصرى المرحومى ، نسبة إلى محلة مرحوم ، من قرى الغربية بمصر . ولد سنة ١٢٢٥ هـ = ١٨١٠ م ، وتعلم بالأزهر ، ودرَّس به ، واتصل

---

(١) انظر مقدمة تحقيق ديوان حاتم ، للصديق الدكتور عادل سليمان جمال ص ١٣٨

(٢) المستشرقون ، صفحات ٤٥٨ ، ٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٩٥٠ ، والأعلام ١٩/٣

به بعض المستشرقين ، فدعى لتدريس اللغة العربية فى معهد اللغات الشرقية ببطرسبورج (لييننجراد) من أعمال روسيا ، فسافر إليها سنة ١٢٥٦ هـ ، واستمر يعلم العربيّة بها إلى أن توفى هناك سنة ١٢٧٨ هـ = ١٨٦١ م . وقد تخرج عليه بعض المستشرقين ، من الروس ، وغيرهم ، منهم المستشرق الفنلندى الأصل فالن ــ وينطق : والين [١] ــ المتوفى سنة ١٨٥٢ م . ومن مصنفات الشيخ الطنطاوى : منتهى الآراب فى الجبر والميراث والحساب ، ومسوّدات لتاريخ العرب ، وأحسن النخب فى معرفة لسان العرب ، وتحفة الأذكيا بأخبار بلاد روسيا ، وحواشٍ وشروح فى العقائد والنحو والصرف والعروض ، ومنظومة فى البيان [٢] .

ومنهم أيضا حسن توفيق العدل ، المصرى ، الذى درَّس العربية فى المدرسة الشرقية ببرلين . وقد أشرتُ إليه قريبا .

ومنهم الشاعر الفلسطينى إبراهيم عبد الفتاح طوقان ، المولود سنة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م ، والمتوفى سنة ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م . وقد تعلم فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، وبرع فى الأدبين ؛ العربى والانجليزى .

---

(١) درس على الشيخ الطنطاوى بمدرسة الألسن . وقد رحل إلى الشرق ، وطوَّف ــ خلال ست سنوات ــ بمصر وجزيرة العرب وبغداد وأصبهان ودمشق ، متزيًّا بزىّ البدو ، متسميّا باسم عبد الولى ، وكان يحمل معه حقيبة مملوءة بالعقاقير ، فأحبته القبائل ، ويسرت له سبل دراسة عاداتها ولهجاتها . من مصنفاته : أهم الفروق بين لهجات العرب المتقدمين والمتأخرين . ونشر تائية ابن الفارض ، مع شرحها للشيخ عبد الغنى النابلسى . المستشرقون ٢٤٤/٣ (الطبعة الرابعة ١٩٨١ م) .

(٢) الأعلام ٣٢٠/٦ ، ومعجم المؤلفين ١٠٠/١١ وقد كتب عنه كتابةً جيدة ، تلميذه كراتشكوفسكى ، فى كتابه : مع المخطوطات العربية ص ٢٢٨ ــ ٢٤٢ ، ثم أفرد له كتابا خاصا ، ترجمته كلثوم عودة ، وحققه عبد الحميد حسن ومحمد عبد الغنى حسن . القاهرة ١٩٦٣ م

وقد ساعد المستشرق الأمريكى لويس نيكل ، فى نشر النصف الأول من كتاب الزُّهَرَة ، الذى طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين فى بيروت ، سنة ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م ، على نفقة المعهد الشرقى فى جامعة شيكاغو [١] .

وتلا هذا الجيلَ نفرٌ من أفذاذ العلماء العرب ، أفاد منهم المستشرقون إفاداتٍ بليغة ، أذكر منهم : أحمد تيمور باشا ، وأحمد زكى باشا ، ومحمد محمود بن التلاميد التركزى الشنقيطى ، بمصر . والشيخ طاهر الجزائرى فى دمشق ، وحسن حسنى عبد الوهاب ، فى تونس ، وابن أبى شنب ، فى الجزائر ــ ويقول عنه الزركلى : وكانت له مكانة عالية عند المستشرقين [٢] ــ وعبد الحىّ الكتّانى ، فى المغرب الأقصى .

ومن خبراء المخطوطات والتراث المعاصرين ، الذين أفادوا المستشرقين إفاداتٍ شتىَّ : محمد رشاد عبد المطلب ، وفؤاد سيد ، فى مصر ، وكوركيس عواد ، وقاسم الرجب ، فى بغداد ، وأحمد عبيد ، فى دمشق ، وحَمْد الجاسر ، فى المملكة العربية السعودية ــ وخاصة أيام مقامه فى بيروت ــ والقاضى إسماعيل الأكوع ، فى اليمن ، وإحسان عباس ، ومحمد يوسف نجم ، وصلاح الدين المنجد ، فى بيروت ، وإبراهيم شبُّوح ، فى تونس ، ومحمد المنونى ، ومحمد إبراهيم الكتانى ، والعابد الفاسى ، والفقيه التطوانى ، فى المغرب الأقصى .

هذا إلى طبقات النُّسَّاخ المجيدين ، الذين كان المستشرقون ، يستعينون بهم فى نقل المخطوطات ، ومعلوم أن النَّسْخَ الأمين الدقيق ، هو

---

(١) الأعلام ٤٧/١ ، والمستشرقون ص ١٠١٤

(٢) الأعلام ٢٦٧/٦

أخطر مراحل تحقيق النصوص . وللمستشرقين حِسٌّ دقيق فى الوقوع على هؤلاء النُّسّاخ الأمناء المجيدين ، وكانوا يبذلون لهم فى سخاء . وقد عرفت واحداً من هؤلاء النُّسَّاخ ، زمانَ اشتغالى بنسخ المخطوطات ، هو الشيخ حسن زيدان ، كان ينسخ بدار الكتب المصرية . وكان هذا الشيخ ذا خطٍّ مليح نفيس ، يجمع بين الدقّة والجمال ، وكان يتعب نفسه فى البحث عمّا يُشكل عليه من كلمات ، ويفزع إلى مراجع اللغة ، والأدب ، والأنساب . وكان الأستاذ فؤاد سيد ، رحمه الله ، يقول ممازحا : لا يعيب الشيخَ حسن إلاّ أنه يريد أن يكون عالماً محقّقا .

وقد كنت واحداً من هؤلاء الذين استعان بهم المستشرقون ، فى نسخ المخطوطات ، ثم فى قراءتها ، وتحريرها ، وصنع فهارسها ، وتصحيح تجارب طبعها ، وأذكر ثلاثة منهم :

الأول : المستشرق الهولندى بونيباكر ، الذى نشر كتاب نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، بمطبعة بريل بمدينة ليدن ، سنة ١٩٥٦ م ، ولم أعمل معه فى تحقيق هذا الكتاب ، لكنى قرأت معه كتاب الشعر والشعراء ، لابن قتيبة . وكان ذلك فى صيف عام ١٩٥٨ م .

والثانى : المستشرق الألمانى هانس روبرت رويمر ، المولود عام ١٩١٥ م ، ويُعَدّ خاتمةَ المستشرقين الألمان الثقات . وهو أستاذ تاريخ العصور الوسطى باللغتين العربية والفارسية ، ورئيس جمعية المستشرقين الألمان ، ومدير المعهد الألمانى للآثار فى القاهرة (١٩٥٦ ــ ١٩٦٠ م) ، ومدير معهد الدراسات الشرقية الإسلامية فى بيروت (١٩٦١ م) . وقد عملت معه حولين كاملين ــ تعلمت فيهما الكثير ــ فى أثناء تحقيقه لكتاب الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ــ محمد بن قلاوون المتوفى

سنة ٧٤١ هـ ـــ وهو الجزء التاسع مع كتاب كنز الدرر وجامع الغرر ، لابن أيبك الدوادارى . وقد طبع الدر الفاخر ، بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ، عام ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م . وذكر هذا المستشرق الفاضل ، فى مقدمة تحقيقه ، جهدى فى قراءة النصّ معه ، مع من ذكر من أفاضل العلماء ، وكنت أزهو بذلك أمام أترابى بكلية دار العلوم ، إذ كنت طالباً بها آنذاك ، ويالها من أيام !

والثالث : هو المستشرق الانجليزى مارسدن جونز ، وقد عملت معه أربع سنوات ، فى تحقيق مغازى الواقدى ، الذى طبع سنة ١٩٦٥ م ، فى ثلاثة أجزاء بمطبعة دار المعارف بمصر ، باسم جامعة اكسفورد . وهذا المستشرق من أذكى المستشرقين الذين عملت معهم ، وقد أفدت من عملى معه إفادات كثيرة ، لعلّ من أهمها الإحاطةَ بكتب السيرة النبوية ، وتراجم الرواة والمحدِّثين ، ثم تتبّع الأخبار ، وتوثيقها من مظانّها .

سابعا : يحرص المستشرقون على تأدية النصّ أداءً صحيحاً ، كما تركه مؤلفه ، وذكر فُروق النُّسَخ المخطوطة ، فيما دَقَّ وجَلّ ، ويبالغ بعضُهم فى ذلك ، حتى إنه يترك الخطأ البيّن دونَ إصلاح ، بحجة أن ذلك يمثّل لغة المؤلف وعصره .

ثامنا : يحرص المستشرقون أيضاً على الفهرسة التفصيليّة للكتاب المحقّق ، وقد أعانهم ذلك على ما أقاموه من دراسات تراثيّة جادّة وعميقة ، وذلك أن كتب التراث العربى بدون فهارس كنزٌ بلا مفتاح . ومن أبرز جهودهم فى ذلك : فهرس النقائض الذى نشره المستشرق الهولندى بيفان ، وفهارس شرح المفضليات ، الذى نشره المستشرق الانجليزى لايل ، وفهرس الكامل للمبرد ، الذى نشره المستشرق الانجليزى رايت ، وفهارس معجم البلدان لياقوت ، الذى نشره المستشرق الألمانى وستنفلد ، وسيأتى حديثٌ عن ذلك قريبا .

تاسعا : اهتمّ المستشرقون بإدراك العلائق بين الكتاب الذى يحققونه ، والكتبِ السابقة عليه فى موضوعه ، والكتب اللاحقة ، المتأثِّرةِ به ، أو الناقلةِ عنه . وهذا مكَّنهم من تحرير مادَّة الكتاب ، وتوثيق نقوله وشواهده .

كما أنهم فطنوا إلى المصادر الأصيلة فى التخريج ، ومن ذلك أن المستشرق النمساوى جاير ، الذى نشر شعر المسيَّب بن عَلَس [١] ، خرَّج بعض شعره من كتاب « الغريبين » المخطوط ، لأبى عبيد الهروى المتوفى سنة ٤٠١ هـ ، وهو من المصادر الأصيلة فى فن غريب القرآن والحديث .

ومن ذلك أيضاً أن المستشرق الانجليزى مكارتنى ، الذى نشر ديوان ذى الرمة ، سنة ١٩١٩ م رجع فى تخريج بعض شعره إلى كتاب الشعر المخطوط ، لأبى على الفارسى ، وكذلك فعل المستشرق النمساوى الأصل جرنباوم ، فى تحقيق شعر أبى دؤاد الإيادى ، الذى نشره عنه ، وزاد فى تخريجه الدكتور إحسان عباس ، ضمن كتاب « دراسات فى الأدب العربى » بيروت ١٩٥٩ م وكان جرنباوم قد نشره فى المجلة الشرقية النمسوية (١٩٤٨ ــ ١٩٥٢ م) [٢] .

عاشرا : وقع بعض المستشرقين فى أوهامٍ غليظة ، خاصّةً فيما يتصل بألفاظ اللغة العربية وتراكيبها ودلالاتها ، ومصطلحات العلوم العربية وفنونها ، وأكثر ما ترى ذلك فى دواوين الشعر الجاهلى التى نشروها ، وتعرَّضوا بسبب

---

(١) نشره بآخر كتاب : الصبح المنير فى شعر أبى بصير . وأبو بصير هو الأعشى الكبير ميمون بن قيس . وقد نشر بآخر شعر الأعْشَيْن الآخرين . طبع بمدينة فينا سنة ١٩٢٨ م ، على نفقة لجنة جب التذكارية ، كما سبق . والمسيَّب بن علس هو خال الأعشى .

(٢) المستشرقون ص ١٠٢٠

ذلك لنقدٍ شديد ، من إخوانهم المستشرقين الأثبات . وتعليل ذلك واضح ، فإن اللسان غير لسانهم ، حتى الذين تضلّعوا منهم فى العربية ، وكتبوا فيها نثراً وشعراً ، ظلَّ الفرق واضحاً بين ما يكتبون ، وما يكتب أهل اللسان العربىّ ، ومن هؤلاء المستشرق الانجليزى إدوارد هنرى بالمر (١٨٤٠ — ١٨٨٣ م) الذى قيل عنه إنه من قلائل الانجليز ، الذين تغلغلوا فى صميم اللغة العربية ، واستطاع أن يكتب بها ، وينظم فى سهولة ويسر ، كأحد أبنائها ، حتى إنه كان يضيق أحيانا بلغته الانجليزية ، فيكتب بالعربية إلى من يعرفها من أصحابه ، كالمستشرق نيكول ، نثراً ونظما . واقرأ معى هذا الشعر الذى نظمه ذلك المستشرق :

ليت شِعْرى هل كفى ما قد جرى   مذجرى ما قد كفى من مقلتى
قدْ بَرَى أعظم حزنٍ أعظمى   وفنى جسمىَ حاشا أصْغَرِى [1]

أرأيتَ أضعفَ من هذا النظم ؟

ومن أخطائهم الشنيعة شرح كاترمير ، الأحداثَ بالغَوْغاء ، وتفسير كازانوفا ، لفظ « أُمِّىّ » بشَعْبى . وترجمة كازيمير سكى ، قولَ الله تعالى ، للملائكة : ﴿ اسْجُدُوا لآدمَ فسَجَدُوا إلاّ إبليسَ أبىَ ﴾ [2] باعبُدُوا آدم . وسمعنا أن بعضهم ترجم لفظ الشارع — وهو المُشَرِّع — بالشارع الذى يُمْشَى فيه (Street) . ورأيت فى فهرس كتاب محقّق فى التاريخ المملوكى ، كلمة « سَمَل » فى فهرس الأعلام ، ولماّ رجعت إلى النصّ ، وجدته فِعلاً ماضيا : « سَمَلَ عينه » أى فَقَأها . وكأنّ الذى غرَّ ذلك المستشرق ، أن فى الكتاب أعلاماً مملوكيّة كثيرة ، شاع فيها حرفُ السِّين ، مثل « أسندمر » ، و « قراسنقر » ، فطنّ هذا من ذاك .

---

(١) المرجع نفسه ص ٤٨٣

(٢) سورة البقرة ٣٤

ومن ذلك ما وقع فيه المستشرق الألمانى براجستراسر ، فى تحقيق كتاب مختصر فى شواذّ القراءات ، لابن خالويه ، حيث صحف كلمة أبى عمرو بن العلاء : « فقد تربَّع فى لَحْنه » وجعلها : « فقد تربَّع فى الجَنَّة » . مع أن المقام مقام ذمّ (١) .

ومن ذلك أيضاً أخطاء المستشرق الهولندى دوزى ، فى كتابه : ذيل المعاجم العربية ، أو : تكملة المعجمات العربية . وقد ردَّ هذه الأخطاءَ ، وصحَّحها ، كثيرٌ من العلماء العرب ، منهم إبراهيم اليازجى ، والأب أنستاس الكرملى (٢) .

أما أخطاؤهم العلمية المبنيّة على عدم فهم النصوص العربية وتوجيهها ، فكثيرة جدا . وكذلك أخطاؤهم الشنيعة التى استهدفت القرآنَ الكريم ، والتشريع الإسلامى ، بَغْياً متستِّراً بالبحث العلمى ، والدَّرس الموضوعى ، كالذى تراه فى كتاب المستشرق اليهودى المجرى جولدزيهر (٣) : مذاهب التفسير الإسلامى . ولعرض هذه الأخطاء والردّ عليها موضعٌ آخر ، وليست هذه سبيلى الآن ؛ فإن غايتى التى أتغيَّاها فى هذا المدخل الموجز ، هى تاريخ نشر التراث العربى ، وللمستشرقين فى ذلك التاريخ جهودٌ كبيرة ، لا يستطيع الباحثُ المنصف ، أو غير المنصف ، إغفالَها ، فإن الأمر كلَّه مردودٌ إلى تراثنا نحن ، وتاريخنا نحن .

ولن يستبين سبيلُ المستشرقين فى ذلك ، إلاَّ بذكر ترجمة موجزة لأعلامهم ، تأتى على أبرز أعمالهم . وأؤكد ما قلته من قبل ، أنى أقصد

---

(١) سيأتى تفصيل ذلك فى محاضرتى عن « التصحيف والتحريف » (السَّبَب السابع) .

(٢) المستشرقون ص ١١٥٢

(٣) سيأتى حديث عنه فى مستشرق المجر .

قَصْداً إلى الناشئة من أبنائنا العرب ، الذين يُحالُ بينهم وبين معرفة تاريخ أمّتهم وطمْس معالم هذا التاريخ ، وتَعْتِيم أيامه ؛ لتصبح سوداءَ مظلمة ، نهارُها كلَيْلها .

وأبدأ ـــ إن شاء الله ـــ بذكر المستشرقين الإيطاليين ، إذ كانت إيطاليا مهدَ الطباعة العربية ، كما سبق . ثم آخذ بعد ذلك فى ذكر المستشرقين الآخرين ، بحسَب بلدانهم . وسأكتفى بذكر المستشرقين الذين قاموا على تحقيق النصوص ونشرها ، دون الذين اشتغلوا بدراسة التراث : علومه وفنونه وأعلامه ، وسيقتضى هذا لا محالة ، السُّكوتَ عن بعض المشاهير ، الذين قاموا بدراسات جادّة وعميقة ، مثل المستشرق الإيطالى أمارى (١٨٠٦ ـــ ١٨٨٩ م) وهو من كبار المستشرقين المتخصِّصين فى العربية وآدابها ، وتاريخها ، وبخاصة المتصل بتاريخ بلاده . ومن أشهر آثاره العربية كتاب « المكتبة الصقلية » ، وهو تاريخ صقلية ، جمع نصوصه العربية المتعلقة بالجغرافيا ، والتاريخ ، والتراجم ، والتواليف ، من خمسة وثمانين كتابا ، فى مكتبات فرنسا وانجلترا ، بادئاً بالمسعودى ، صاحب « مروج الذهب » ، ومنتهياً بالحاج خليفة ، صاحب « كشف الظنون » . وقد طبع فى ليبزج سنة ١٨٥٦ م .

ومن مصنفات أمارى كتابٌ فى تاريخ مسلمى صقليّة ، فى ثلاثة أجزاء ، اشتملت على تاريخ فتح المسلمين صقليّة ، وإقامتهم فيها ، وجلائهم عنها ، طبع بفلورنسا ، سنة ١٨٥٤ م . وترجم كتاب سلوان المطاع فى عدوان الأتباع ، لابن ظفر الصقلى ، طبع بفلورنسا أيضا سنة ١٨٥١ م ، ثم ترجمه إلى الإيطالية ، وأشرف على ترجمته إلى الانجليزية لندن ١٨٥٢ م [١] .

---

(١) الأعلام ٣٤٠/٧ ، والمستشرقون ص ٣٦٥

ومثل المستشرق الألمانى ريكندورف (١٨٦٣ ــ ١٩٢٤ م) كان تلميذاً لنولدكه ، وتخصص فى النحو العربى . ومن مصنفاته كتاب العلاقات النحوية فى اللغة العربية ، اعتمد فيه على أصول تاريخ اللغة لهرمان باول . طبع فى ليدن ، سنة ١٨٩٨ م وكتاب النحو العربى الوصفى ، طبع فى هايدلبرج ، سنة ١٩٢١ م ومازال هذان الكتابان مرجعين للنحو العربى وتاريخه فى أوربا [١] .

ومثل المستشرق الإيطالى نللينو (١٨٧٢ ــ ١٩٣٨ م) صاحب الدراسات العميقة فى تاريخ الفلك عند العرب ، وتاريخ اليمن والمعتزلة . وهو من المستشرقين الذين درَّسُوا فى الجامعة المصرية ، فى أوّل نشأتها [٢] .

ومثل المستشرق الهولندى فنسنك ، الذى ذكرته قريبا .

* * *

---

(١) المستشرقون ص ٧٣١

(٢) الأعلام ٢١٣/٥ ، والمستشرقون ص ٣٧٧

المستشرقون فى إيطاليا

سكياباريللى . سيلستينو (١٨٤١ ــ ١٩١٩ م)

درس علَى أمارى ، وعيّن أستاذاً للعربية فى جامعة رومة سنة ١٨٧٥ م . نشر قواعد الشعر ، لأبى العباس ثعلب ، برواية المرزبانى ليدن ١٨٩٠ م ،وترجم ديوان ابن حمديس الصقلى . رومة ١٨٩٧ م ، ورحلة ابن جبير . روما ١٩٠٦ م .

وهو غير سكياباريللى . إرنستو (١٨٥٦ ــ ١٩٢٨ م) المتخصص فى الآثار المصرية [١] .

جويدى . إغناطيوس (١٨٤٤ ــ ١٩٣٥م)

ولد فى رومة ، وتعلمَّ العربيّة وعلَّمها فى جامعتها منذ عام ١٨٨٥ م . وهو على علم بالعربية والحبشيّة والسريانية . وكان شيخ المستشرقين فى عصره ، واختير عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق . ثم انتدب لتدريس الأدب العربى ــ وبخاصة ما يتصل منه بالتاريخ والجغرافيا ــ فى الجامعة المصرية ، عام ١٩٠٨ م . وكان يلقى محاضراته فيها باللغة العربية الفصحى .

ودراساته وتحقيقاته كثيرة . ومن أهمها : قصيدة بانت سعاد ، بشرح ابن هشام . طبع ليبزج ١٨٧١ م . ورسالة عن تصحيفات غريبة فى معجمات اللغة ، قدَّمها إلى مؤتمر المستشرقين السابع ، بفيينا سنة ١٨٨٦ م . والاستدراك على كتاب سيبويه ، لأبى بكر الزُّبيدى . روما ١٨٩٠ م وكتاب الأفعال ، لابن القوطية . ليدن ١٨٩٤ م . وجداول كتاب الأغانى ، ويحتوى على فهارس

---

(١) المستشرقون ٤٢٣/١ ، ٤٢٨

الشعراء، والقوافى ، والأعلام والأمكنة . ليدن ١٨٩٥ م [١] .

ولهذا المستشرق ولدٌ اسمه : ميكلانجلو (١٨٨٦ ـــ ١٩٤٦ م) اشتغل بالاستشراق أيضا ، ودعى للتدريس فى الجامعة المصرية أيضا عام ١٩٢٦ م ، وكان يلقى محاضراته بالعربية الفصحى ، كما كان يفعل أبوه ، وليس له نشاط يذكر فى نشر النصوص ، وإن كانت دراساته التراثية كثيرة ، ومنها دراسة عن الشاعر مزاحم العقيلى ، وغلام ثعلب [٢] .

جريڤينى (١٨٧٨ ـــ ١٩٢٥ م)

كان من أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق . رحل إلى اليمن ، وتونس ، وطرابلس الغرب ، ومصر .

وكان يتزيَّا فى أسفاره بالزّى العربى [٣] ، وعيَّنه الملك فؤاد الأول أميناً لمكتبته الخاصَّة بالقاهرة سنة ١٩٢٢ م ، وأنعم عليه بلقب (بك) وظلّ بها إلى أن توفى .

من آثاره : نشر ديوان الأخطل ، عن مخطوط قديم ظفر به فى اليمن . بيروت ١٩٠٧ م ، ومجموع فى الفقه الزيدى ، ينسب إلى الإمام زيد بن على . ميلانو ١٩١٩ م . وفهرس للمخطوطات العربية الجديدة فى المكتبة الامبروزيانية . وكان أحدُ التجار الإيطاليين قد جمع من صنعاء اليمن

---

(١) الأعلام ٣٣٦/١ ، والمستشرقون ص ٣٧٦ ، وفيه أن جويدى نشر الجزء الحادى والعشرين من كتاب الأغانى ، وهو خطأ . والذى نشره هو المستشرق الأمريكى رودلف برونو . ليدن ١٨٨٨ م انظر مقدمة تحقيق الأغانى . طبعة دار الكتب المصرية ص ٥٢ . وانظر « المستشرقون » نفسه ١٣٤/٣

(٢) المستشرقون ص ٣٨١

(٣) كما كان يفعل المستشرق الفنلندى والين ، الذى تقدم قريبا .

مخطوطات عربية كثيرة ، باعها لمكتبة الامبروزيانا ، على يد جريقينى هذا [١] وقد عاش هذا التاجر فى صنعاء ثلاث سنوات (١٩١٠ ـــ ١٩١٣ م) .

ماريا نلّلينو

ولدت عام ١٩٠٨ م . ولازالت على قيد الحياة ـــ فيما أعلم ـــ وهى ابنة المستشرق الإيطالى الكبير كارلو نلّلينو ـــ الذى تقدمّ قريبا ـــ وقد تخرَّجت عليه ، ورافقته فى أسفاره . ولها دراسات كثيرة ، منها دراسة عن جمهرة أشعار العرب ، لأبى زيد القرشى . ومما نشرته : ديوان النابغة الجعدى ، رضى الله عنه . رومة ١٩٥٣ م [٢] .

* * *

---

(١) الأعلام ٢/٣٠ ، والمستشرقون ص /٣٧١ . وانظر فهرس المخطوطات العربية فى الامبروزيانا بميلانو الذى نشره الدكتور صلاح الدين المنجد ، بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، عام ١٩٦٠ م

(٢) المستشرقون ص ٣٩٧

المستشرقون فى فرنسا

البارون دى ساسى (١٧٥٨ ــ ١٨٣٨ م)

كان واسع الاطّلاع على اللغات الشرقية . تعلم اللاّتينية واليونانية ، ثم انقطع إلى العربية والفارسية ، مع علمه بالتركية والعبرية .

صنف كتاباً سمّاه : الأنيس المفيد للطالب المستفيد . وهو مختارات من أدب العرب وعلومهم ، كلاميّة العرب للشنفرى ، وأشعار لأبى العلاء المعرى ، وقصيدة الطنطرانى [١] . ومقامات بديع الزمان الهمذانى ، وجزء من كتاب السلوك ، للمقريزى ، ونبذ من المواعظ والاعتبار ، له أيضا ، وغير ذلك ، فجاء الكتاب فى ثلاثة أجزاء ، متناً وترجمة وتعليقا (١٨٠٦ ــ ١٨٢٦ م) .

ونشر أيضاً الإفادة والاعتبار بما فى مصر من الآثار [٢] ، لعبد اللطيف البغدادى ، وكليلة ودمنة . ومقامات الحريرى ، وألفية ابن مالك ، بشرح وتعليق ١٨٣٣ م

ويُعدُّ البارون دى ساسى مدرسةً كبرى فى الاستشراق ، تعليماً

---

(١) هو أحمد بن عبد الرزاق . معين الدين . شاعر بغدادى . توفى سنة ٤٨٥ هـ . وقصيدته هذه ، مدح بها الوزير نظام الملك . وأولها :

ياخليّ البال قد بلبلت بالبلبال بالى .

كشف الظنون ص ١٣٤٠ ، والأعلام ١/١٤٥

(٢) نشره مترجما ، مع هوامش وتعليقات علمية . أما الذى نشره فى صورته العربية ، فهو المستشرق جوزيف وايت ، سنة ١٨٠٠ م . راجع كتاب « مقالتان فى الحواس » لعبد اللطيف البغدادى . ص ٤٣ . تحقيق بول غليونجى ، وسعيد عبده . نشر وزارة الإرشاد بالكويت سنة ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م

وتصنيفاً وترجمة ، وتحقيقاً ونَشْرا . وقد تخرّج فى هذه المدرسة جيلٌ من المستشرقين فى أوربا [١] .

البارون دى سلان (١٨٠١ ــ ١٨٧٨ م)

ايرلندى الأصل ، فرنسيّ الجنسية . من تلاميذ البارون دى ساسى . عنى بتاريخ المغرب والبربر ، ونشر فى ذلك دراساتٍ ونصوصاً كثيرة . ونشر بمعاونة جوزيف رينو ، ديوان امرئ القيس ، بعنوان : نزهة ذوى الكيس وتحفة الأدباء فى قصائد امرئ القيس أشعر الشعراء . باريس ١٨٣٧ م [٢] ، والجزء الأول من وفيات الأعيان لابن خلكان ، بعنوان : تراجم المشهورين فى الإسلام . باريس ١٨٣٨ م ــ هكذا ذكر الزركلى ، ونجيب العقيقى ، ولم يذكره الدكتور إحسان عباس فى مقدمة نشرته لوفيات الأعيان ، واكتفى بالإشارة إلى طبعة وستنفلد (١٨٣٥ ــ ١٨٥٠ م) . وقد أشار الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد فى مقدمة نشرته للكتاب ، إلى طبعة دى سلان هذه ، واعتمد عليها فى المقابلة ، ورمز لها بالحرف (ا) .

ومما نشره دى سلان أيضا : مقدمة ابن خلدون ، مع ترجمة فرنسية ١٨٦١ م .

وتاريخ الدولة الأتابكية بالموصل ، لعز الدين بن الأثير ١٨٧٢ م ، ومنتخبات من تاريخ مصر ، لابن ميسِّر ١٨٧٢ م ، وبمعاونة كاترمير ،

---

(١) الأعلام ٢٦/٢ ، والمستشرقون ص ١٨١ ، ٤٣٠ ، ومعجم المطبوعات ص ٩٠١

(٢) انظر مقدمة تحقيق ديوان امرئ القيس ، للأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ــ رحمه الله ــ ص ٨

وجوزيف رينو ، وجوزيف دير نبورج : تقويم البلدان ، لأبى الفدا [١] .

هرتويج دير نبورج (١٨٤٤ ــ ١٩٠٨ م) .

ابن المستشرق جوزيف ديرنبورج ، الذى نشر نصوصاً من التراث ، منها : ليس فى كلام العرب ، لابن خالويه ، عن المخطوط الوحيد ، فى المتحف البريطانى ، سنة ١٨٩٤ م .

وقد نشر هذا الابن ، ديوان النابغة الذبيانى ، بشرح الأعلم الشنتمرى ، مع ترجمة فرنسية ، ١٨٦٨ م [٢] . وتكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة ، للجواليقى . ليبزج ١٨٧٥ م ، وكتاب الاعتبار ، للأمير أسامة بن منقذ ، متناً وترجمة . ليدن ١٨٨٤ ــ ١٨٨٦ م [٣] . وكتاب النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية ، لعمارة اليمنى ، ونشر بآخره : أشعار عمارة ، ثلاث مجلدات . باريس ١٨٩٧ م . ونشر بمعاونة أمار ، كتاب الفخرى فى الآداب السلطانية ، لابن الطقطقى . شالون ١٨٩٥ م . ونشر مع أبيه جوزيف ، رسائل لابن جنى . باريس ١٨٨٠ م

ومن أعظم أعمال هذا المستشرق ، وأبقاها : نشر « الكتاب » لإمام

---

(١) الأعلام ٢٥٦/٥ ، والمستشرقون ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، وجاء فيه أن دى سلان نشر كتاب المشتبه فى أسماء الرجال ، للذهبى . ليدن ١٨٨١ م . وهو خطأ ، لأن هذا التاريخ بعد وفاة دى سلان بثلاث سنوات ، وأيضا فإن الذى نشر كتاب المشتبه ، لأول مرة ، هو المستشرق الهولندى دى يونج ، كما سيأتى نقلا عن « المستشرقون » نفسه ص ٦٦١

(٢) انظر مقدمة تحقيق ديوان النابغة . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٦ ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧ م

(٣) انظر مقدمة لباب الآداب ، لأسامة . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ص ٢٥ ، الرحمانية بمصر سنة ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م

النحاة سيبويه ، عن مخطوطات القاهرة ، والاسكوريال ، وأكسفورد ، وباريس ، وبطرسبورج ، وفيينا ، بمقدمةٍ وحواشٍ ، فى ألف صفحة ، فى مجلدين (باريس ١٨٨١ ـــ ١٨٨٩ م) مع ترجمته إلى الفرنسية . وقد أشرت إليه قريبا [١] .

* * *

(١) الأعلام ٧٥/٩ ، والمستشرقون ٢٠٣/١

المستشرقون فى انجلترا

إدواردلِين (١٨٠١ ـ ١٨٧٦ م)

من كبار المستشرقين الإنجليز فى عصره . تعلّم العربيّة فى بلاده ، وأتقنها فى مصر ، حيث قضى بها نحو أربعة عشر عاما ، فى ثلاث رحلات ، وخالط أهلَ مصر ، وتزيًّا بزيّهم ، وصلَّى فى مساجد مصر (؟) وكان يُدْعَى منصور افندى . والله أعلم بحقيقة حاله !

كتب كثيراً عن أخلاق وعادات المصريين ، وترجم ألف ليلة وليلة ، إلى الانجليزية . ومن أهم أعماله معجمه الكبير ، العربى الانجليزى ، المعروف بمعجم لين ، وسماه : مدّ اللغة ، أو مدّ القاموس . وقد ضمّ إليه مفرداتٍ من أمهات كتب الأدب ، ممّا لم يرد فى المعاجم القديمة المتداولة . يقول عنه آربرى ، المستشرق الانجليزى : « إن هذا المعجم يُعدّ أكبرَ خِدمة ، قدَّمها أوربّى للغة العربيّة » . طبع منه فى حياته خمسة مجلدات ، ثم نشر حفيده استانلى لين بول ، الأجزاء الثلاثة الباقية ، مع مقدمة وترجمة للمؤلف . لندن ١٨٦٣ ـ ١٨٩٣ م [١] .

وليم رايت (١٨٣٠ ـ ١٨٨٩ م)

ولد فى البنغال ، وكان والده قائداً فى الجيش البريطانى ، ووالدته ابنة الحاكم ، خبيرة بعدّة لغات شرقيّة ، فشجعته على تعلّمها ، فدرسها فى اسكتلنده ، وحصل على الدكتوراه من جامعة كمبردج سنة ١٨٧٠ م

---

(١) الأعلام ٢٨٤/١ ، والمستشرقون ص ٤٨٠

ومن آثاره : جُرْزة [١] الحاطب وتحفة الطالب . وهى مجموعة اشتملت على عدَّة رسائل : صفة السَّرج واللجام ، لابن دريد ، وصفة السحاب [٢] والغيث ، له ، وتلقيب القوافى ، لابن كيسان . وديوان طهمان ابن عمرو الكلابى ، ومقتطفات من مراثى العرب . ليدن ١٨٥٩ م . ونشر أيضا كتاب الملاحن ، لابن دريد ، فى السنة نفسها . ورحلة ابن جبير ، مع ترجمتها إلى الانجليزية . واشترك فى نشر جزءين من نفح الطيب ، للمقّرى . ليدن ١٨٥٥ م [٣] . وصنف بالانجليزية كتاباً فى النحو العربى .

ومن أبرز أعمال هذا المستشرق ، وأخلدها : نشر الكتاب الكامل ، لأبى العباس المبرّد ، لأول مرة فى العالم ، سنة ١٨٦٤ م [٤] ، مع فهارس دقيقة وافية . وقد أشرت إلى ذلك قريبا .

السِّير تشارلس جيمس لَيالْ (١٨٤٥ ــ ١٩٢٠ م)

تخرّج من جامعة كمبردج . ودرس العربية وأتقنها ، وعُنى بالشعر الجاهلى عناية خاصة ، ورفع لواءَ العلوم الشرقية فى وطنه خمسين عاما .

نشر شرح المعلقات السبع [٥] ، للتِّبريزى ، ودواوين عَبِيد بن الأبرص ، وعامر بن الطفيل ، وعمرو بن قميئة .

---

(١) الجرزة ، بضم الجيم ، بعدها راء ساكنه ، ثم زاى مفتوحة : الحُزْمة .

(٢) ويسمىَّ : روَّاد العرب . انظر مقدمة تحقيق الاشتقاق ص ١٧

(٣) اشترك فى تحقيق الكتاب أيضا : دوزى ، ودوجا ، وكريل . انظر مقدمة الدكتور إحسان عباس لنشرته من نفح الطيب ص ١٩

(٤) الأعلام ١٢٤/٨، والمستشرقون ص ٤٨٥ ، والتراث العربى ص ٥١

(٥) انظر الخلاف فى عدد القصائد المعلقات التى شرحها التبريزى ، فى مقدمة تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة لشرح القصائد العشر ، ص ٧ ــ دار الآفاق الجديدة ــ بيروت ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م

ومن أعظم أعمال هذا المستشرق ، نشر شرح المفضليات ، لأبى محمد [1] القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى ، مع شروح وذيول ، وترجمة إلى الانجليزية . وقد طبع فى ثلاثة أجزاء ، بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت (١٩٠٨ ـــ ١٩٣١ ـــ ١٩٣٤ م [2]) ووضع فهارسه المستشرق الانجليزى بيفان ـــ الآتية ترجمته ـــ فى مجلد .

ويُعَدُّ نشرُ هذا الشرح آيةً من آيات إبداع المستشرقين ، فى إخراج النصوص العربيّة . وقد أحسن الأستاذ قاسم الرجب ـــ صاحب مكتبة المثنى ببغداد ، رحمه الله ـــ كلَّ الإحسان ، حين أعاد نشر هذا الكتاب بالتصوير ، فى مجلد ضخم . وياليته نشر فهارسه التى صنعها بيفان ! وكنت قد حدّثْتُه فى ذلك ـــ رحمه الله ـــ ولكنه اعتذر بأن لديه نسخاً من الطبعة الأصليّة من ذلك الفهرس .

أنتونى آشلى بيڤان (١٨٥٩ ـــ ١٩٣٣ م)

تلقى العلمَ فى لوزان ، ودرس على المستشرق الألمانى نولدكه ، فى ستراسبورج ، وعلَى وليم رايت ، المتقدم قريبا .

من أعماله الباقية ، نشر نقائض جرير والفرزدق ، لأبى عبيدة معمر ابن المثنّى ، فى مجلدين ، عدد صفحاتهما (١١٠٢) ليدن ١٩٠٥ ـــ ١٩٠٧ م . ثم صنع لها فهرساً جامعا ، فى مجلد ، عدد صفحاته (٦٣٧) . ليدن ١٩٠٨ ـــ ١٩١٢ م .

---

(١) ينسبه كثير من القدامى والمحدثين ، لابنه أبى بكر محمد بن القاسم . والصواب أنه للأب أبى محمد ، وقد قرأه عليه ونقّحه ابنه أبو بكر . راجع مقدمة تحقيق كتاب الزاهر ص ٢٧ ، والأعلام ١٨١/٥

(٢) الأعلام ٨٥/٢ ، والمستشرقون ص ٤٩٧ ، والتراث العربى ص ٥٠

وقد عنى بتحقيق النقائض عنايةً بالغة ، فروى زميلُه المستشرق إدوارد براون ، أنه دخل عليه يوما ، فألفاه حزيناً يائساً ، فاستعلم عماً أصابه ، فأخبره أنه وجد بعد نشره للنقائض خَللاً فى وزن أحد أبياتها .

ومن آثار هذا المستشرق أيضاً ، فهرس الأمالى ، لأبى على القالى ، بمعاونة المستشرق كرنكو ، الآتى . لندن ١٩١٣ م ، وفهارس شرح المفضليات ، السابق [١] .

فريتس كرنكو (١٨٧٢ ــ ١٩٥٣ م)

من أشهر المستشرقين الانجليز ، عند القرّاء العرب ، ومن أغزرهم إنتاجاً ونشراً ، ومن أكثرهم حباً للعروبة والإسلام .

يقول عنه العلاّمة محمد كُرْد على ، فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق : « أحبّ الأستاذ كرنكو ، العربَ والإسلام ، محبّةً لا تُرْجَى إلاّ من العريق فيهما ، يتعصَّب للعرب على سائر أمم الإسلام ، من الفرس والترك والهند ، ويعتقد ــ كما كتب لى ــ فى ٢٣ آذار ، مارس سنة ١٩٣٥ م : أن زوال الدولة العربية ، أى خلافة بنى أميّة ، وانتقال مركز الإسلام من دمشق إلى العراق ، وظهور الفرس على العرب ، كان أوّلَ سببٍ للحيلولة دون انتشار الإسلام فى الأمم النازلة فى الشمال الغربى ، أوربا » .

وقال كاظم الدجيلى العراقى ــ وكان صديقاً حميماً له ــ يؤبِّنه : « كان كرنكو غزيرَ العلم ، واسعَ الاطلاع ، صادقَ القول ، أبىَّ النفس ، بهىّ الطلعة ، محبّاً للشرقيّين عامة ، والمسلمين خاصّة ، ولا أدرى ما تمَّ فى أمر خزانته التى تحوى آلاف الكتب الثمينة النادرة ، من مخطوطات

---

(١) الأعلام ٢٤/٢ ، والمستشرقون ص ٥١٠

ومطبوعات ، إذ فى ضياعها وتفرقّها خسارةٌ للآداب العربية والإسلامية » [١] .

ولد كرنكو ، فى شنبرج ، بشمالى ألمانيا ، ومات أبوه ، ولما يبلغ السادسةَ من عمره ، فكفله جدُّه لأمّه . وتعلّم لغاتٍ كثيرة ؛ الانجليزية ، والفرنسية ، واللاتينية ، واليونانية ، ثم الفارسيّة والعربيّة والعِبريّة ، والتركيّة ، والآرامية . وتقلّبت به الأحوال ، فاشتغل وهو فى السادسة عشرة فى متجر ، ثم انتقل إلى برلين سنة ١٨٩٢ م ، فلقى المستشرق زاخاو ، الذى صرفه عن الاستشراق ؛ لتطلبه وقتاً ومالاً ، لم يتوفَّرا له . ثم تعرَّف بفتاة انجليزية فى برلين ، فانتقل إلى لندن من أجلها ، وتزوّج بها . واشتغل عند أحد التجار مدة طويلة ، ثم أسَّس فى مدينة ليستر مصبغاً للأقمشة ، ضمَّ نحو ألف عامل وعاملة . ثم اضطر بعد الحرب العامة الأولى إلى تصفيته . واتصل فيما بعد بالمستشرق الكبير ليالْ ـــ الذى سبقت ترجمته ـــ فحبَّبه إلى العربيّة ، وحثَّه على العودة إلى الاستشراق .

وحين أنشأ سلطان حيدر آباد ، دائرة المعارف العثمانية ، عام ١٨٨٨ م ، اتصل كرنكو بهذه الدائرة ، بعد وقت من إنشائها ، وشارك فى نشر كثيرٍ من مطبوعاتها .

ويقال إنه اعتنق الإسلام ، وسمَّى نفسه : محمد سالم الكرنكوى ، وقد جاءت هذه التسمية فى صدر بعض مطبوعات حيدر آباد ، التى أشرف على تصحيحها . والله عليم بذات الصدور .

وآثار هذا المستشرق كثيرة جدا ، لا سبيل هنا إلى حصرها . وأذكر

---

(١) هذا النقل ، والذى سبقه ، من الأعلام ١٤٤/٥

منها مماّ نشره وصحّحه : الجمهرة [1] ، لابن دريد ، مع فهارس جامعة ، شملت فهرس الألفاظ والموادّ اللغوية ، وأسماء الشعراء ، وسائر الأعلام ، والأماكن ، ولغات القبائل ، والكتب التى ذكرها ابن دريد ، فى الجمهرة . وياليته صنع فهرس الأشعار والأرجاز .

ومما نشره كرنكو أيضا : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر العسقلانى ، والتيجان فى تواريخ ملوك حمير ، لعبد الملك بن هشام ، عن وهب بن منبّه ، وبآخره ما بقى من تأليف عَبِيد بن شَرِيّة ، من أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها . وأخبار النحويين البصريين ، للسِّيرافى ، والأفعال ، لابن القطّاع ، والمعانى الكبير ، لابن قتيبة ، وأمالى اليزيدى . والجماهر فى معرفة الجواهر ، للبيرونى ، والأجزاء الموجودة من المنتظم ، لابن الجوزى . والمناظر ، لابن الهيثم البصرى ، وتنقيح المناظر ، للشيرازى ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ، وما وجد من معجم الشعراء [2] ، للمرزبانى . ودواوين الشعراء : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حِلِّزة ، وأبى دهبل الجمحى ، والطرّماح [3] بن حكيم ، ومزاحم العقيلى . والمأثور عن أبى العميثل الأعرابى .

---

(١) اشترك فى تصحيحها ـــ وكان هو المصحّح الأول ـــ محمد بن يوسف بن محمد السّورتى

(٢) هذا والذى قبله طبعا فى مجلد واحد ، سنة ١٣٥٤ هـ ، على نفقه حسام الدين القدسى ، رحمه الله .

(٣) نشره عن نسخة عتيقة ، كتبت سنة ٤٣٠ هـ ، محفوظة فى المتحف البريطانى . انظر مقدمة تحقيق الديوان ، للدكتور عزة حسن ص ٥٥ . وكذلك ديوان أبى دهبل ، نشره عن نسخة تعود إلى القرن الخامس . انظر مقدمة تحقيق الديوان ، طبعة النجف الأشرف ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م . لعبد العظيم عبد المحسن .

وشارك الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى فى تحقيق إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، لابن خالويه ، الذى طبع بدار الكتب المصرية . وقد أشرت إلى ذلك ، فى حديثى عن دائرة المعارف العثمانية [1] .

* * *

---

(١) المستشرقون ص ٥٧٥ ، والموضع السابق من الأعلام .

المستشرقون فى أسبانيا

صرفوا أكثر عنايتهم إلى تاريخ الأندلسيين والمغاربة ، وتراثِهم كلِّه ، قديماً وحديثا . ونشروا فى ذلك كثيراً من النصوص والدراسات . ومن أشهر مستشرقيهم القدامى : كوديرا (١٨٣٦ ـــ ١٩١٧ م) ، وريبيرا (١٨٥٨ ـــ ١٩٣٤ م) . ومن أهمّ آثار هذين المستشرقين : المكتبة الأندلسيّة ، التى نشرت بين سنتى ١٨٨٣ ـــ ١٨٩١ م ، بمدينة مجريط (مدريد) . وتشتمل هذه المكتبة على : الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ، لابن بشكوال . والتكملة لكتاب الصلة ، لابن الأبّار . والمعجم فى أصحاب القاضى أبى على الصدفى ، لابن الأبّار أيضا . وبغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ، للضبّى . وتاريخ العلماء ، لابن الفرضى [١] . وفهرس ما رواه ابن خير الإشبيلى ، عن شيوخه ، وهذا طبع في سرقسطة ، عام ١٨٩٤ م .

ومن المستشرقين الأسبان المعاصرين ، الذين لهم شهرة واسعة ـــ وبخاصة فى الدراسات الأدبية : آسين بالاثيوس (١٨٧١ ـــ ١٩٤٤ م) ، وجارثيا جومث ، المولود عام ١٩٠٥ م .

---

(١) أعاد طبع ثلاثة من هذه الكتب بمصر السيد عزت العَطّار الحسينى ، الدمشقى ، المقيم بمصر ، والمتوفى بها ، نحو سنة ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م [معجم المؤلفين ١٣/٤٠٥] . وهذه الكتب هى : تاريخ العلماء ، لابن الفرضى ، والصلة ، لابن بشكوال ، والتكملة ، لابن الأبار . ثم أضاف إليها تحت هذه السلسلة ، التى سمَّاها : « من تراث الأندلس » : جذوة المقتبس ، للحميدى ، وقضاة قرطبة ، وعلماء إفريقية ، للخشنى .

وقد أعادت طبعَ هذه المكتبة الأندلسية : الدارُ المصرية للتأليف والترجمة . تحت سلسلة « تراثنا » التى نشطت فى الستينات الميلادية . ثم خبت جذوتها .

وتُعدُّ مكتبة دير الاسكوريال بإسبانيا ، من أهم مراكز المخطوطات العربية فى العالم ، ومن أحفلها بالنوادر [١] .

* * *

(١) المستشرقون من ص ٥٧٥ إلى ٦١٧

المستشرقون فى هولندا

دوزى (١٨٢٠ ـــ ١٨٨٣ م)

من أصل فرنسي . مولده ووفاته فى ليدن . يَعُدُّه أعلامُ المستشرقين أوَّلَ فاتح للدراسات الأندلسية .

من آثاره : معجم فى أسماء ملابس العرب ، وهو موضوع ، كانت جامعة ليدن قد اقترحته ، ورصدت له جائزة ، فكتب فيه ، وهو طالب ، لم يتجاوز الثانية والعشرين ، وأحرز الجائزة ، ونشره فى ٤٤٦ صفحة ، بإمستردام ، سنة ١٨٤٥ م .

ونشر من النصوص : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، لعبد الواحد المرّاكشي [١] . والبيان المغرب فى أخبار المغرب ، لابن عذارى المراكشي . واشترك مع آخرين فى نشر جزءين من نفح الطيب ، للمقرى ـــ وانظر ما سبق فى ترجمة وليم رايت ـــ ونشر بمعاونة دى خويه ، الجزء الخاص بإفريقيا والأندلس ، من نزهة المشتاق ، للإدريسى .

ومن أعظم أعمال دوزى : تكملة المعجمات العربية ، أو : ذيل المعاجم العربية ، سجَّل فيه ما لم يجده فى هذه المعاجم ، من الألفاظ المولَّدة ، والكلمات والمصطلحات التى شاعت فى عصر المماليك . نشره بالفرنسية ، فى جزئين ، بلغت صفحاتهما (١٧١٩) صفحة .

---

(١) نشره عام ١٨٤٧ م . انظر مقدمة الطبعة المصرية . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م بتحقيق محمد سعيد العريان .

ليدن ١٨٧٧ ــ ١٨٨١ م . ليدن ، باريس ١٩٢٧ م [١] . وقد تعقّبه بالتصحيح بعض العلماء العرب ، وأشرت إلى ذلك فيما سبق .

دى يونج (١٨٣٢ ــ ١٨٩٠ م)

نشر من النصوص : الأنساب المتفقة ، فى الخط ، لمحمد بن طاهر ، المعروف بابن القيسرانى . ليدن ١٨٦٥ م . ولطائف المعارف [٢] ، للثعالبى . ليدن ١٨٦٧ م . والمشتبه فى أسماء الرجال للذهبى . ليدن ١٨٨١ م . وعاون دى خويه ، فى نشر المكتبة الجغرافية ، وأيضا فى سيرة الرسول ﷺ لابن هشام ، متناً وترجمة لاتينية . ليدن ١٨٦٩ م . وعاون جوينبول فى نشر كتاب الخراج ، ليحيى بن آدم القرشى . ليدن ١٨٩٦ م [٣] .

فان فلوتن (١٨٦٦ ــ ١٩٠٣ م)

من أوائل المستشرقين ، الذين عُنُوا بآثار الجاحظ ، وقد نشر له كتابَ البخلاء [٤] . ليدن ١٩٠٠ م ، وأهداه إلى شيخ المستشرقين فى عصره : نولدكه . وثلاث رسائل فى مناقب الاتراك [٥] ، والتربيع والتدوير ، وذم أخلاق الكتّاب . ليدن ١٩٠٢ م والمحاسن والأضداد ، بمقدمة فرنسية .

---

(١) الأعلام ٣٩/٣ ، والمستشرقون ص ٦٦٠

(٢) وقد اعتمد على هذه النشرة محققا الكتاب فى طبعته المصرية ، الأستاذان حسن كامل الصيرفى ــ رحمه الله ــ وإبراهيم الأبيارى . انظر مقدمتهما ص ٢٩ . عيسى البابى الحلبى ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م

(٣) الأعلام ٨٠/٢ ، والمستشرقون ص ٦٦١

(٤) انظر الحديث عن هذه النشرة ، فى مقدمة الدكتور طه الحاجرى ، لنشرته التى أصدرتها دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٦٣ م

(٥) أعاد نشرها شيخنا الجليل عبد السلام هارون ــ ضمن رسائل الجاحظ ــ اعتماداً على أصول جديدة لم تتيّسر لفان فلوتن .

ليدن ١٨٩٤ م . ومن غير آثار الجاحظ ، نشر مفاتيح العلوم ، للخوارزمى . ليدن ١٨٩٥ م [١] .

دى خويه (١٨٣٦ ــ ١٩٠٩ م)

من أشهر تلاميذ دوزى ، ومن أرسخ المستشرقين قدماً ، فى الدراسات التاريخية والجغرافية العربية . ومن أعظم أعماله وأخلدها ، نشر كتاب تاريخ الرسل والملوك ، لأبى جعفر الطبرى ، فى ١٨ مجلدا ، بمعاونة جماعة من المستشرقين . ليدن ، من سنة ١٨٧٩ إلى سنة ١٩٠١ م [٢] .

ومن أعمال دى خويه العظيمة أيضا : نشر المكتبة الجغرافية العربية ، وعاونه فى نشرها نَفَرٌ من المستشرقين . وقد تضمنت هذه المكتبة : مسالك الممالك ، للإصطخرى ، وأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، للمقدسى ، والمسالك والممالك ، لابن خردازبة ، والمسالك والممالك ، لابن حوقل ، والتنبيه والإشراف ، للمسعودى ، ومختصر كتاب البلدان ، للهَمْدانى ، والأعلاق النفيسة ، لابن رُستَهْ . وقد جعل لهذه المكتبة الجغرافية فهرساً هجائياً عاماّ .

ونشر أيضا : فتوح البلدان ، للبلاذرى . ليدن ، من سنة ١٨٦٣ إلى ١٨٦٦ م وقد اعتمد على هذه النشرة الدكتور صلاح الدين المنجد ، فى نشرته التى صدرت عن مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦ م . وديوان مسلم بن الوليد (صريع الغوانى) . ليدن ١٨٧٥ م ، عن نسخة وحيدة عتيقة ، ترجع إلى القرن الخامس ، أو السادس ، بخط مغربى ، وهى من جملة

---

(٦) المستشرقون ٢/٣١٦

(٢) انظر وصف هذه النشرة ، فى مقدمة الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، لنشرته التى أصدرتها دار المعارف بمصر سنة ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م

المخطوطات العربية الى حملها وارنر ، فى النصف الأول ، من القرن السابع عشر للميلاد (١٦٠٨ ـــ ١٦٦٥ م) ، وأودعها خزانة الجامعة بليدن . وعلى هذه النسخة الفريدة ، اعتمد الدكتور سامى الدهان ، فى نشرته للديوان التى صدرت عن دار المعارف بمصر ، عام ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .

وقد طبع ديوان مسلم عدّة طبعات ، فى مصر ، وفى غيرها [١] ، وقد اعتمدت جميع هذه الطبعات على نشرة ذلك المستشرق . ومن طريف ما يذكر هنا أن إحدى هذه الطبعات ، قد شارك فى تصحيحها والتعليق عليها الأستاذ الشهيد حسن البنا ، رئيس جماعة الإخوان المسلمين . وهى الطبعة التى أنفق عليها محمد أحمد رمضان المدنى ، صاحب مكتبة المعاهد العلمية ، بالصنادقية بمصر ـــ بدون تاريخ ـــ فقد ذكر على الورقة الأولى من هذه الطبعة : « نقّحه وصحّحه وعلّق عليه الأستاذ الجليل حسن أفندى أحمد البنّا المدرّس بالمدارس الأميرية » وذكر على الورقة الأخيرة منه : « تمّ طبع ديوان صريع الغوانى . وقد قام بتصحيح بعض أصوله قبل تقديمه للطبع ، الأستاذ الجليل حسن أفندى أحمد البنا ، المدرس بالمدارس الأميرية ، ورئيس جمعية الإخوان المسلمين . وقد حالت أشغالهُ دون تصحيحه أثناء الطبع ، فصحّح منه الملازم الأولى والثانية والرابعة الأستاذ الجليل الحسيب النسيب السيد محمد كمال الدين الأدهمى الحسينى ، والثالثة والخامسة صحّحها الأستاذ السيد محمد الحكيم ، المحرر بجريدة البلاغ [٢] » .

---

(١) أشرت من قبل ، فى أثناء حديثى عن دائرة المعارف العثمانية ، إلى أن ديوان مسلم ، طبع فى بمبى .

(٢) مقدمة تحقيق الديوان ـــ طبعة دار المعارف المذكورة ـــ للدكتور سامى الدهان ص ٥٧

ونعود إلى دى خويه ، فنذكر من تحقيقاته ، كتاب الشعر والشعراء ، لابن قتيبة . ليدن ١٩٠٢ م ، وقد جمع له مخطوطات من ليدن ، وفينا ، وبرلين ، وباريس ، ودمشق ، والقاهرة . وقد أثنى على هذه الطبعة الأستاذ العلاّمة السيد أحمد صقر ، فى نقده [١] لنشرة الشيخ الجليل أحمد محمد شاكر ، من الكتاب ، التى صدرت طبعتها الأولى ، عام ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م .

وسبق اشتراكه مع دوزى ، ودى يونج ، فى نشر بعض النصوص .

وقد نسب له الأستاذ نجيب العقيقى أعمالاً أخرى لا تصحُّ نسبتُها إليه ، وهى نشر غريب الحديث ، لأبى عبيد القاسم بن سلاّم ، ووفيات الأعيان ، لابن خلّكان ، وتهذيب الأسماء واللغات ، للنووى ، وطبقات الحفاظ ، للذهبى [٢] . والثلاثة الأخيرة من تحقيق المستشرق الألمانى وستنفلد ــ كما يأتى إن شاء الله ــ أمّا غريب الحديث لأبى عبيد ، فلست أعلم أنه طبع قبل طبعة حيدر آباد بالهند ، عام ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

* * *

---

(١) نشره بمجلة الكتاب ، التى كانت تصدرها دار المعارف بمصر (عدد جمادى الآخرة ١٣٦٥ هـ = يونية ١٩٤٦ م ــ وعدد صفر ١٣٧٠ هـ = ديسمبر ١٩٥٠ م ، وقد نشر الشيخ أحمد ــ رحمه الله ــ هذا النقد فى صدر الطبعة الثانية من الكتاب .

(٢) المستشرقون ص ٦٦٤ ، وانظر الأعلام ٣٣٨/٧ ، ومعجم المطبوعات ص ٩٠٥

المستشرقون فى ألمانيا

رايْسكَهْ (١٧١٦ ــ ١٧٧٤ م)

أول مستشرق ألمانى ، جديرٍ بالذِّكْر ، فى عصرٍ مشغولٍ عن العربية بالتوراة .

درس العربيّة فى ليبزج ، ثم درس الطبّ ، وأحرز شهادة الدكتوراه فيه ، ولم يمارسْه ، وعاد إلى الاشتغال بالعربية .

من آثاره : نشر معلقة طرفة بن العبد ، بشرح النحاس . ليدن ١٧٤٢ م . والمختصر فى أخبار البشر ، لأبى الفدا ، نشر الجزء الأوَل منه ، على نفقته الخاصة . ليبزج ١٧٥٤ م ، ولم يبع منه غير ثلاثين نسخة ، فتوقف عن نشر بقيّة الأجزاء ، ثم أكمله المستشرق أدلر ، فى كوبنهاجن ١٧٨٩ م . ونشر الرسالة الجدّيّة ، لابن زيدون ، بشرح صلاح الدين الصفدى . واسم هذا الشرح : تمام المتون فى شرح رسالة ابن زيدون . ليبزج ١٧٥٥ م . ونزهة الناظرين فيمن ولى مصر من الخلفاء والسلاطين ، لمرعىّ بن يوسف الحنبلى . ليبزج ١٧٥٥ م ولاميّة الطغرائى ، متناً وترجمة ألمانية ، باع منها مائة نسخة . ليبزج ١٧٥٨ م [١] .

فرايتاج (١٧٨٨ ــ ١٨٦١ م)

تلقىّ مبادىء العربيّة فى ألمانيا ، ثم رحل إلى باريس ، وتتلمذ للمستشرق الفرنسى البارون دى ساسى ، فأتقن العربية ، والفارسية ، والتركية ، ثم عيّنته

---

(١) الأعلام ٨/٢٦٥ ، والمستشرقون ص ٦٩٢

جامعة بون أستاذاً للغات الشرقية بها . وكان موفورَ النشاط ، يشتغل كلَّ يوم إحدى عشرة ساعة .

من آثاره : نشر ديوان الحماسة ، لأبى تمام ، بشرح التِّبريزى ، مع حواشٍ وفهارس ، فى جزءين . بوُن (بُنْ) ١٨٢٨ ــ ١٨٤٧ م . وقد أفاد من هذه الطبعة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، رحمه الله ، كما صرَّح بذلك فى تقديمه لنشرته التى صدرت بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م . ونشر أيضاً مجمع الأمثال ، للميدانى . وأثبت تحت كلّ مثل ترجمته باللاتينية ، فى ثلاثة أجزاء . بوُن ١٨٣٨ ــ ١٨٤٣ م . وفاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء ، لابن عربشاه . بوُن ١٨٣٢ ــ ١٨٥٢ م . ونشر قطعة من زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، لابن العديم ، متناً وترجمة لاتينية بحواش وفهارس . باريس ١٨١٩ م وبوُن ١٨٢٠ م . كما عاون وستنفلد فى نشر معجم البلدان لياقوت [١] .

فلوجل (١٨٠٢ ــ ١٨٧٠ م)

درس العربية فى ليبزج ، وزار فينا ، وباريس ، حيث حضر دروس البارون دى ساسى ، ثم عاد إلى ألمانيا ، واستقرّ بها مدرّساً لِلُّغات الشرقية .

من آثاره : نجوم الفرقان فى أطراف القرآن . ليبزج ١٨٤٢ م ، وهو أصل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، الذى صنفه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، كما سبق .

ونشر كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، للحاج خليفة ،

---

(١) الأعلام ١٤٩/٢ ، والمستشرقون ص ٦٩٧ ، وفيه أنه نشر أيضا : أسرار التأويل وأنوار التنزيل ، وهو تفسير البيضاوى . ليبزج ١٨٤٥ م

مع ترجمته إلى اللاتينية ، فى سبعة مجلدات . من سنة ١٨٣٥ ــ ١٨٥٨ م (ليبزج ــ ليدن) والتعريفات للجرجانى . وتاج التراجم ، فى طبقات الحنفية ، لابن قطلوبغا . ونشر مختصرات من كتاب مؤنس الوحيد ونزهة المستفيد ، للثعالبى ، مع ترجمة إلى اللاتينية ١٨٣٩ م . وله مصنَّف فى مدارس العرب النحوية . ليبزج ١٨٦٢ م . كما حقق الفهرست ، لابن النديم ، وطبع بعد وفاته بعام . ليبزج ١٨٧١ م [١] .

وستنفلد (١٨٠٨ ــ ١٨٩٩ م)

علَم بارزٌ من أعلام الاستشراق ، ولا يُدانيه أحدٌ من المستشرقين فى كثرة ما نشره من نصوص .

قضى عمرَه كلَّه مكباً على العربيّة ، فى لغتها وأدبِها وتاريخها وجغرافيّتها . وقد ألَّف وحقَّق فى ذلك كلّه نحو مائتى كتاب بين صغير وكبير ، إلى مقالات وبحوث ، ذاهبةٍ فى الكثرة . وكُفَّ بصرُه فى أواخر عمرِه .

مما نشره : مختلف القبائل ومؤتلفها ، لابن حبيب ، نشره فى جوتنجن سنة ١٨٥٠ م ، عن نسخة بخط المقريزى المؤرخ ، وكان المقريزى قد وجد أصلَها فى مكة المشرفة ، حين حجَّ عام ٨٣٩ هـ .

وقد أثنى علَى عمل وستنفلد هذا ، العلاَّمة الشيخ حَمْد الجاسر ، فى نشرته الثانية للكتاب ، وذكر أنه اجتهد فى العثور على مخطوطة أخرى للكتاب ــ غير مخطوطة وستنفلد ــ فلم يوفق [٢] .

---

(١) الأعلام ١١٩/٢ ، والمستشرقون ص ٧٠١

(٢) مختلف القبائل ومؤتلفها ص ٢٨٥ . وقد أعاد نشره الشيخ حَمْد ، مع كتاب الإيناس فى علم الأنساب ، للوزير المغربى . النادى الأدبى بالرياض ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م

ومما نشره وستنفلد أيضا : المعارف ، لابن قتيبة . جوتنجن [١] ١٨٥٠ م . والسيرة النبوية ، لابن هشام ١٨٦٢ م . وقد اعتمد فى نشرته على نسخة السُّهيلى المخطوطة ، التى أخذها عن أستاذه أبى بكر بن العربى [٢] . ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لأبى عبيد البكرى ، وقد جمع مخطوطاته من مكتبات ليدن ، وكمبردج ، ولندن ، وميلان ، واستخرج من هذه المخطوطات نسخة كتبها بيده ، وطبعه بمطبعة الحجر [٣] (ليتوجراف) فى مجلدين كبيرين ، بلغ مجموع صفحاتهما ، مع المقدمة والفهرس أكثر من ٩٠٠ صفحة . جوتنجن ١٨٧٦ ـــ ١٨٧٧ م . وكان أوَّلَ من دلَّ الناسَ على قيمة هذا المعجم العلاَّمة دوزى ـــ الذى سبقت ترجمته ، فى كتابه : مباحث فى التاريخ السياسى والأدبى لأسبانيا ، فى العصور الوسطى . ليدن ١٨٤٩ م [٤] .

ثم نشر بمعاونة فرايتاج ـــ السابق ـــ معجم البلدان ، لياقوت الرومى الحموى ، فى ستة أجزاء ضِخام . ليبزج ١٨٦٦ م . وقد صنع له فهرساً جيّدا ، للأعلام ، والبلدان ، وقد يُظَنُّ أن لا قيمةَ لفهرس البلدان ، فى كتاب معقودٍ أصلاً للبلدان ، ومرتَّب على حروف الهجاء ، ولكنّ وستنفلد فهرس للبلدان التى جاءت ضِمْناً فى ثنايا الكتاب كلِّه ، وهذا غاية فى النفع

(١) انظر مقدمة الطبعة المصرية التى أخرجتها دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م ، بتحقيق الدكتور ثروت عكاشة .

(٢) انظر مقدمة الطبعة المصرية التى أخرجتها مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م بتحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبيارى ، وعبد الحفيظ شلبى .

(٣) وصفت هذه الطبعة الحجرية ، فى أثناء حديثى عن نشر التراث فى المغرب العربى .

(٤) انظر مقدمة الطبعة المصرية من الكتاب ، التى أذاعها الأستاذ مصطفى السَّقّا ، عام ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

والأهمية ، كما لا يخفى . ويا ليته صنع فهرساً للقوافى ؛ فإن فى الكتاب أشعاراً كثيرة !

ونشر لياقوت أيضاً كتابه : المشترك وضعاً والمفترق صُقْعاً . جوتنجن ١٨٤٦ م . ونشر أيضا : اللباب فى تهذيب الأنساب ، لعز الدين ابن الأثير ، وطبقات الحفاظ ، للذهبى ـــ ويسمى : تذكرة الحفّاظ ـــ وتهذيب الأسماء واللغات للنووى . والاشتقاق ، لابن دريد ، وقد نشره سنة ١٨٥٤ م ، عن نسخة فريدة ، تحتفظ بها مكتبة ليدن ، تاريخ نسخها ، شوال ٦٦٨ هـ ، وقد عوَّل على هذه النسخة شيخنا عبد السلام هارون ، فى نشرته التى أصدرتها مكتبة الخانجى ، عام ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م . وقد رأيت نسخةً ثانية من هذا الكتاب ، بخط العالم المعروف أحمد بن عبد القادر بن مكتوم [١] ، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ . والنسخة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط ، بالمغرب الأقصى . وقد صوّرتُها لمعهد المخطوطات بالقاهرة ، فى أثناء عملى بالمغرب ، عام ١٣٩٥ هـ ، عضواً ببعثة المعهد . ونشر وفيات الأعيان لابن خلكان ، بين عامى ١٨٣٥ و ١٨٥٠ م [١] .

ومن أعظم أعمال وستنفلد ، نشر مجموعة تواريخ مكة ـــ على نفقة الجمعية الشرقية الألمانية ، ١٨٥٨ ـــ ١٨٦١ م ، وهى تضم أربعة كتب :

---

(١) هو تاج الدين أبو محمد أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسى الحنفى النحوى . ولد فى آخر ذى الحجة سنة ٦٨٢ هـ . وكان متقدما فى الفقه ، والنحو ، واللغة ، وهو صاحب التذكرة ، والدر اللقيط من البحر المحيط ـــ لأبى حيان ـــ يقول عنه ابن حجر : « وقلَّما وقفت على كتاب من الكتب الأدبية ، من شعر وتاريخ ، ونحو ذلك ، إلاَّ وعليه ترجمة مصنّف ذلك الكتاب بخط ابن مكتوم » . الدرر الكامنة ١٨٧/١

(٢) انظر مقدمة الدكتور إحسان عباس ، لنشرته من الوفيات ، التى نشرتها دار صادر ـــ بيروت ١٩٦٨ م

١ ــ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، لأبى الوليد الأزرق .

٢ ــ المنتقى فى أخبار أم القرى . وهو منتخبات من تاريخ مكة ، للفاكهى ، وشفاء الغرام فى أخبار البلد الحرام ، لتقى الدين الفاسى ، والجامع اللطيف فى فضائل مكة وبناء البيت الشريف ، لابن ظهيرة .

٣ ــ الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، للنهروالى [١] .

٤ ــ تاريخ مكة ، بالألمانية . وفيه لوحتان : الأولى بها أنساب أشراف مكة ، والثانية بها رسم مكة .

وله غير ذلك ، من النصوص المحققة والدراسات ، شئٌ كثير [٢] .

آلورد (١٨٣٨ ــ ١٩٠٩ م)

قام برحلات متعددة إلى بلدان الشرق ، لرؤية مخطوطاتها ، وجَمْعها ، ونسْخِها . ومن أعظم آثاره : فهرس مخطوطات المكتبة الملكية فى برلين . وجاء فى عشر مجلدات ، بالألمانية .

ومما نشره : العقد الثمين فى دواوين الشعراء السّتة الجاهليِّين ــ امرئ القيس ، والنابغة الذبيانى ، وزهير بن أبى سلمى ، وطرفة بن العبد ، وعلقمة ابن عبدة ، وعنترة بن شداد ــ برواية الأعلم الشنتمرى . لندن ١٨٧٠ م . ومجموع أشعار العرب . وفيه أراجيز العجّاج ، وابنه رؤبة ، والزَّفَيان السعدى . ليبزج ١٩٠٣ م ، وديوان طَهمْان الكِلابى ١٨٥٨ م . والجزء

---

(١) النهروالى ، باللام : نسبة إلى قرية بالهند . ويخطئ من يقول : النهروانى ، بالنون ، يظنه منسوباً إلى النهروان . وهو قطب الدين محمد بن أحمد الحنفى . تعلم بمصر ، ونصب مفتياً بمكة . توفى سنة ٩٨٨ هـ . الأعلام ٧/٦

(٢) الأعلام ٩٩/٨ ، والمستشرقون ص ٧١٣ ، ومعجم المطبوعات ص ١٩١٧

الحادى عشر ، من أنساب الأشراف للبلاذرى ١٨٨٣ م . وعاون دى خويه فى نشر فتوح البلدان ، للبلاذرى . وله غير ذلك [١] .

براجستراسر (١٨٨٦ ــ ١٩٣٣ م)

كان أبوه وجَدُّه من قساوسة البروتستانت ، فى مدينة بلون بألمانيا ، وولد براجستراسر ، بها ، وتعلم فى مدينة ليبزج ، وأخذ العربية عن فيشر . ثم قام برحلة إلى الشرق ، فزار الأناضول بتركيا ، وسوريا ، وفلسطين ، ومصر . وتوفىّ متردِّياً من قمة جبل من جبال الألب ، فى أثناء رحلة رياضية .

قدم مصر ، أستاذا زائرا ، عام ١٩٣١ ــ ١٩٣٢ م . وألقى فى جامعتها محاضرات فى تطور النحو العربى ، ومحاضرات فى قواعد نشر النصوص العربية ، نشرها فيما بعد تلميذه الدكتور محمد حمدى البكرى ــ وقد أشرت إلى ذلك ، فى صدر هذا المدخل .

ومما نشره : طبقات القراء ، لابن الجزرى ــ ويسمى : غاية النهاية ــ ومات قبل إتمامه ، فأكمله المستشرق برتزل . وطبع بمطبعة السعادة بالقاهرة ، عام ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٢ م ، بمعاونة مكتبة الخانجى . كما نشر : مختصر شواذّ القراءات ، لابن خالويه . استانبول ١٩٣٣ م . وله فيه تصحيف منكر ، يأتى فى محاضراتى عن التصحيف والتحريف ، إن شاء الله .

---

(١) الأعلام ١٥٦/٥ ، والمستشرقون ص ٧٢٠ ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٨٨/١ . ويقال فى اسمه : وليم آلورد ، وفلهلم آلفرت ، ووليم أهلورد . وكان يسمى نفسه بالعربية : وليم بن الورد البروسّى .

وقد عنى براجستراسر عناية خاصة بالقرآن الكريم ، **فكانت** رسالته للدكتوراه عن حروف النفى فى القرآن الكريم ، ونشرها فى ليبزج سنة ١٩١١ م . ثم كانت رسالته للأستاذية بعنوان : « معجم قراء القرآن وتراجمهم » . وكان له نشاط ملحوظ ، فى جمع المصادر الخاصة بالقرآن الكريم ، وعلومه ، وضبط قراءته ، ونشر النصوص الأصيلة فى ذلك . وقد وجَّهه إلى هذا العمل ، المجمعُ العلمى البافارى . ويقال : إنه حينما كان فى القاهرة ، ذهب إلى مقرئ مشهور ، واستمع إلى قراءته ، ودوَّن طريقة أدائه ونغماته على النوته الموسيقية [١] .

ماكس مايرهوف (**١٨٧٤ ــ ١٩٤٥ م**)

من كبار أطباء العيون فى العالم . وقد وقف حياته على دراسة الطب العربى وتاريخه . وتُعدُّ اكتشافاتُه فيه ، وكتابتُه عنه ، وكذلك دراسته عن الصيدلة عند العرب ، مرجعاً دقيقا وافيا ، لا غنىً عنه .

وقد زار مصر سنة ١٩٠٠ م ، وسكن القاهرة سنة ١٩٠٣ م ، فانتخب نائباً لرئيس المعهد المصرى ، والجمعية الطبية المصرية ، واستمرّ إلى أن توفى بالقاهرة .

من منشوراته : منتخب جامع المفردات ، للغافقى . بالاشتراك مع جورجى صبحى . مطبوعات جامعة فؤاد الأول بمصر ١٩٤٠ م ــ وقد أشرت إليه فى صدر هذا المدخل . كما نشر دراساتٍ ونصوصاً أخرى كثيرة ، فى الطب والصيدلة عند العرب ، كما كتب عن التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية [٢] .

---

(١) المستشرقون ص ٧٤٧ ، ٧٥٩ ، والأعلام ١٤٣/٢

(٢) انظر الأعلام ٢٥٦/٥ ، والمستشرقون ص ٧٦٦ ــ ٧٦٨ ، والموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ص ٣٢٥

كارل بروكلمان (١٨٦٨ ـــ ١٩٥٦ م)

أشهر المستشرقين عند القارئ العربى ، بل عند كلِّ مشتغل بالدراسات العربية . وقد مكَّن له عند الناس ، كتابُه العظيم : « تاريخ الأدب العربى » الذى يُعَدُّ أوفى مرجع فى ذكر مكان المخطوط العربى ، وقد عرض فى كتابه تراجم العلماء والأدباء ، فى العصور الإسلامية ، وذيَّل كلَّ ترجمةٍ بمصادرها ، ووصف الكتب وميزاتها ، وتاريخ طبعها ، ومكانها فى الشرق والغرب ، وأحصى المخطوطات فى مكتبات أوربا ، وفى غيرها [١] .

ولد بروكلمان فى روستوك بألمانيا ، ونال شهادة الدكتوراه فى الفلسفة واللاهوت ، وأخذ العربيةَ واللغات الساميّة عن نولدكه ، وآخرين ، وذهب بالشهرة فى فقه العربية واللغات الساميّة عموماً . وكانت ذاكرته قوية ، يكاد يحفظ كلَّ ما يقرأ .

وكان من أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق ، ومجامع علمية أخرى كثيرة . وقد حرَّر موادَّ كثيرة فى دائرة المعارف الإسلامية .

ودراساته وبحوثه فى التاريخ واللغة والأدب ، واللغات الساميّة ، غزيرة وفيرة [٢] .

وقد نشر بروكلمان أجزاء من عيون الأخبار ، لابن قتيبة . جوتنجن من سنة ١٨٩٩ إلى سنة ١٩٠٨ م [٣] . ومختصر تلقيح فهوم أهل الأثر فى عيون التاريخ والسير ، لابن الجوزى . ليدن ١٨٩٢ م ، وهو رسالته

---

(١) انظر المقدمة النفيسة ـــ على وجازتها ـــ التى صدَّر بها الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار ، ترجمته لهذا الكتاب العظيم . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية ١٩٦٨ م

(٢) انظر إحصاءها فى كتاب الدكتور صلاح الدين المنجد : المنتقى من دراسات المستشرقين . القاهرة ١٩٥٥ م

(٣) انظر مقدمة نشرة دار الكتب المصرية ص ١٤

للأستاذية . والجزء الثامن من الطبقات الكبير ، لابن سعد ، وهو الجزء الخاص بتراجم النساء . ليدن ١٩٠٤ م . وما تلحن فيه العامة ، للكسائى . نشره فى مجلة الآشوريات ZA ـــ المجلد الثالث عشر ١٨٩٨ م [١] .

هلموت ريتر (١٨٩٢ ــ ١٩٧١ م)

أحد أعلام المستشرقين الذين شُغلوا بالتراث العربى الإسلامى .

أشرف على معهد الآثار الألمانى فى استانبول ، طَوالَ ثلاثين سنة ، وقد فُتحت له الخزائن هناك ، فكان أحدَ القلائل الذين وقفوا على نوادر المخطوطات فى تركيا .

وقد أنشأ باستانبول المكتبة الإسلامية ـــ أو النشرات الإسلامية ـــ سنة ١٩١٨ م ، لتحقيق ونشر النصوص العربية الإسلامية ، فنشرت الكثير من الأمهات والأصول فى مختلف الفنون . ثم أسس مجلة أوريانس سنة ١٩٤٨ م .

من النصوص التى نشرها : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلِّين ، لأبى الحسن الأشعرى ، استانبول ١٩٢٩ م . وفرق الشيعة ، للحسن بن موسى النُّوبَخْتى ١٩٣١ م . والجزء الأول من الوافى بالوفيات للصفدى . استانبول ١٩٣١ م ، وأسرار البلاغة ، للشيخ عبد القاهر الجرجانى . استانبول ١٩٥٤ م . ومشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب ، لعبد الرحمن بن محمد بن على الدبّاغ . بيروت ١٩٦٠ م .

وله دراسات تراثية كثيرة ، منها : القرآن والحديث فى مكتبات استانبول . نشره عام ١٩٢٨ م [٢] .

* * *

---

(١) انظر مقدمة نشرة الدكتور رمضان عبد التواب ص ٨١ . مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م وانظر الأعلام ٢١٢/٥ ، والمستشرقون ص ٧٧٧ ـــ ٧٨٣

(٢) المستشرقون ٤٦٠/٢

المستشرقون فى السويد

تورنبرج (١٨٠٧ ــ ١٨٧٧ م)

يُعَدُّ من أعلم مستشرقى السّويد ، فى عصره . وهو من تلاميذ البارون دى ساسى ، حيث لازمه فى باريس سنتين اثنتين ، ثم عاد إلى وطنه معلّما للعربيّة فى أوبْسالة .

ترجم القرآن الكريم إلى السويديّة ، عام ١٨٧٤ م .

ونشر من النصوص : الكامل فى التاريخ ، لعز الدين بن الأثير ، فى ١٤ مجلدا ، منها مجلدان للفهارس . ليدن (١٨٥١ ــ ٧٦ ــ ٨٤ م) . والأنيس المطرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة فاس [١] ، لعلى ابن عبد الله ، المعروف بابن أبى زَرْع الفاسى . أوبسالة ١٨٣٤ م . وخريدة العجائب وفريدة الغرائب ، لسراج الدين عمر الوردى . من رجال القرن التاسع . أوبسالة ١٨٣٥ م . وليس هذا هو ابنَ الوردى زين الدين عمر بن مظفر ، الفقيه الشافعى النحوى المؤرخ المتوفى سنة ٧٤٩ هـ . وقد ذكر العلامة الزركلى ــ رحمه الله ــ تحقيقا جيّداً حول سراج الدين الوردى هذا ، ونِسبة كتاب خريدة العجائب [٢] .

وقد نشر تورنبرج أيضاً ، بمعاونة هندال ، جزءاً من كتاب حسن

---

(١) سبق أن هذا الكتاب كان قد طبع على الحجر بفاس ، عام ١٣٠٥ هـ ــ فى الحديث عن نشر التراث فى المغرب العربى .

(٢) الأعلام ٦٧/٥ ، فى أثناء ترجمة (عمر بن مظفر) . وانظر مفتاح السعادة ٣٨٥/١ ، ففيه أن كتاب خريدة العجائب ، لابن الوردى .

المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، للسيوطى . مع ترجمته إلى اللاتينية . أوبسالة ١٨٣٤ م [١] .

سترستين (١٨٦٦ ــ ١٩٥٣ م)

درس العربية والعِبرية ، وانتسب إلى دار العلوم فى أوبسالة ، وأحرز منها شهادة الدكتوراه فى الأدب ١٨٩٥ م . ثم رحل إلى ألمانيا ، فتعمّق فى العربيّة على المستشرق زاخاو ، وتضلّع من الفارسيّة والتركيّة على الأساتذة المشارقة ، الذين كانوا يدرِّسون فى المعهد الشرقى ببرلين .

وقد رحل من أجل المخطوطات إلى عواصم أوربيّة كثيرة ، ثم زار مصر والشام وتونس أكثر من مرّة . وترجم القرآن الكريم إلى اللغة السويديّة ، عام ١٩١٧ م . وله دراسات تراثية كثيرة ، وكان يوقِّع مقالاته أحياناً باسم : عبد الرحمن .

من النصوص التى نشرها : ألفية ابن معطى ، المسمّاة : الدرَّة الألفية فى علم العربية . وقد أشرت إلى ذلك من قبل . والجزءان الخامس والسادس من الطبقات الكبير ، لابن سعد . ليدن ١٩٠٦ ــ ١٩٠٩ م . وطرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب ، للملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول . المجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٤٩ م . ونشر جزءين من شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكُلوم ، لنشوان بن سعيد الحميرى . ليدن ١٩٥١ ــ ١٩٥٣ م ، ثم عهد إلى المستشرق ديدرنج بإتمامه .

---

(١) الأعلام ٢١٣/٥ ، والمستشرقون ص ٨٩١ ، وانظر مقدمة نشرة الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم للكتاب ص ٦

هذا وقد ذكر العلاّمة الزركلى ، والأستاذ نجيب العقيقى ، أن سترستين نشر تهذيب اللغة ، لأبى منصور الأزهرى . ولست أُحُقُّ ذلك . والذى ذكره بروكلمان أن سترستين نشر مقدمته فقط [١] . سنة ١٩٢٠ م .

* * *

(١) الأعلام ٢١٢/٥ ، والمستشرقون ص ٨٩٦ ، وتاريخ الأدب العربى ٢٦٤/٢ .
وقد نشر هذه المقدمة أيضا الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ـــ دار مصر للطباعة ١٣٧٦ هـ

المستشرقون فى المجر

من أبرزهم وأشهرهم :

جولدزيهر (١٨٥٠ ــ ١٩٢١ م)

تعلّم فى بودابست ، وبرلين وليبزج ، ثم انتدبته حكومته للقيام برحلة إلى سوريا عام ١٨٧٣ م ، فتعرّف بالشيخ طاهر الجزائرى ، وصحبه مدة ، ثم انتقل إلى فلسطين فمصر ، حيث لازم بعض علماء الأزهر الشريف ، وأخذ عنهم شيئا من العربية ، ومنهم الشيخ محمد عبده .

له دراسات كثيرة بالألمانية والانجليزية ، والفرنسية ، عن الإسلام ؛ عقيدةً وفقها ، ثم عن الأدب العربى ، تُرجم بعضُها إلى العربية .

وله آراءٌ خاطئة منحرفة ، عن القراءات القرآنية ، ورسم المصحف ، ردَّها عليه جماعةٌ من العلماء ، منهم الأستاذ الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، فى كتابه : « رسم المصحف والاحتجاج به » الذى طبع بمطبعة نهضة مصر ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م . والشيخ عبد الفتاح القاضى ــ رحمه الله ــ فى كتابه : « القراءات القرآنية فى نظر المستشرقين والملحدين » نشر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م . وقد ذكر جولدزيهر هذه الآراء الخاطئة ، فى كتابه مذاهب التفسير الإسلامى ، الذى ترجمه الدكتور على حسن عبد القادر ، والدكتور عبد الحليم النجار ، رحمه الله .

وخلاصة ما يقوله جولدزيهر ، أن اختلاف القراءات القرآنية يرجع إلى إهمال نَقْط حروف الكلمات فى المصحف ، مما جعل كلَّ قارئ يقرأ بما يؤدِّى إليه اجتهادُه . وهو بهذا يُنكر التواتر ، عن رسول الله ﷺ ــ فى

القراءات ، الذى هو الشرط الأول فى قبول القراءة [١] .

ومن عجب أن كثيراً ممن يتعاطَوْن الدَّرسَ اللغوى ، من أصحاب المناهج والتفكير العلميّ ، فى جامعاتنا العربية ، قد ردَّدُوا هذه المقالةَ من بعد جولدزيهر ، بل إن بعضهم لا يزال يعتقد أن القراءات السبعةَ التى جمعها أبو بكر بن مجاهد ، فى القرن الرابع ، للقرّاء السبعة ، هى المرادة بحديث رسول الله ﷺ : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا بما شئتم » .

ومن النصوص التى نشرها جولدزيهر : ديوان الحطيئة ، بشرح السّكّرى ،متناً وترجمة . ليبزج ١٨٩٣ م . وكتاب المعمرين ، لأبى حاتم السجستانى . ليدن ١٨٩٩ م . كما نشر جزءا من كتاب فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية ـــ ويسمى المستظهرى ـــ لأبى حامد الغزالى . ليدن ١٩١٦ م . وهذا الجزء يمثل ثلث الكتاب ، كما يرى الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى [٢] .

* * *

---

(١) والشرطان الآخران : أن يكون للقراءة ، وجهٌ شائع صحيح فى العربية ، وأن تكون القراءة موافقةً لخط المصحف الإمام ، وهو مصحف عثمان ، رضى الله عنه . انظر تفصيل ذلك فى الإبانة عن معانى القراءات ، لمكى بن أبى طالب ، ص ١٨ تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبى . نهضة مصر ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م

(٢) وقد نَشَر الكتابَ كاملاً باسم : فضائح الباطنية . الدار القومية للطبع والنشر . القاهرة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م

وانظر الأعلام ١/ ٨٠ ، والمستشرقون ٣/ ٤٠ ـــ ٤٢

المستشرقون فى روسيا

من ألمعهم وأحقّهم بالتنويه :

كراتشكوفسكى (١٨٨٣ ــ ١٩٥١ م)

وُلِد فى فيلنا ، وانتقل أبوه ــ وكان مديراً لمعهد المعلمين بها ــ إلى طشقند ، وعمره سنتان ، فكان أول ما تفتّح عليه بصرُه ، المساجد ، والأسواق الشرقية ، ثم عاد إلى مسقط رأسه فيلنا ، حيث عيّن أبوه مديراً للمكتبة العامة ، ورئيساً للجنة الآثار . وقد درس فى كلية اللغات الشرقية ، بجامعة بطرسبورج (ليننجراد) ، وفى تلك الكلية تعرَّف إلى كثير من علماء الشرق ، ومنهم الشيخ محمد عيّاد الطنطاوى المصرى ، الذى نوَّه به فى كثير من مصنفاته ورسائله [١] . وبعض الأساتذة اللبنانيين ، مثل فضل الله صرُّوف ، ورزق الله حَسُّون ، وأنطون خشّاب .

وبعد أن وقف على العربيّة ، وغيرها من اللغات الشرقيّة ، أرسل فى بعثة علميّة ، للتوسُّع فى دراسة العربية ، والتزوّد من المخطوطات ، فأقام عامين (١٩٠٨ ــ ١٩١٠ م) فى سوريا ولبنان ، وفلسطين ، ومصر ، فزار المعاهد والمكتبات ، والتقى بالعلماء ، وعاد من كلّ ذلك بزادٍ وفير ، ذكره وأشاد به فى كل ما كتب بعد ذلك . وأفرد لذلك كتاباً ، ترجم إلى العربية باسم : « مع المخطوطات العربية ؛ صفحات الذكريات عن الكتب والناس » . تحدث فيه عن إقامته فى البلدان العربية ، وعن المخطوطات النادرة

---

(١) انظر نموذجاً من ذلك ، فى رسالة بعث بها إلى الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى بمصر ، ونشر صورتها الأستاذ الزركلى ، فى الأعلام ٣٣٦/١ ، ويبدو فيها أسلوبه العربىّ الجيّد ، وخطه الواضح البيِّن .

التى قرأها واستنسخها ، وعن دور الكتب العربية ، وعن الشخصيات العربيّة التى تعرَّف إليها ، وبخاصة أستاذه المصرى الشيخ محمد عيّاد الطنطاوى ، ثم تحدث عن إنتاجه هو العلمىّ ، وعن روافده الفكرية . وهو كتاب طريف جداً . صنَّفه سنة ١٩٤٣ م بالروسية ، ونشرتْه مترجماً إلى العربية دارُ التقدم بموسكو ، عام ١٩٦٣ م .

وقد انتخبه المجمع العلمى العربى بدمشق عضواً مراسلاً سنة ١٩٢٣ م .

وعنى كراتشكوفسكى بالأدب العربى ، قديمه وحديثه ، عنايةً بالغة ، وكتب فى ذلك دراساتٍ غزيرةً جدا [١] . ويقول فى ذلك ، عندما ترجم لنفسه ، بقلمه العربى ، سنة ١٩٢٧ م : « أمَّا مؤلفاتى العلمية ، التى بدأت بكتابتها ، من سنة ١٩٠٤ م ، فجُلُّها — إن لم أقل كلُّها — فى آداب العرب ، من بحث وترجمة ، وشرح وانتقاد ، وكتاب ومقالة ، ومحاضرة ، وملاحظة ، وعددها يربو على المائتين ، وقد طبع فهرستها ، سنة ١٩٢١ م » [٢] .

وهذا إحصاء مصنفاته إلى ذلك التاريخ ، فما ظنُّك بما جاء بعده ، وقد توفى سنة ١٩٥١ م . ويذكر الأستاذ نجيب العقيقى ، أن آثاره تربو على أربعمائة وخمسين أثراً ، بين مصنَّف ، ومترجَم ، ومفسَّر ، ومنقود ، ورسالة .

ومن النصوص التى نشرها : الأخبار الطِّوال ، لأبى حنيفة الدِّينورىّ ١٩١٢ م وكان قد بدأ العملَ فيه المستشرق الروسى جرجاس ، ولكنه توفى قبل إتمام طبع الكتاب ، سنة ١٩٠٨ م فقام تلميذه كراتشكوفسكى ،

---

(١) ومما نشر من ذلك بالعربية ، مترجماً عن الروسية : دراسات فى تاريخ الأدب العربى — منتخبات . بإشراف كلثوم عودة فاسيلفيا . دار النشر « علم » موسكو ١٩٦٥ م

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق . المجلد السابع ص ١٢٢ — ١٢٦ ، سنة ١٩٢٧ م ، نقلا عن مقدمة كتاب تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، لكراتشكوفسكى .

بإتمام عمل أستاذه [١] . وديوان الوأواء الدمشقى ، مع ترجمته إلى الروسية ١٩١٤ م . والبديع فى نقد الشعر ، لعبد الله بن المعتز ١٩٣٥ م .

ومن أنفس دراساته ، كتابه : تاريخ الأدب الجغرافى العربى . وقد نقله إلى العربية ، نقلاً جيّداً ، الأستاذ صلاح الدين عثمان هاشم ، ونشرته الإدارة الثقافية ، بجامعة الدول العربية ، فى جزئين من القطع الكبير . القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣ ــ ١٩٦٥ م [٢] .

* * *

(١) انظر قصة ذلك ، فى صدر النشرة المصرية ، التى أذاعها الأستاذ عبد المنعم عامر ، وراجعها الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال ــ سلسلة تراثنا بوزارة الثقافة والإرشاد المصرية . ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م

(٢) انظر مع المراجع السابقة : المستشرقون ص ٩٤٩ ــ ٩٥٤

المستشرقون فى أمريكا

اشتغل جمهورهم بالتراث العربى ، دراساتٍ وأبحاثاً ، وكان منهم المنصف ، المعترف بفضل التراث العربىّ على الحضارة الأوربية ، مثل جورج سارتون ، الذى قدَّمت لك حديثه فى صدر هذا المدخل ، ثم كان منهم المتعصِّب الخبيث ، مثل صمويل زويمر (١٨٦٧ ــ ١٩٥٢ م) ، وهو الذى تولىّ كِبْرَ التبشير فى الشرق الأوسط . وقد فضح أمْرَه ، وكشف خبيئةَ نفسهِ شيخُ العربية وحارسُها محمود محمد شاكر ، فى كتابه الدامغ : « أباطيل وأسمار » . ومن وصايا زويمر ، لصبيانه من المبشِّرين : « تبشير المسلمين يجب أن يكون بلسانِ رسولٍ من أنفسهم ، ومن بين صفوفهم ؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحدُ أبنائها » . ومن وصاياه أيضا : « ينبغى للمبشِّرين أن لا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة ، إذ من المحقَّق أن المسلمين قد نما فى قلوبهم الميلُ الشديد إلى علوم الأوربيين ، وتحرير النساء » . وقد بلغ من جرأة هذا القَسّ المبشِّر ، أن عقد مؤتمرا للتبشير ، فى ٤ إبريل سنة ١٩٠٦ م ، بالقاهرة ، واختار لعقد هذا المؤتمر بيتَ الزعيم أحمد عرابى ، فى باب اللوق ، والرجل يومئذ قد عادَ مِن منفاه ، وحُرِم مالَه ودارَه ، فهو مقيم ببيت أولاده ، بشارع خيرت [١] .

وقد أنشأ زويمر مجلة عالم الإسلام ، التى بثَّ فيها سُمومَه ، وأخرج أضغانَه . يقول عنه الأستاذ نجيب العقيقى : « وله مصنفات فى العلاقات بين المسيحيّة وبين الإسلام ، أفقدها بتعصبه واعتسافه وتضليله قيمتها

---

(١) انظر أباطيل وأسمار ، صفحات ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٩٤ ، واقرأ الكتاب كلَّه تَرْتَدَّ بصيراً بتاريخ أمّتك ، ومكائد أعدائها .

العلمية » [١] .

هذا قول نجيب العقيقىّ ، وهو من أفاضل المسيحيين ، الذين عرفتهم ، وكنت زميلاً له بجامعة الدول العربية ، وعرفت فيه الأدب الجمَّ ، والخلق الرفيع ، وهو يذكّرنى بصديقٍ عزيز من المسيحيين الفضلاء ، هو الأستاذ الأديب الناقد ، الواسع الاطلاع ، وديع فلسطين ، وهو آية فى حسن الخلق ، ولين الجانب ، واستبقاء الودّ والإخاء ، سعدت به كثيراً فى ندوة الأستاذ الكبير محمد أبو الفضل إبراهيم ، ثم فى بيت الشاعر المحقِّق حسن كامل الصيرفى ، رحمهما الله .

ثم أعود إلى المستشرقين الأمريكان ، الذين عُنُوا بنشر النصوص العربية ، فأذكر منهم :

آرثر جفرى (لم أقف له على تاريخ مولدٍ أو وفاة)

وهو استرالىّ الأصل . عمل أستاذاً فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ثم فى جامعة كولومبيا .

نشر كتاب المصاحف ، لابن أبى داود السجستانى ، ونشر بآخره ملحقاً ، جمع فيه جميعَ ما وقف عليه ، فى كتب المفسِّرين والنُّحاة ، وعلماء القراءات ، من حروف المصاحف القديمة ، كمصحف أبىّ بن كعب ، ومصحف ابن مسعود ، وغيرهما من الصحابة الأكرمين ، رضوان الله عليهم أجمعين . المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م ، باسم مؤسّسَة بريل ، بليدن .

وله دراسات كثيرة عن القرآن الكريم ، والإسلام [٢] . وقد ردَّد ما

---

(١) المستشرقون ص ١٠٠٥

(٢) المستشرقون ص ١٠١٣

ذكره من قبل جولدزيهر ، من أن القراءات القرآنية ترجع فى معظمها إلى أن الخطّ العربىّ الذى كتبت به المصاحف ، كان غفلاً من النقط والحركات ، وقد أدَّى ذلك إلى اختلافات نحوية ومعنوية أيضا . وهو رأى فاسد من كلِّ الوجوه ، وقد ردَّه كثيرٌ من العلماء ، على ما رأيت فى ترجمة جولدزيهر .

فرانز روزنتال (لم أعلم له تاريخ مولد ، أو وفاة)

نشر كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ ، لشمس الدين السخاوى [١] . ترجم تعليقاته ومقدمته ، وأشرف على نشر النص ، الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلى . بغداد ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م .

ومن درساته الجادَّة ، كتاب مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى . وقد نقله إلى العربية الدكتور أنيس فريحة ، وراجعه الدكتور وليد عرفات . بيروت ١٩٦٣ م [٢] .

جوستاف فون جرنبوم (١٩٠٩ ـــ ١٩٧٢ م)

نمساوىّ الأصل . تخرّج من جامعتى فيينا وبرلين ، وعمل بجامعتى نيويورك ، وشيكاغو .

دراساته كثيرة عن الإسلام ، والأدب العربى [٣] .

من النصوص التى نشرها : شعر مطيع بن إياس ، وسَلْم الخاسر ، وأبى الشَّمَقْمَق . وقد أصدرها بالعربية الدكتور محمد يوسف نجم ، بعنوان : شعراء عباسيّون . بيروت ١٩٥٩ م . وشعر أبى دؤاد الإيادى ، الذى نشره

---

(١) راجع ما سبق من الحديث عن الأستاذ حسام الدين القدسى .

(٢) المرجع السابق ص ١٠١٦

(٣) المرجع نفسه ١٧٠/٣

ضمن كتابه : دراسات فى الأدب العربى . وقد حرَّره ، وزاد فى تخريجه الدكتور إحسان عباس . بيروت ١٩٥٩ م .

* * *

وبعد :

فهذا قليلٌ من كثير ، من جهود المستشرقين ، فى دراسة التراث العربىّ ونشره . ونحن نذكر هذه الجهودَ بالحمد والثناء ، والرضى والإعجاب ، ثم نذكرها أيضاً بشعورٍ قوىٍّ من الاعتزاز والشموخ بتراثنا العظيم ، الذى شغل القومَ ، وملأ أيَّامهم ، فلو لم يجدوا فيها نفعاً وغناءً لِصُنْع حضارتهم ، لم يصرفوا إليه كلَّ هذه العناية ، التى تمثّلت فى جمع المخطوطات العربية ، وصيانتها ، وفهرستها ، والتعريف بها ، ثم درْسِها وتحقيقها ، ونشرها . وقد أنشأوا لذلك المؤسساتِ الخاصّة والحكومية ، وجعلوا للتراث العربى ، فى الدَّرْسِ الجامعىّ مكاناً جليلا ، فأنشأوا له الكراسى الجامعية ، وتضافرت جهودهم ، من مختلِف جنسيّاتهم ، على نشر الموسوعات التراثيّة ، وعقْد المؤتمرات ، وإصدار المجلاّت ، ودوائر المعارف ، وتوثيق العلاقات بالعلماء العرب فى كلِّ مكان .

نذكر هذا كلَّه ، مدركين مداه وجَدْواه ، لكنّ بعضَ إخواننا مِن العرب قد غالىَ فى تقدير ذلك الجهد ، الذى بذله المستشرقون ، وأسرف فى ذلك إسرافاً ، حين ردَّ كلَّ فضلٍ فى نشر التراث العربىّ ، إلى المستشرقين ، وجعَلَنا نحن العرب فى موقف المتلقِّى المحاكِى فقط . وهذا كلام من لا يعرف حقيقة الأمور ، وكلام من يجهل تاريخَ أمّته ، وتاريخ علمائها ورجالها . فإن من المعروف أن نشاط المستشرقين ، فى نشر التراث العربىّ ، قد بدأ يأخذ صورته الجادَّة فى مطلع القرن التاسع عشر الميلادى . وفى ذلك الوقت تماماً

بدأت مطبعة بولاق فى مصر [١] ، نشاطها الجادّ أيضاً بذلك السَّيل من الكتب الصِّغار والكبار ، وقد حدثتك عن هذا من قبل ، وحدثتُك أيضاً عن الموسوعات الضخمة التى أخرجتها مطبعة بولاق ، مما لم يُعرَف كثيراً فى مطبوعات المستشرقين ، ثم أنبأتك خبر الكتب التى طبعت بهوامش الكتب .

وتتابعت المطابع الأخرى فى مصر ، وفى غيرها من بلدان العالم العربى والإسلامى . وقامت المجامع العلمية فى دمشق ، ومصر ، وبغداد ، تغذىّ حركات نشر التراث ، وتُوَجِّهها .

ونعم إن المستشرقين قد اصطنعوا وسائلَ علمية جيّدة ، فى نشر التراث وتيسير الإفادة منه ، كجمع نُسَخ الكتاب المخطوطة ، واختيار النُّسخة الأمّ ، وصنع الفهارس الفنيّة . وهذا كلُّه مأخوذٌ ممّا صنعه علماؤنا الأوائل ، من حيث المفاضلةُ بين النُّسَخ ، على أساس كونِ بعضِها بخَطّ مؤلِّفها ، أو أن النُّسخة عليها إجازة من مؤلّفها ، أو سماعٌ عليه ، أو أنها دخلت فى مِلْك فلانٍ من العلماء ، وعليها قراءةٌ له ، أو سماعٌ ، أو إجازة . وأكثر ما ترى ذلك فى خزانة الأدب ، للبغدادى . وتأمَّلْ ما كتب بأول طبعة صحيح البخارى وحواشيها ، من رموز نُسَخ الهروى والأُصيلى ، وابن عساكر ، وأبى الوقت السِّجزى ، والكُشْمَيْهَنِىّ ، وكريمة المروزية .

أما الفهارس التى عُنِى بها المستشرقون ، فهى أيضا مما عرفه الأوائل ، وأصَّلُوه ، فإن ترتيب الموادّ اللغوية فى المعاجم ــ على اختلاف مدارسها ــ قائمٌ على فكرة الفهارس ، وكذلك كتب الرجال والتراجم والبلدان ،

---

(١) لا ينفى هذا أن الكتاب العربىّ قد طبع فى أوربا ، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر بصورة محدودة ، قبل ظهور مطبعة بولاق ، ولكنّ حديثنا عن وفرة نشر التراث وذيوعه .

وأشدُّ من ذلك دلالةً على عنايتهم بالفهارس ، كتب الأطراف ، مثل : تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، للحافظ المِزّى . وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث ، للشيخ عبد الغنى النابلسىّ . بل إنّ الإحالات فى فهرس الأعلام ، كانت معروفة أيضاً ، كالذى تراه فى آخر تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلانى ، من ذكر الكُنَى والألقاب ، وأنَّ من عُرِفُوا بهما قد سبقوا فى اسم كذا وكذا .

وما يقال عن حِرص المستشرقين ، على ذكر مصادرهم ومراجعهم ، فهذا أيضاً مما عُنِى به علماؤنا الأوائل ، وهو ما عُرِف بعَزْو الآراء ، ونِسْبَتِها إلى أصحابها ، بل إن التصريح بأسماء المراجع التى عوَّل عليه المؤلفُ القديم ، كانت تأتى فى صدر الكتب ، ومن أطرف ما يُذكَر هنا ، أن بعض علمائنا الأوائل ــ رحمهم الله ــ كان يذكر مراجعه فى آخر الكتاب ، كما نفعل نحن الآن تماما . ومن ذلك ما صنعه الفيومىّ ، فى خاتمة كتابه : المصباح المنير ، وما صنعه العَيْنىّ ، فى آخر كتابه : المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية . المنشور بحاشية طبعة بولاق ، من خزانة الأدب للبغدادى .

هكذا كان .... ولكنّ أكثر الناسِ لا يعلمون !

ومايقال أيضاً عن عناية المستشرقين بعلامات الترقيم ، عرفه الأوائلُ أيضا . قال ابن الصَّلاح : « وينبغى أن يَجْعلَ بين كلِّ حديثين دارةً ، تفصِلُ بينهَما وتميّز ، وممن بلغنا عنه ذلك من الأئمة : أبو الزِّناد ، وأحمدُ بن حنبل ، وإبراهيم بن إسحاق الحربى ، ومحمد بن جرير الطبرى ، رضى الله عنهم » [١] .

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٣٠٦ (النوع الخامس والعشرون) . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م

قال ابن كثير : « قد رأيته فى خطّ الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله تعالى » [١] .

ونذهب إلى أبعدَ من هذا ، فنقول : إن ما وضعه علماء القراءات ، من ضوابط الوقف والابتداء ، فى القرآن الكريم ، هو الأصل الأصيل فى علامات الترقيم ، فقد قسَّم هؤلاء العلماء ، الوقوف فى الكتاب العزيز ، إلى الوقف التامّ ، والكافى ، والحسن ، والقبيح ، تبعاً لاستقامة المعنى ، وصحة اللغة ، ورعاية قواعد النحو والصرف . وتبع ذلك ما وضعه البلاغيون من مباحث الفصل والوصل . ومن قبل تأصيل هذه المباحث والضوابط ، اهتدى خطباء العرب ، ومتكلِّموهم ، بفطرتهم ، إلى ما ينبغى أن يلتزمه المتحدّثُ والخطيب ، من رعاية المقاطع ، وتخليص أجزاء الكلام . رُوِى أن أكثم بن صيفى ، كان إذا كاتب ملوكَ الجاهلية ، يقول لكتّابه : « افصِلُوا بين كلِّ معنىً منقضٍ ، وصِلُوا إذا كان الكلام معجوناً بعضُه ببعض » . وكان الحارث بن أبى شَمِر الغَسّانىّ ، يقول لكاتبه المرقّش : « إذا نزع بك الكلامُ إلى الابتداء بمعنىً غير ما أنت فيه ، فافصِلْ بينه وبين تبعيّته من الألفاظ ، فإنك إن مذَقْتَ ألفاظك بغير ما يحسُن أن تُمْذَقَ به ، نفَّرْتَ القلوبَ عن وعيها ، وملَّتْه الأسماع ، واستثقلتْه الرواة » [٢] .

وقال معاوية بن أبى سفيان ، رضى الله عنه : يا أشْدَق ، قُمْ عند قُروم العرب وجَحاجِحها ، فسُلَّ لسانَك ، وجُلْ فى ميادين البلاغة ، وليكن التفقُّدُ لمقاطع الكلام مِنك على بال ، فإنى شهدت رسولَ الله ﷺ ، أمْلَى علَى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، كتاباً ، وكان يتفقّدُ مقاطعَ الكلام ،

---

(١) الباعث الحثيث ص ١٣٥ ، وتدريب الراوى ٧٣/٢

(٢) الصناعتين ص ٤٤٠

كتفقّد المُصْرِم صَرِيمتَه (١) » .

وقال الأحنف بن قيس : « ما رأيت رجلاً تكلَّم فأحسن الوقوفَ عند مقاطع الكلام ، ولا عرف حدودَه ، إلا عمرو بن العاص رضى الله عنه ، كان إذا تكلَّم تفقَّد مقاطع الكلام ، وأعطى حقَّ المقام ، وغاصَ فى استخراج المعنى بألطفِ مخرج ، حتى كان يِقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبعيّته من الألفاظ (٢) » .

بقي شيءٌ جديرٌ بالوقوف عنده ، وهو ما يقال من أن المستشرقين عُرِفُوا بالدقَّة والأمانة ، فى تأدية النصّ القديم .

وهذا حقٌّ كلُّه ، عرفناه عنهم وخبِرْناه ، ولكنّى قد دَلَلْتُك مِن قبلُ ، على دِقَّة أخرى ، للشيخ المحدِّث الجليل أحمد محمد شاكر ، رحمه الله ، فى تأدية نصّ « الرسالة » للإمام محمد بن إدريس الشافعىّ ، رضى الله عنه ، وذكرت لك مثالاً واحداً منها ، هو إثبات الشيخ لفظ « قُران » بغير همز ، أينما ورد فى « الرسالة » . والفرقُ بين دِقّة الشيخ ، ودقَّةِ هؤلاء : أن الأولى دِقّةٌ مدلولٌ عليها ، مستشهَدٌ لها بمذهب الشافعىِّ ، فى روايته وقراءته .

على أن بعضَ المستشرقين ينحرف بهذه الدقّةِ المطلوبة فى أداء النصّ ، إلى إثبات المُصَحَّف ، أو المُزالِ عن جهته ، نتيجة جَهْل النُّسَّاخِ ، أو غَفْلتهم . وقد أشرت إلى ذلك من قبل .

وما يقال عن قيام المستشرقين بأعمال تراثيّة جليلة ، يقال مثلُه عن

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣٩ ، والصريمة من النخل : القطعة . والصريمةُ أيضا : الأرض المحصودُ زرْعُها .

(٢) المرجع نفسه ص ٤٣٨

علمائنا العرب ، ولست هنا بسبيل التمثيل بكتابٍ ، أو عالِم ، فهو شئٌ معروفٌ مشهور ، ولسنا مسؤولين عن غفلةِ الغافلين ، أو نوم النائمين !

على أنه لا ينبغى فى مجال المقارنة ، بين جهود المستشرقين ، فى نشر التراث ، وجهود العلماء العرب ، أن نُغفِلَ أمراً هاماً ، يتّصل بحالِ القوم ، وحالِنا نحن ، فيما يعملون ، وفيما نعمل . وهو أمرٌ نذكره كارهين له مضطرِّين إليه ، ونرجو أن يصرفه اللهُ عنّا .

ذلك أن المستشرق الذى يقوم على نشر التراث ، يعمل داخلَ نظامٍ عامّ ، يحترم عملَه ، ويعرف له جلالَه وخطرَه ، ويهيىء له ما يُعينه على المضىِّ فيه ، وإتمامِه هادئاً مطمئناً . وكنت أيامَ عملى بمعهد المخطوطات ، أرى أحدَهم يأتى إلى القاهرة ليقيمَ شهراً يطّلع فيه على مخطوطات القاهرة ، ثم يذهب إلى استانبول ، ليطلع على مخطوطاتها ، فيقيم شهراً آخر ، كلّ ذلك من أجل إعداد مادة لتحقيق جزء واحد من « الوافى بالوفيات » للصفدى . وهو بعد كلّ ذلك إذا أراد مخطوطاً من أىّ مكان فى العالَم ، جاءه يسعى ، دون جهدٍ منه ، أو عناء .

أمّا عندنا — وإلى الله المشتكى — فمحقّق التراث يحتمل عناءً باهِظاً فى جمع نُسَخ الكتاب المخطوطة ، وهو بعد ذلك يلاقى المصاعبَ والمتاعبَ ، فى تحصيل المادَّة المُعينة على تحقيق الكتاب ، فإذا فرغ من كلِّ ذلك ، جاء البحث عن الناشر الذى يقوم على طبع الكتاب ، وإقناعه بجدوى الكتاب ، ورواجه فى السُّوق التجارى . ثم يأتى أجرُ المحقِّق بعد هذه الرحلة المضنية زهيداً بَخْساً ، وضَنَّ عليه الناشرُ بما يناسبُ جهدَه وعرقَه .

وحين اتَّجهت بعض البلدان العربية الغَنِيَّة أخيراً ، إلى نشر التراث ، مشكورةً مأجورة ، سَخَتْ وجادتْ على المحقِّقين ، وأجزلت لهم الأجر ، ولكنْ — وهذه حقيقة نرجو ألاَّ تُغضِبَ أحداً — اقترن الأمرُ بشىءٍ من المنِّ . وبين الضَّن والمَنّ فَتَرَتْ هِمَم ، وخَبَتْ جُهود ، وأحْجَم رجال .

فإذا أنت قايَسْتَ ما أنتجه المستشرقون ، فى ظروفهم المُعِينة المُساعِدة ، وما أنتجْناه نحن ، فى ظروفنا الضيّقة الحَرجة ، كانت الكِفَّةُ عندنا أرْجَحَ وأوْزَن .

هذا أمرٌ ، وأمرٌ آخَرُ خطير ، ينبغى أن يؤخذ فى مجال المقارنة ، وهو موقف الجامعات العربيّة من نشر التراث ، أو استلهامِه فى أعمالٍ أدبيّة كبيرة .

لقد ذكرتُ من قبل أن نشاط المستشرقين فى نشر التراث العربى ، ارتبط ارتباطاً وثيقا بالجامعات عندهم ، وكان ذلك ضروريًّا لقيام دراساتهم العربيّة على أساسٍ متين (١) ، فلا دراسةَ صحيحة مع غياب النصّ الصحيح المحرَّر . ومعنى هذا أن كلَّ جهدٍ يبذله المستشرق ، فى نشر مخطوط ، أو فهرسةِ كتاب ، محسوبٌ فى موازينه العلميّة ، مدَّخَرٌ له عند تفاضُل الرجال والأقدار .

أمّا فى جامعاتنا العربية ، فقد غاب نشرُ النصوص عندها ، غِياباً يوشك أن يكون تاماً . ولا يَغُرّنَّكَ ما تراه هنا وهناك ، من تحقيق نصٍّ للحصول على الماجستير أو الدكتوراه ، فهو بَرْقٌ خُلّب (٢) ، وسرابٌ خادِع .

وكان عجباً من العجب أن تسمح الجامعات العربيّة بتسجيل نصٍّ

---

(١) تأمّل — على سبيل المثال — الدراسات القرآنية التى قام بها براجستراسر ، مع نشره لكتاب « مختصر فى شواذّ القراءات » لابن خالويه ، وكتاب طبقات القراء ، لابن الجزرى ، وكذلك الدراسات القرآنية التى نهض بها آرثر جفرى ، مع نشره لكتاب « المصاحف » لابن أبى دواد السجستانى .

(٢) الخُلّب ، بضم الخاء المعجمة ، وتشديد اللام الفتوحة : السحاب لامطر فيه . والبرَقْ الخُلّب : هو المطمِع المُخْلِف .

للحصول على شهاداتها العليا ، دون أن تزوّدَ الطالبَ بما يعينه على تحقيق ذلك النصّ ؛ من معرفة لمناهج التحقيق ، وقراءة المخطوطات ، وتوثيق النُّقول ، وتخريج الشواهد ، وصُنْع الفهارس ، وكيفية التعليق على النصّ ، والتقديم له ، ثم الوقوف [١] على أمهات المراجع العربية ، فى فنون التراث المختلفة ، ومعرفة التعامل معها ، والإفادة منها .

وكان مأمولاً أن تُثمر تلك الجهود ، التى بدأها شيخنا عبد السلام هارون ، فى دار العلوم ، والأستاذ مصطفى جواد ، فى كلية الآداب ، بجامعة بغداد ، والتى استهدفت تعريف الطلاّب بفنّ تحقيق النصوص ومناهجه ، من واقع تجارب الشيخين ، ولكنّ تلك الجهود لم تَنْمُ ، ولم يكتبُ لها الشيوعُ فى سائر الجامعات [٢] . ولم تبقَ إلاّ تلك الإشاراتُ العاجلةُ الخاطِفة عن تحقيق النصوص ، والتى تجىء فى ثنايا مادة « مناهج البحث » التى تدرس للطلاّب فى السنة المنهجيّة المؤهِّلة للدراسات العليا ، ومعظمها ممّا يسقط إلى أساتذة هذه المادة من الترجمات الغربيّة ، ومن منظور استشراقى بَحْت.

ولا يجد الطالبُ الذى يتصدَّى لتحقيق نصّ ، سبيلاً أمامه ، إلاَّ أن يركُضَ هنا وهناك ، ويتخبّطَ بين منهج وآخر ، ولا يخرج بشىء ؛ لأنه دخل بغير شىء .

وقد كان موقف بعض الجامعات العربية ، من تحقيق النصوص ، موقفاً غريباً متناقضا ، فهى قد قبلتْه طريقاً للحصول على الماجستير

---

(١) مثل هذا يحتاج إليه المحقِّق والدارسُ ، على حدٍّ سواء .

(٢) بل إنها توقّفت فى دار العلوم نفسها !

والدكتوراه ، ثم رفضته سبيلاً للترقيات العلميّة ـــ يُحلّونه عاماً ويحرِّمونه عاما ـــ وليست الترقية العلميّة أشدَّ خطراً من إجازة الدكتوراه . وكانت حجّة الرافضين أن تحقيق النّصوص قد اتُّخذ مركَباً سهلاً ، وهذا حقٌّ كلّه ، ولكنْ ما هكذا تكون الأحكام عامّةً مطلقة ! والأولى أن يقال : إن تحقيق النصوص عملٌ من الأعمال العلميّة ، جيّده جيّد ، ورديئه ردیء .

وأمرٌ آخرُ أعجبُ من هذا ، وهو ما سمعناه أخيراً ، من أنّ بعض لجان الترقيات ، فى بعض الجامعات العربية ، قد رفضت ـــ ضمن ما قدِّم لها من أعمال ـــ فهرسةً علميّة لفنٍّ من فنون التراث (١) ، من داخل كتاب كبير ، من أمهات الكتب ، بحجّة أن الفهرسة عملٌ آلىٌّ ميكانيكى ، لا يمثّل جهداً علميّا ! وأستطيع أن أردّ هذا القولَ وأمحقه (٢) ، لولا الغَمُّ الذى أطبق على القلب من سماع هذا الكلام العجيب . وقد مرَّ بك فى أثناء الحديث عن أعمال المستشرقين ، أنهم قد عُنُوا بفهرسة كتب التراث ، عنايةً فائقة ، وأن من ذلك فهرسَ أمالى أبى على القالى ، الذى صنعه المستشرقان الكبيران ، بيفان وكرنكو ، فهل يجرؤ أحدٌ على وصف عمل المستشرقين بأنه آلىٌّ ميكانيكى ؟ .

ثم أفضى هذا العبثُ كلُّه ، إلى أمرٍ أشدَّ نُكْرا ، وهو « أن التحقيق لا يكوِّنُ شخصيَّةً علميَّة » . هكذا يقولونه بدون تقييد ، أو وصف ، أو استثناء . ومعنى هذا بوضوح ، أن دارِساً مسكيناً توفَّر على موضوعٍ مُسْتَهْلَك ، فأكثر فيه الثَّرْثَرة ، وقَمَشَ (٣) له عِلْماً من هنا ، وسلَخَ له

---

(١) هو فهرس الأمثال العربية ، الواردة فى لسان العرب .

(٢) كتبت كلمة عن فهارس الكتب وقيمتها العلمية ، فى العدد الرابع ، من مجلة مركز البحث العلمى ، بكلية الشريعة ، بجامعة أم القرى ـــ مكة المكرمة .

(٣) القَمْش : الجمع من هاهنا وهاهنا ، ومنه قماش البيت ، وهو ردیء متاعه . =

علماً من هناك ، ثم انتهى به إلى نتائجَ هزيلةٍ شائهة ، يفضُلُ رجلاً مثل عبد السلام هارون ، الذى قضى من عمره خمسين عاماً ، أخرج فيها كنوزاً ، وأضاء صفحاتٍ مشرقةً من تراثنا العظيم ! اللهم إنا نستدفع بك البلايا ، ونسألك أن تهوِّنَ علينا المصائبَ والنوائب .

إن محقِّقى النصوص ـــ أيها السادة المنهجيُّون الموضوعيُّون ـــ يضعون أمامكم مادَّةً علميَّة محرَّرة ، وفهارسَ فنيّةً تحليليّةً للكُتُب ، تُعينكم على ما تريدونه من بحثٍ ودرس ، فإن بَخِلْتُم عليهم بشكر هذا الصَّنيع ، فكُفُّوا أذاكم عنهم . واعلموا أيّها السادة أن كِبارَ علماءِ الأمَّة ـــ وكذلك كِبار علماءالاستشراق ـــ إنما خرجوا من عباءة تحقيق النصوص .

لقد كان واجباً على الجامعات العربيّة ، أن تفعلَ ما فعلت الجامعاتُ الغربيَّة ، من الحَثِّ على نشر النصوص الأصيلة ، فى مختلِف فروع التراث ، حتى تقومَ الدراساتُ على دعائمَ قويّة ، وأساسٍ متين ، فكم من الدراسات النحوية ـــ مثلا ـــ قامت فى غياب الأصول ، مثل شرح السيرافى علَى سيبوبه ، و « الأصول » لابن السَّرَّاج ، وكتب أبى على الفارسى ! وكم من الدراسات القرآنية ، اعتمدت فقط على « البرهان » للزركشى ، و « الإتقان » للسيوطى ، دون سواهما من الكتب الأصول فى ذلك الفنّ ! ثم أليس عجيباً أن يظلَّ كتابٌ أصيل ، مثل « إعراب القرآن » لأبى إسحاق الزجَّاج ، مخطوطاً إلى الآن ، ثم يعوِّل الطلبةُ على إعراب القرآن ، للعكبرى ، زماناً طويلا ، وهو كتاب موجز ؟

= وإنّ من أجلّ نعم الله ، أن كثيراً من هذه الدراسات التالفة ظلَّتْ حبيسةً عند أصحابها ، ولو أن أحدهم تجرَّأ ، ونشر على الناس دراسته ، لظهر عوارُه وفسادُه ، وأنكر فعلته ، ثم ودّ لو أنَّ بينَه وبينهَا أمداً بعيداً .

وإذا كان الناشرُ التجاريّ ، لا يُقدم على طبع مثل هذه الموسوعات ، التى لا تحقِّق له ربحاً عاجلا ، فإن من واجب الجامعات العربية ، أن تنشطَ لحمل هذا العبء ، والنهوض به ، وأن تجعلَ من ميزانيّتها نصيباً مفروضاً لنشر التراث وإذاعته ، وأن يكون ذلك على يد بعض خِرِّيجيها ، الذين يُعَدُّون لذلك إعداداً خاصًّا ، من أوّلِ يوم يدخلون فيه الجامعة .

إنّ غيابَ النُّصوص آفةٌ علميّة خطيرة ، تقود إلى دراساتٍ مُبْتَسَرَة شائهة . ودَعْ عنك ما يقال ، من أنّ كتب التراث تتشابه فيما تُعالجه من علوم وفنون ، فهذا كلامُ مَن لم يعرفِ الكتُب ، ويسلُكْ دُرُوبَها ، ويقفْ على طرائِقها .

والله الهادى إلى سواء السبيل .

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

من قضايا تحقيق النصوص [١] :

التصحيف والتحريف

الحمد لله وحده لا شريك له ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ابن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن قضية التصحيف والتحريف من أخطر قضايا تحقيق النصوص ؛ لأنَّها تتصل بسلامة النَّصّ ، وتأديته على الوجه الذى تركه عليه مؤلفه ، وهى الغاية التى ليس وراءَها غاية ، من تحقيق النصوص وإذاعتها .

وقد يُتسامَح فى بعض جوانب التحقيق الأخرى ، مع أهمّيتها ، كتوثيق النُّقول ، وتخريج الشواهد ، وصُنْع الفهارس الفَنيّة ، ولكن أنْ يُترَك اللفظُ مصحَّفاً أو مُزالاً عن جِهته ، فهذا ممّا لا يُتَسامح فيه ، ولا يُعْفى عنه .

ويَعظُم الخطبُ حين يُبنَى على اللفظ المصَحَّف رأْىٌ فى العقيدة أو الأدب أو اللغة . حكى الحافظ السُّيوطىّ ، قال : « قيل : إنّ النصارى كفروا بلفظةٍ أخطأوا فى إعجامها وشكلها ، قال الله فى الإنجيل ، لعيسى عليه السَّلام : « أنت نَبِيِّى ولَّدْتُك من البَتُول » ، فصَحَّفُوها وقالوا : « أنت بُنَيِّى وَلَدْتُك من البَتُول » مخفَّفا [٢] ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً .

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة بقاعة المحاضرات الكبرى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، فى الموسم الثقافى لعام ١٤٠٣ ــ ١٤٠٤ هـ

(٢) تدريب الراوى ٦٨/٢

وأظنّ أننا لم ننس ذلك التصحيف القديم ، المعروفَ بتصحيف النُّقْطة ، وذلك ما رُوِى عن الخليفة سليمانَ بن عبد المَلك – وكان غيوراً على الحُرَم ، فقيل له : إنَّ المخنَّثين قد أفسدوا النساءَ بالمدينة ، فكتب إلى قاضى المدينة وواليها أبى بكر بن حزم : « أنْ أحْصِ مَن قِبَلك من المخنَّثين » . فصحَّف كاتبُه : « أنِ اخصِ » بالخاء المعجمة مكانَ الحاء المهملة ، فدعاهم فخصَاهم . قال ابنُ جُعْدُبة ، راوى الخبر : فقلت لكاتب ابن حزم : زعموا أنه كتب إليه : أن أحصِهم ، فقال : يا ابنَ أخى ، عليها – والله – نقطةٌ ، إن شئتَ أريتُكَها . قال : وقال الأصمعى : عليها نُقطةٌ مثلُ سُهَيل [١] .

كما أننا لم ننس ذلك التصحيف المنكَر ، فى كلمة « الصِّلِّيان » [٢] التى تحوَّلت إلى « الصُّلْبان » وبنى عليها ذلك التالفُ الخبيث تاريخا مزيَّفا ، ألصقه بأبى العلاء المعرّى ، ولم يحظَ من ذلك بطائل ، فقد قيَّض الله له مَن سامه سوءَ العذاب [٣] .

وقد عرَّف العلماء التصحيفَ والتحريفَ بتعريفات شتَّى ، أعدَلُها وأقربُها ما قيل من أن التصحيف : هو تغييرٌ فى نَقْط الحروف أو حركاتها ، مع بقاء صورة الخط ، كالذى تراه فى كلمات مثل : نَمَتْ ونِمْتُ ، ولَعَلَّهُ ، ولِعِلَّةٍ ، والعذل ، والعدل ، والعيب والعتب ، وعباس ، وعيّاش ، وحمزة وجمرة ، والثَّورىّ ، والتَّوَّزىّ .

---

(١) تصحيفات المحدثين ١/٧٢

(٢) الصليان ، بكسرتين ، مشددة اللام : نبت معروف .

(٣) التالف الخبيث هو الدكتور لويس عوض ، والذى سامه سوء العذاب هو شيخنا العلامة محمود محمد شاكر ، فى كتابه الفذ : أباطيل وأسمار .

والتحريف : هو العدول بالشئ عن جهته ، قال تعالى : ﴿ مِنَ الذين هادُوا يُحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه ﴾ [(١)] وقال : ﴿ وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلامَ الله ثم يحرِّفونه من بعد ما عَقَلوه وهم يعلمون ﴾ [(٢)] .

والتحريف قد يكون بالزيادة فى الكلام ، أو النَّقصِ منه ، وقد يكون بتبديل بعض كلماته ، وقد يكون بحمله على غير المراد منه ، فهو بكل هذه التعريفات أعمُّ من التصحيف . وبعض القدماء لا يفرّق بين التصحيف والتحريف ، يجعلهما مترادفَيْن [(٣)] .

والمأخذ اللغوىّ لمصطلح التصحيف يرجع إلى الأخذ عن الصحف ، دون التلقِّى من أفواه المشايخ . يقول أبو أحمدَ العسكرىّ : « فأمّا معنى قولهم : « الصُّحُفىّ والتصحيف » فقد قال الخليل : إن الصُّحُفىَّ الذى يروى الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف ، وقال غيره : أصل هذا أنَّ قوماً كانوا قد أخذوا العلمَ عن الصحف ، من غير أن يلقَوْا فيه العلماء ، فكان يقع فيما يَرْوُونه التغيير ، فيقال عنده : قد صَحَّفوا ، أىْ ردَّدُوه عن الصحف ، وهم مصحِّفون ، والمصدر : التصحيف » [(٤)] .

وقد شدّد العلماءُ فى ضرورة التلقِّى والمشافهة ، وعدمِ التعويلِ على الصُّحُف :

رُوِى عن سليمانَ بنِ موسى الدمشقىّ الأَشْدَق - وكان صدوقاً

---

(١) سورة النساء ٤٦

(٢) سورة البقرة ٧٥

(٣) راجع الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث ص ١٧٢ ، ومقدمة تحقيق تصحيفات المحدثين ص ٣٩ ، وتحقيق النصوص ونشرها ص ٦٠

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٣

فقيها – قال : « كان يقال : لا تأخذوا القرآن من المُصْحفِيِّين ، ولا العلمَ من الصَّحفيِّين » (١) .

ورُوى عن عِمرانَ بنِ الحصين ، رضى الله عنه ، أنه قال : سمعت النبيِّ ﷺ يقول : « الحياءُ لا يأتى إلاَّ بخير » ، قال : فقال بُشَير بن كعبٍ العدوىّ : إنّ فى « الحكمة » أنَّ منه ضعفاً . فقال عِمران : أحدِّثك عن رسول الله ﷺ ، وتُحدِّثنى عن الصُّحُف » (٢) . وقوله : « مكتوبٌ فى الحكمة » يعنى الإنجيل .

وكان الحافظ أبو الحجَّاج المزِّىُّ ، إذا تغرَّب عليه أحدٌ برواية شيءٍ مما يذكره بعضُ الشُّرَّاح ، على خلاف المَشهور عنده يقول : « هذا من التصحيف الذى لم يقف صاحبُه إلاَّ على مجرَّد الصُّحف ، والأخذِ منها » (٣) . وقال قائلهم :

من يأخذِ العِلمَ عن شيخٍ مشافهةً ... يكن عن الزَّيف والتصحيف فى حَرَمِ
ومن يكن آخذاً للعِلم عن صُحُفٍ ... فعلمُه عند أهل العلـم كالعـدمِ

وقد مدحوا من يحترس من التصحيف ، ويتصوَّن منه ، كالذى قاله أبو نواس ، فى مدح خلفٍ الأحمر :

لا يَهِمُ الحاءَ فى القراءة بالخاء ولا لامَها مع الألِفة .

وقال فيه أيضاً ، يرثيه :

أوْدَى جِماعُ العِلْم مذ أوْدَى خلَفْ ... راويةٌ لا يجتنى من الصُّحُفْ (٤)

---

(١) تصحيفات المحدّثين ٦/١

(٢) تصحيفات المحدِّثين ٨/١

(٣) الباعث الحثيث ص ١٧٤

(٤) تصحيفات المحدثين ٢٠/١ وانظر ديوان أبى نواس ص ٥٧٦ ، ٥٧٧

وهجا شاعرٌ أبا حاتم السِّجستانىّ ، بضِدِّ هذا ، فقال :

إذا أسند القومُ أخبارَهمْ فإسنادهُ الصُّحْفُ والهاجِسُ (١)

وقد تنبَّه العلماء من قديم ، إلى خطورة التصحيف ، فيقول الزمخشرىّ : « التصحيف قُفْلٌ ضَلَّ مِفتاحُه » (٢) ، واصطنعوا وسائلَ شتَّى لصون الكلام منه ، ويأتى فى مقدِّمة هذه الوسائل ضرورةُ التقييد والضبطِ والإعجام . يقول الإمام الأوزاعىّ :

نورُ الكتاب إعجامه (٣)

ولهم فى الضبط طريقتان : الأولى ضبطُ القلم ، كأن يُكتَبَ على المفتوح فتحة ، وعلى المرفوع ضمة ، وتحت المجرور كسرة ، فإذا كان فى الحرف ضبطان رسَمُوهما ، وكتبوا بحرفٍ صغير كلمة « معاً » ، وأمعن بعضُهم فى الدقّة ، فرسم تحت الحاء المهملة حاءً صغيرة ، وتحت الدال المهملة نقطةً ، وتحت السين المهملة ثلاث نقط ، وفوق الحرف المخفَّف كلمة : « خِف » ، إلى آخر هذه المصطلحات التى يعرفها من أدام النظرَ فى المخطوطات القديمة (٤) .

والطريقة الثانية : ضبط العبارة ، وهو أن يصفَ الكاتبُ حروفَ

---

(١) المرجع السابق ص ٢١ ، وانظر أيضا : محاضرات الأدباء ٦٣/١ ، ففيه كثيرٌ من غرائب التصحيف ومُنكَرِه وطريفه .

(٢) ربيع الأبرار ٦٣٤/١ (باب الجهل والنقص والخطأ والتصحيف والتحريف واللحن) .

(٣) انظر شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٤ ــ ١٦ ، وتدريب الراوى ٦٨/٢

(٤) انظر مقدمة تحقيق تصحيفات المحدثين وحاشيته ص ٣٦

الكلمة التى هى مظِنَّةُ التصحيف ، بما ينفى عنها الاشتباه بأخواتها التى تتفق معها فى الرسم ، فيقول مثلا ، فى « العتب » : بالعين المهملة والتاء الفوقية والباء الموحَّدة ، وبذلك لا تتصحَّف بكلمة « الغيث » . وهذه الطريقة أدقُّ ضبطا ، وأقوم سبيلا ، إذ كان الضبط بالقلم عُرْضةً للمحو أو التغيير .

ومما يُحكَى عن طرائقهم فى الضبط بالعبارة أنّ فى الرُّواة التابعين الثِّقات رجلين ، أحدهما « أبو الحوراء – بحاء مهملة وراء – واسمه ربيعة بن شيبان السَّعدىّ ، وثانيهما : أبو الجوزاء ، بالجيم والزاى ، واسمه أوس بن عبد الله الرَّبعىّ » ، قال الحافظ السُّيوطىّ : « ذكر أبو علىّ الغَسَّانىّ أن عبدَ الله ابنَ إدريس قال : لمّا حدَّثنى شعبةُ بحديث أبى الحوراء ، عن الحسن بن على رضى الله عنهما ، كتب تحته : حُورٌ عِين » لئلاَّ أغلَطَ فأقرأَه : أبو الجوزاء ، بالجيم والزاى » [١] ، وهذا من أطرف وسائل أمن التصحيف .

ومما يتصل بهذه الوسائل : أنهم كانوا يلجئون إلى مخالفة المعروف فى اللغة ؛ ليتوَقَّوْا وقوعَ غيرهم فى التصحيف والخطأ . قال أبو نصر الجوهرىّ : « السَّعْترَ : نبت ، وبعضهم يكتبه بالصاد ، فى كتب الطبّ ؛ لئلاّ يلتبسَ بالشَّعير » [٢] .

ومن ذلك أيضا أنهم كانوا يشرحون الكلمة الواضحة الظاهرة ؛ لا لخفاء معناها ، ولكن لأنها مظنّةُ تصحيف . جاء فى النهاية فى غريب الحديث والأثر : « فى حديث عمر رضى الله عنه : أن امرأةً نشَزَت على

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢

(٢) الصحاح ص ٦٨٥ ، وتحقيق النصوص ونشرها ص ٦٥

زوجها فحبسها فى بيت الزِّبْل » قال ابن الأثير : « هو بالكسر : السِّرْجين ، وبالفتح : مصدر زبلتُ الأرضَ : إذا أصلحتَها بالزِّبل » قال : « وإنما ذكرنا هذه اللفظة مع ظهورها ؛ لئلاّ تُصحَّفَ بغيرها ، فإنها بمكانٍ من الاشتباه »[١] .

وكان الغالب عليهم ، أن يتدخَّلوا فى أثناء الكلام ، أو عقبه ، بتقييد ، ينفى عن الكلمة التصحيف ، ومن ذلك ما ذكره ابن السبكى ، فى ترجمة أبى القاسم بن السمرقندى ، قال : « قال أبو شجاع عمر البسطامى : أبو القاسم إسناد خراسان كلّه والعراق – وإسناد بنون – يعنى مسنِدَه » طبقات الشافعية ٤٦/٧ ، وواضح أن مظنة تصحيف « إسناد » هى « أستَاذ » .

وواضحٌ ـــ إن شاء الله ـــ أن العناية بالضبط والإعجام ، وضرورةَ الرواية والإسنادِ والتلقِّى عن العلماء ، وعدمَ التعويل على الأخذ من الصحف ، كل ذلك مصروفٌ إلى علماء الحديث ، فهم الذين أصَّلُوا هذا العِلمَ الشريف ، وشادوا بنيانه وبيَّنوا رسومَه ، وإن علماءَ الأدب واللغة ، وسائرِ فنونِ التراث مدينون لعلماء الحديث بأصول ذلك المنهج المحكم فى القبول والردّ ، والتصحيح والتضعيف .

وأيضاً فإنّ علماءَ الحديث حين تصدَّوْا لظاهرة التصحيف فى المتون والأسانيد قد أخذوا العلماءَ أخذاً ، إلى أن يتنبَّهوا لهذه الظاهرة فيما انتهى إليهم من كلام العرب ، وأن يدوِّنوا ما وقع إليهم من مظاهر التصحيف ، فى أثناء تصانيفهم ، وأن يفردوا لذلك تصانيف ، ومن أقدم من ألَّف فى التصحيف حمزةُ بن الحسن الأصفهانىّ ، المتوفى سنة ستين وثلاثمائة ، وكان

---

(١) النهاية ٢٩٤/٢

مؤرِّخا أديبا ، ألّف كتاباً فى ذلك سمّاه : التنبيه على حدوث التصحيف . ومن الطريف أن هذا العنوان جاء مصحَّفاً فى فهرست ابن النديم ، هكذا : التنبيه على حروف المصحف » [١] .

وجاء بعده أبو أحمد الحسن بنُ عبد الله بنِ سعيد العسكرىّ ، المتوفى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، وألف فى ذلك كتابين : أولهما : شرح ما يقع فيه التصحيفُ والتحريف ، أثنى عليه ابنُ خلّكان ، بقوله : « جمع فيه فأوعب » [٢] . والكتاب الثانى : تصحيفات المحدِّثين .

ومما يصحّ أن يُجعل بين كتب التصحيف والتحريف ، كتاب « التنبيهات على أغاليط الرواة » لعلى بن حمزة البصرىّ ، المتوفى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، وإن كان لم يسمِّ كتابه بما يدلّ على ذلك [٣] .

ونستطيع أن نقول مطمئنِّين : إن العلماء قد حاصروا ظاهرةَ التصحيف ، فى الأعلام والأنساب والبُلدان ، حصاراً يوشك أن يكون تاماً ، وذلك بما صنَّفوه من كتب المشتبه ، والمؤتلف والمختلف ، والمتفق والمفترق [٤] .

---

(١) الفهرست ص ١٥٤ ، ومقدمة تحقيقه ص ١٥ ، طبعة طهران ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ ، والأعلام ٢٧٧/٢

(٢) وفيات الأعيان ٨٣/٢

(٣) تحقيق النصوص ونشرها ص ٦٤

(٤) ومن أشهر المصنَّفات فى ذلك : تقييد المهمل وتمييز المشكل ، لأبى علىّ الغَسَّانىّ الجَيَّانى ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ، وما اتفق لفظه واختلف مسماه ، فى الأماكن والبلدان المشتبهة فى الخط ، وعجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب ، كلاهما لأبى بكر الحازمى ، والأنساب لأبى سعد السمعانى ، والإكمال لابن ماكولا ، والمشترك وضعا والمفترق صُقْعا لياقوت الحموى ، والمشتبه فى الأسماء والأنساب للذهبى ، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، لابن حجر العسقلانى ، وتحفة ذوى الأرب فى مشكل الأسماء والنسب ، لابن خطيب الدهشة .=

وقد أورد المصنِّفون فى التصحيف والتحريف ، جملةً من أخبار المصحِّفين ، وبعضَ ما وهم فيه العلماء . على أن بعض ما أوردوه ينبغى أن يؤخذ بشىء من الحذر والتوقُّف ؛ لصدوره عن أئمة أعلام ، عاشوا حياتهم فى رحاب هذه اللغة الكريمة ، أخذاً وعطاءً ، فلم ينصرفوا عنها إلاَّ إليها . ويؤنسنى فى ذلك حكاياتٌ ثلاث ، جمعتها من ثلاثة مصادر ، فى الحديث واللغة والأدب :

أولها : ما نُسب إلى عثمان بن أبى شيبة ، أنه قرأ : ﴿ جعل السفينة فى رِجل أخيه ﴾ والصواب : ﴿ جعل السِّقايةَ فى رَحْل أخيه ﴾ [(١)] ، وروى أنه قيل له : ﴿ فى رحل أخيه ﴾ فقال : « تحت الجيم واحدة » يعنى نقطة . وروى أيضا أنه قيل له : إنما هو : ﴿ جعل السِّقاية ﴾ ، فقال : « أنا وأخى أبو بكر : لا نقرأ لعاصم » . قال الحافظ الذهبى : « فكأنه كان صاحب دعابة ، ولعله تاب وأناب » [(٢)] . وقال الحافظ ابن كثير : « وما ينقله كثيرٌ من الناس ، عن عثمان بن أبى شيبة ، أنه كان يصحِّف قراءة القرآن ، فغريبٌ جداً ؛ لأنّ له كتابا فى التفسير ، وقد نُقِل عنه أشياءُ لا تصدرُ عن صبيان المكاتب » [(٣)] .

والحكاية الثانية ، جاءت فى كتاب الخصائص (باب فى سقطات العلماء) : « حُكِى عن الأصمعىّ أنه صحَّف قولَ الحطيئة :

وغررتنى وزعمت أنك لابنٌ فى الصيف تامِرْ

فأنشده :

= وأفاد من كثير من ذلك العلاَّمة المرتضى الزبيدى ، فى كتابه العظيم : تاج العروس . وانظر مقدمة تحقيق ذيل مشتبه النسبة ، لابن رافع . للدكتور صلاح الدين المنجد .

(١) سورة يوسف ٧٠ ، وانظر القصة فى تصحيفات المحدثين ٢٧/١

(٢) ميزان الاعتدال ٣٨/٣

(٣) الباعث الحثيث ص ١٧١

لا تنى بالضيف تامِرْ

أى تأمر بإنزاله وإكرامه » .

يقول أبو الفتح بنُ جنىّ : وتبعُدُ هذه الحكايةُ فى نفسى ؛ لفضل الأصمعىّ وعلوِّه ، غير أنى رأيت أصحابَنا على القديم يُسْنِدونها إليه ، ويحملونها عليه » (١) .

والثالثة : ما ذكره الجاحظ ، فى البيان والتبيين ، قال : « قال محمد ابن سلام : قال يونس بن حبيب : ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ » (٢) .

قال شيخنا الجليل عبد السلام هارون ، حفظه الله : « جاء فى حاشية قديمة من إحدى نسخه ـــ يعنى البيان ـــ تعليقاً على ذلك : « هذا ممّا صحَّفه الجاحظ ، وأخطأ فيه ؛ لأن يونس إنما قال : « عن البَتِّى » وهو عثمان البَتِّى ، فلما لم يذكر « عثمان » التبس البَتِّى ، فصحَّفه الجاحظ بالنبىّ ، ثم جعل مكان « النبى » : الرسول ، وكان البتّىّ من الفصحاء » (٣) .

وهذا الذى نقله شيخنا من حاشية إحدى نُسَخ « البيان » حكاه حمزةُ بن الحسن الأصفهانىّ ، سماعاً من ابن دُرَيد ، قال فى كتابه : التنبيه على حدوث التصحيف : « سمعت ابن دريد يقول : وجدت للجاحظ فى كتاب « البيان » تصحيفاً شنيعا ، فى الموضع الذى يقول فيه : حدثنى محمد بن سلام الجمحى ، قال : سمعت يونس يقول : ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ، ما جاءنا عن النبى ﷺ وإنما هو : « عن البَتّىّ » ، أى عن عثمان البَتىِّ ، فأما النبىّ ﷺ ، فلا شكّ

---

(١) الخصائص ٣٨٢/٣ ، وقوله : « لابنٌ تامر » أى كثير اللبن والتمر . شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٥

(٢) البيان والتبيين ١٨/٢

(٣) تحقيق النصوص ونشرها ص ٦٣ ، والبيان والتبيين ٣٩٤/٤

عند المِلّىّ والذّمّىّ أنه كان أفصحَ الخلق »[١] .

وذكَر مثل هذا أيضا أبو أحمد العسكرىّ ، لكنه قال فى صدر الخبر : « سمعت من يحكى عن ابن دريد ــ ولم أسمع هذه الحكايةَ منه »[٢] .

وقد نقل هذه الحكايةَ صلاحُ الدين الصفدى ، عن حمزة الأصبهانىّ ، ثم قال معقِّباً : « قلت : وقد قلَّده ــ أى حمزة ــ جماعةٌ من علماء الأدب ، كالآبىّ[٣] وغيره ، وهذا فيه بُعْدٌ كبير على الجاحظ ، وهو ماهرٌ فى الأدب وغيره ، ولا يجوز أن يقع الجاحظ فى مثل ذلك لوجوه : الأول : أنه لا يخفى هذا على من هو دونه . الثانى : لعله قال : « البَتّىّ » بالباء والتاء ، وإنما الناسخ هو الذى حرَّف ذلك ، وصحَّفه بالنبىّ ، بالنون والباء ، وما رأى ذِكرَ النبىّ دون أن يقول : ﷺ ، على عادة النُّسّاخ . الثالث : أن الجاحظ قال : سمعت يونس يقول ، فهو نقله عنه سماعاً من لفظه ، والسَّماعُ لا يقع فيه التصحيف ، ولئن كان الأمر كذلك فينبغى أن يغلَطَ يونس ، دون الجاحظ »[٤] . انتهى كلام الصفدى ، وفيه أن الجاحظ سمع العبارة من يونس ، والذى فى الحكاية أن محمد بن سلام هو الذى سمع يونس .

على أن الشكَّ يكتنف هذه الحكايةَ من جوانبَ كثيرة ، فهى لم تنقل إلاَّ عن ابن دُرَيد ، وفيه مقال ، وكلمة أبى منصور الأزهرىِّ فيه

---

(١) التنبيه على حدوث التصحيف ص ٩١ ، ٩٢

(٢) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ٩٠

(٣) هو أبو سعد منصور بن الحسين الرازى الآبى ، من العلماء بالأدب والتاريخ ، وهو صاحب كتاب « نثر الدرر » ، توفى سنة ٤٢١ هـ . الأعلام ٢٩٨/٧

(٤) الغيث المسجم فى شرح لامية العجم ١٤٦/٢

معروفة ، وفيها يقول : « فسألت إبراهيم بن محمد بن عرفة ، الملقَّبَ بنفطويه عنه ، فاستخفّ به ، ولم يوثِّقه فى روايته » [(١)] .

والجاحظ إنما ذكر هذه العبارة ، فى سياق الحديث عن فصاحة النبى ﷺ ، وأن كلامه عليه السلام قد جَلَّ عن الصنعة ، ونُزِّه عن التكلُّف ، وأنه مما لم يسبقه إليه عربىّ ، ولا شاركه فيه أعجمىّ [(٢)] .

وأيضا فإن قول يونس : « ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن البَتىّ » إن كان هذا حقَّ روايته ـــ يدلّ على أن عثمان البتّىَّ هذا من أرباب الفصاحة والبيان واللَّسَن ، بل إنه من مقدَّميهم والمشهورين منهم ، ورجلٌ هذه صفتُه لا بُدَّ أن يشتهر ذِكرهُ ويأخذَ مكانه فى فنّ القول ، وتمتلئَ كتبُ الأدب بآيات فصاحته وأقواله المأثورة ، وأنت لا تكاد تظفر بشىء من ذلك عن الرجل فى كتب الأدب وتراجم الأدباء ، وقد التمست ترجمته ، فلم أجد إلاَّ أنه كان محدِّثاً وصاحبَ رأى وفقه [(٣)] . والذى وصفه بالفصاحة هو الأصمعىُّ وحده ، وذلك قوله : « كان عثمانُ البتّىُّ نحويا ، وكان يسمىَّ عثمانَ العربىَّ ، من فصاحته » [(٤)] ولم يأت هذا فى ترجمته ، وإنما حكاه أبو أحمدَ العسكرى بعد ذكر الحكاية السابقة .

ومهما يكن من أمر ، فلعلَّ فى هذه الشُّكوك من ابن جنى ، وابن كثير ، والصفدى ، فى تلك الأخبار الثلاثة ، ما يقودنا إلى افتراض أن بعض

---

(١) تهذيب اللغة ٣١/١

(٢) البيان والتبيين ١٥/٢ ـــ ٣٩

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤٨/٦ ، وانظر المراجع بحاشيته . والأنساب ٨٢/٢

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف ، الموضع السابق . وقد ترجم القفطى لعثمان البتى ، ترجمة منتزعة من شرح ما يقع فيه التصحيف ، ولم يزد على ما ذكره العسكرى شيئا . إنباه الرواة ٣٤٣/٢ ، ٣٤٤

صور التصحيف ، إنما هى من توليد واختراع بعض الأدباء واللغويين ، الذين لديهم القدرة على تشقيقِ الكلام ، وتحليل أجزائه ، وإعادة تركيبه والتلاعب به ؛ إظهاراً لمهارة ، أو استخراجاً لضحك ، أو تشنيعاً بمن تُنْسَبُ إليه . ويُؤْنِسُ لهذا أمران : أحدهما أن بعض صور التصحيف اقترنت بعبارة « تصحيفات أضحكت من قائليها ، أو أزرَتْ بهم » والثانى : أن بعض صور التصحيف اصطُنِعت اصطِناعاً ، وأُلْغِزَ ببعضها إلغازا ، وقد عُرِف هذا قديماً ، كالذى روى أن إبراهيم بن المهدىّ المتوفى سنة أربع وعشرين ومائتين ــ وهو أخو الخليفة هارونَ الرشيد ، كتب إلى إسحاقَ بن إبراهيمَ النديم : « أىُّ شىء تصحيف : « لا ترتجَّ مثلَ الأسِنَّة » ؟ فكتب : « لا يرثُ جميلٌ إلاّ بثينة » [١] . وهذه الرواية ــ إن صحَّتْ ــ تمثِّلُ نمطاً غريبا فى ظاهرة التصحيف ، وهو مبنىٌّ على اعتبار حروف جملة « لا ترتج مِثْلَ الأسنّة » حروف كلمةٍ واحدة موصولة ، إذا أفرِدتْ حَرْفاً حَرفاً ، مع إهمال النَّقْط ، آلت إلى حروف جملة « لا يرث جميلٌ إلاَّ بثينة » وللتوضيح : فإن الجيم فى آخر « ترتجّ » إذا وصلت بكلمة « مثل » بعد تجريدها من النُّقَط ، أمكن أن تكون « جميل » .

وهذا من غير شك ، تلاعبٌ بالحروف ، إظهاراً للمهارة ليس غير ، وهو يشبه اللعبَ بأجزاء الكلام ، من مثل : عادات السادات سادات العادات [٢] ، ودام عُلا العماد ، وهو أيضا لا يمثِّلُ تصحيفاً ممكنَ الحدوث

---

(١) الغيث المسجم ١٤٥/٢ ، وسيأتى هذا التصحيف مرة أخرى .

(٢) وهو الذى يسميه علماء البديع : العكس .

فيما يقرأ الناس ، وفيما يكتبون [١] .

وقد شاع هذا النمط من التصحيف ، فى كتب المتأخرين ، من أمثال صلاح الدين الصفدىّ ، والأبشيهى ، وابن حِجّة الحموى ، والعاملى . فمن ذلك ما أورده الصفدىُّ : أن سائلا سأل آخر : ما تصحيف : نصحتُ فضِعت ؟ فقال : تصحيفٌ صعب . وهذه هى الإجابة ، فإن حروفَ هذه هى حروفُ تلك ، مع التجريد من النقط ، وأشدُّ من ذلك ما ذكره من أن بعضهم سأل شاباً ذكياً : ما تصحيف بلنسية ؟ فأطرق ساعة ، ثم قال : أربعة أشهر ، فقال له : وأىُّ نسبةٍ بين أربعة أشهر وبين بلنسية ؟ فقال : إن لم يكن فى اللفظ فهو فى المعنى . ثم قام وهو يقول : هو ذاك . فتنبَّه بعضُ الحاضرين بعد حين ، ونظر فإذا أربعة أشهر ثلثُ سنة ، وهو تصحيف بلنسية [٢] .

---

(١) وأشير هنا إلى أن بعض صور التصحيف تصطنع اصطناعاً أيضاً ؛ لتغيير كلام غير مستقيم ، أو مرفوضٍ فى موازين الأخلاق والطباع السويَّة . ومن ذلك ما لجأ إليه بعضهم من تغيير : « اتق شرَّ من أحسنت إليه » ؛ لتصير : « أَبْقِ سرَّ من أحسنت إليه » ، إذ كانت العبارة الأولى داعية إلى تبغيض الإحسان إلى الناس ، وتنفيرهم منه ؛ لأنه مَجْلَبةٌ للشرّ والأذى ، على حين تدعو الثانية إلى الإحسان ، وعدم تكديره بالمنّ والإعلان عنه ، تمشياً مع الحديث الشريف الذى يذكر من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله : « ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

وهذا القول : « اتق شر من أحسنت إليه » ليس من الحديث الشريف فى شئ ، كما يظنّ بعض الناس . قال الحافظ السخاويُّ عنه : « لا أعرفه ، ويشبه ن يكون من كلام بعض السَّلف ، وليس على إطلاقه ، بل هو محمول على اللئام غير الكرام » . إلى آخر ما قال . المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ص ٢٠

وذكره الميدانى فى مجمع الأمثال ١/١٤٥ (باب التاء) ، وقال : « هذا قريبٌ من قولهم : « سَمِّنْ كلبك يأكُلْك » . ولم يذكر أحديث هو أم حكمة من حكم العرب وأقوالها . ويروى : « اتق شرَّ من تُحسِن إليه » . ريحانه الألبّا ١/٣١٨

(٢) الغيث المسجم ٢/١٤٥ ، وثمرات الأوراق ص ٢٥

والآن : آخذ فى تجربتى الشخصية مع التصحيف ، وهى أمثلة شتّى وقفتُ عليها فى أثناء نسخى للمخطوطات ، وفيما قمت بتحقيقه ، وفيما قرأت من أعمال محققة ، أو نشرات تجارية لبعض كتب التراث ، وبعضها وقع لى سماعاً من العلماء المشتغلين بتحقيق النصوص . وقد حاولت أن أردَّ هذه التصحيفات إلى أسباب ، أعلِّل بها حدوث هذه الظاهرة ، على أن بعض هذه الأسباب قد تتداخل .

وأول هذه الأسباب وأقواها : تشابهُ رسم الحروف وتساويها عدداً ، مع إهمال النَّقْط ، فتتشبَّثُ العينُ بنطقٍ للكلمة أو الجملة ، لا تجد عنه مَصْرِفاَ ، ثم يحاول الكاتب أو القارىء أن يجد لما كتب أو نطق وجها ، وبعض الأمثلة من ذلكَ يبدو فيه وجه الخطأ أو الضعف واضحاً ، وبعضها يكون للكلمة المصحَّفة فيه وجهٌ قريبٌ من الكلمة الأصليّة . وكثير من أمثلة التصحيف يرجع إلى هذا السبب ، وأكتفى من ذلك بخمسة أمثلة موثقة :

الأول : ما رواه الحاكم والسُّيوطىّ ، أن بعضهم صحَّف حديث : « زُرْغِباًّ تَزْدَدْ حُباًّ » فقال : « زَرْعُنا تردَّدَ حِنّا » ثم فسَّره بأنَّ قوماً كانوا لا يؤَدُّون زكاةَ زروعهم ، فصارتْ كلُّها حِنّاء [١] .

والثانى : ذكره الحاكم أيضا ، قال : سمعت أحمد بنَ يحيى الذُّهلىَّ ، يقول : سمعت محمد بنَ عَبْدُوس المقرىء ، يقول : قصَدْنا شيخنا لنسمعَ منه ، وكان فى كتابه : أن رسولَ الله ﷺ قال : « آدَّهِنُوا غِباًّ » ، فقال : قال رسول الله ﷺ : آذهَبُوا عناًّ » [٢] .

---

(١) معرفة علوم الحديث ص ١٤٨ ، وتدريب الراوى ١٩٤/٢

(٢) معرفة علوم الحديث ص ١٤٧ ، وتصحيفات المحدِّثين ٣٦٠/١

والثالث : أورده أبو أحمد العسكرىّ ، قال : « أخبرنا ابنُ دريد ، أنبأنا أبو حاتم السجستانىّ ، قال : ذُكر شهرُ بن حَوْشَب عند ابن عون ، فقال : ذاك رجلٌ نَزَكُوه ، يعنى طعنوا فيه ، كأنهم ضربوه بالنيازك — وهى الرِّماح القصار — قال : فصحَّف أصحابُ الحديث ، وقالوا : ذاك رجلٌ تركوه » [١] .

والرابع : ذكره أبو أحمد العسكرىّ أيضا ، بإسناده ، قال : « أخبرنا ابنُ عمار ، حدَّثنا ابن أبى سعد ، عن زكريا بن مهران ، قال : صحَّف بعضهم قوله — يعنى عمرَ بنَ الخطاب رضى الله عنه — : « لا يُوَرَّثُ حَمِيلٌ إلاَّ ببيّنة » فقال : « لا يرث جميلٌ إلاَّ بثينة » . والحميل : ما يُحْمَلُ من بلاد الروم وغيرها ، من السَّبْى ، وهم صِغار ، فيدَّعى بعضُهم أنساب بعض ، فلا يُقْبَل ذلك منهم إلاّ ببيّنة [٢] » .

والمثال الخامس : أورده ابن الأثير ، فى النهاية ، قال : « فى حديث ابن عمر ، قال : سُرِقَتْ عَيْبةٌ لى [٣] ، ومعنا رجلٌ يُتَّهم ، فاستعديتُ عليه عمر ، وقلت : لقد أردت أن آتىَ به مصفودا . فقال : تأتينى به مصفوداً تُعَتْرِسُه » ! أى تقهره من غير حكم أوجب ذلك » والعَتْرسَةُ : الأَخْذُ بالجفاء والغِلْظة . قال ابن الأثير : « ويروى : تأتينى به بغير بَيِّنة » ، وقيل : إنه تصحيف تُعَتْرِسُه » [٤] .

---

(١) تصحيفات المحدثين ١/٤٠ ، وانظر تهذيب التهذيب ٤/٣٧٠
(٢) تصحيفات المحدِّثين ١/٦٢ — ٦٤ ، وقد سبق هذا التصحيف فى قصة أخرى .
(٣) العيبة : ما يُجعَل فيه الثياب .
(٤) النهاية ٣/١٧٨ ، وتصحيفات المحدثين ١/٤٢ ، وغريب الحديث للخطابى ١/٥٨

قلت : وهذا المثال ، والمثال الثالث مَمّا تقرب به الكلمة المصحَّفة من الكلمة الأصليّة فى المعنى والسِّياق .

ثانيا : اختلاف الخط العربىّ ، بين مشرقىّ ومغربىّ ؛ فإن من المعلوم أن للخطِّ المغربىّ طريقةً فى الكتابة ، تختلف عن الخطّ المشرقىّ ، اختلافاً بيِّنا [١] ، كنقط القاف بنقطة واحدة من فوق ، والفاء بنقطة واحدة من تحت ، فإذا نسخ ناسخٌ مشرقىّ كتاباً بخطٍّ مغربىّ ، وهو يجهل رسومه ، كان ذلك مظنّة تصحيف ، فهو إذا رأى فى المكتوب « سَقر » أثبتها : سَفَر ولذلك يوصى علماء المخطوطات بالحذر والتنبّه للمؤلفات الأندلسية أو المغربية المكتوبة بخطٍّ مشرقى .

ثالثا : عدم المعرفة بلغات القبائل : ومنه ما جاء فى حديث قَيْلة بنتِ مَخْرمةَ العنبريَّة التميمية ، قالت : « ثم انطلقتُ إلى أختٍ لى ناكحٍ فى بنى شيبان ، أبتغى الصحابةَ إلى رسول الله ﷺ ، فبينما أنا عندها ليلةً تحسَبُ عنىِّ نائمةٌ إذ دخل زوجُها من السَّامر » . قولها : « تحسَبُ عنِّى نائمة » تريد : تحسَبُ أنى نائمة . على لغة تميم ، فى إبدالهم العينَ من الهمزة ، وهى العَنْعَنة ، كما هو معروف . قال ابن الأثير : « ورواه بعضُهم : تحسب عينى نائمة ، والأول أحفظ وأشهر » [٢] .

قلت : يترجَّح عندى أن هذا تصحيف ، وليس رواية ، فقد جهل الراوى أو الناسخُ هذه اللغة ، فأثبت ما هو مألوف لديه ، ويؤنس لهذا : أن صَاحبةَ الحديث تميمية ، وأن هذه اللغة قد جاءت فى موضع آخرَ من

---

(١) انظر رسوم الخط المغربى فيما سبق ص ٢٠٠

(٢) منال الطالب ص ٩٦

الحديث نفسِهِ ، وذلك قولُ حُرَيث بن حسَّانَ الشَّيْبانى ، رفيق قيلةَ فى الصحبة إلى رسول الله ﷺ ، قال : « لا جَرَمَ عنِّى أُشهد رسولَ الله أنِّى لك أخٌ وصاحبٌ ما حييت [(١)] » ، ولعلَّ بعضاً من روايات الشِّعر إنما هى تصحيفات ، التمَسَ لها الشُّرَّاحُ وجْهاً من العربية .

رابعا : قُرْبُ الحروف وبُعْدُها فى الكلمة الواحدة ، أو الكلمتين ، فتهجُمُ العينُ على الكلمتين ، فتقرأهما كلمةً واحدة ، أو تلتقطُ جزءا من الكلمة الواحدة فتقرأُه كلمةً مستقلّة .

فمثال قراءة الكلمتين كلمةً واحدة ، ما ذكره أبو أحمد العسكرىُّ ، قال : « وروى أحمد بن موسى بن إسحاق الأنصارىّ ، قاضى أصبهان ، وقد سمعت منه الحديث ، ولم أحضُر هذا المجلس ، وسمعت بعض شيوخ أصبهان يحكونه ، أنه قال : حدَّثنى فلان ، عن هِنْدانَ المعتوه ، يريد : عن هِنْدٍ ، أنّ المغيرة » [(٢)] .

ومن ذلك ما أخذه الأستاذ السيد أحمد صقر ، علَى المستشرق دى غوية ، وعلَى الشيخ أحمد محمد شاكر ، فى تحقيقهما للشعر والشعراء لابن قتيبة ، حيث أثبتا بيت امرىء القيس ، هكذا :

على ظهر عادىٍّ تُحارِبُهُ القطا   إذا سافَه العَوْدُ الديافىُّ جَرجْرا

قال الأستاذ السيد صقر :

« هكذا ضبطه دى غوية « تُحارِبُه القطا » وتبعه الأستاذ ، وهو خطأ . ولست أدرى ما الذى صنعه العادى ـــ وهو الطريق القديم ـــ مع القطا حتى تحاربه ؟ والصواب : « على ظهر عادىّ تَحارُ بِهِ القطا » . « وتَحارُ بِهِ

---

(١) المرجع السابق ص ٩١

(٢) تصحيفات المحدثين ١/١٧

القطا » تعبير شائع فى الشعر القديم » انظر الشعر والشعراء ص ١٠ ــ دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م .

ومن قراءة الكلمة الواحدة كلميتن ، ما ذكره ابن الأثير ، فى النهاية ، فى أثناء مادة (جدل) ، وتفسير كلمة « الجديلة » ، قال : « ومنه قول مجاهد ، فى تفسير قوله تعالى : ﴿ قل كلٌّ يعمل على شاكِلتِه ﴾ [(١)] ، قال : « على جَدِيلته » أى طريقته وناحيته . قال شَمر : ما رأيت تصحيفاً أشبَهَ بالصواب ، مما قرأ مالكُ بنُ سليمان ؛ فإنه صحَّف قولَه : « على جديلته » فقال : على حَدِّيليه » [(٢)] .

ومن ذلك أيضاً ما نسبه صاحبُ القاموس إلى الفَرّاء ، قال : « والجَرُّ : أصلُ الجبل ، أو هو تصحيف للفرّاءِ ، والصواب : الجُراصِل ، كعُلابط : الجبل » [(٣)] هذا كلام صاحب القاموس ، وتعقَّبه شارحه المرتضى الزَّبيدىّ ، فَقال : والعجبُ من المصنّف ؛ حيث لم يذكر « الجُراصِل » فى كتابه هذا ، بل ولا تعرَّض له أحدٌ من أئمة الغريب ، فإذن لا تصحيف ، كما لا يخفى » [(٤)] .

ومنه ما جاء فى بعض الكتب المحققة ، نقلا عن أمالى ابن الشجرى .
قال ابن الشجرى : « رُوى عن أبى أحمد عبد السلام بن حسين البصرى ، أنه قال : كتب إلىَّ شيخُنا أبو القاسم الحسنُ بنُ بشر بنِ يحيى الآمدىّ رقعةً نسختها : أريدُ ــ قُدِّمْتُ قبلك ــ أن تسأل القاضىَ أبا سعيد ــ أدام اللهُ عزَّه ــ عماّ أنا ذاكره » [(٥)] . وهكذا العبارة : « قُدِّمْتُ قبلَك » وهى من

---

(١) سورة الإسراء ٨٤
(٢) النهاية ٢٤٨/١
(٣) القاموس المحيط (جرر) ، وانظر من قبله : الخصائص ٢٨٣/٣
(٤) تاج العروس ٩٥/٣
(٥) أمالى ابن الشجرى ٢١١/١ ، ٢١٢

أساليب الدعاء المعروفة ، لكنّ المحقّق ضبطها : « قَدْمِتُّ » فكسر الميم ثم باعد بينها وبين الدال ، فكان التصحيف .

ومن أطرف ما رأيته من ذلك التصحيف الناشئ عن قُرْب الحروف وبُعْدِها ، ما جاء فى كتابٍ محقّق ، قال : « وأنشدَ شِعْراً بيَّنَ سُكْرَه » بهذا الضبط الذى تسمعون ، وقد تأملت ذلك الكلامَ فلم أجده شيئا ، وإذا صحَّتُه : « وأنشد شِعْرَ ابنِ سُكَّرَة » بدليل أنه ذكر بعد هذا الكلام البيتين اللذين فيهما الكافاتُ السبعةُ المشهورة ، وهما لابن سُكَّرة ، الشاعرِ الخليع المعروف ، المتوفَّى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة . وأوّل بيتيه :

جاء الشتاء وعندى من حوائجه

وواضحٌ أن هذا التصحيف العجيب قد خفى صوابه على المحقّق تماماً ، فإنه قد أثبته مصحَّفاً فى طبعتين مختلفتين للكتاب ، إحداهما فى القاهرة ، والثانية فى بغداد .

خامساً : خِداع السَّمْع ، وهو التصحيف السَّمعىّ ، وأكثر ما يأتى هذا النوعُ من طريق الإملاء ، فقد جرت عادة كثيرٍ من المصنِّفين ـــ وخاصّةً الأوائلَ منهم ـــ أن يُمْلوا كتبَهم إملاءً على تلاميذهم ، وتتفاوت قُدراتُ هؤلاء التلاميذ ، فى التنبّه لِما يُمْلَى عليهم ، قوّةً وضعفا ، فقد يكتب أحدُهم شيئاً على غير وجهه ، نتيجةً لخداع السمع ، حين يخلط المهموسَ بالمجهور ، ونحوَ ذلك ، على أنَّ المملىَ نفسَه قد يكون فى الكلام غيرَ مبين ، فلا يفصِّل حروفه تفصيلا ، ولا يُراعى مخارجَ الحروف ، وإعطاءَ كلِّ حرفٍ حقَّه ومُستَحَقَّه ، كالهمس والجهر ، والتفخيم والترقيق ، كما يقول علماءُ التجويد .

ومن أمثلة التصحيف السّمعىّ ، ما رُوِى أن علىَّ بنَ الحسن الأحمر ، قال يوماً : يقال : حمراءة ، وبيضاءة ، فقال له الكسائىّ : ما سمعت هذا ! فقال الأحمر : بلى واللهِ ، سمعت أعرابيا يُنشِد ، يقال له : مزيد :

كأنَّ فى رِيقتهِ لمّا ابتسم بلقاءَةً فى الخيل عن طِفْلٍ مُتِمّْ

يعنى السَّحاب . فقال له الكسائىُّ : ويحك ! إنما هو :

بلقاءَ تنفى الخيلَ عن طِفْلٍ مُتِمّْ

تنفى : أى تَطْرُد [١] .

ومنه أيضا ، ما جاء فى حديثٍ عن عاصم الأحول ، رواه بعضهم ، فقال : عن واصل الأحدب ، فذكر الدارقطنىُّ أنه مِن تصحيف السَّمع ، لا من تصحيف البصر . قال ابنُ الصَّلاح : « كأنه ذهب ـــ والله أعلم ـــ إلى أن ذلك ممّا لا يشتبه ، من حيث الكتابة ، وإنما أخطأ فيه سَمْعُ من رواه » [٢] .

ومن أخطر أشكال هذا التصحيف السمعىّ ما يترتَّبُ عليه خلافٌ لغوىّ . فمن ذلك أنّ خلافهم فى « الضّرس » هل هو مذكر أو مؤنث ، نشأ عن خطأ فى السَّمع . ذكر أبو بكر بنُ الأنبارىّ ، قال « والضِّرسُ من الأسنان مذكّر ، وأخبرنا أبو العباس ، عن سلمة ، عن الفرّاء ، أنه قال : الأنياب والأضراسُ كلُّها ذُكْران ، وقال السِّجستانىّ : ربمّا أنَّثوه على معنى السِّنّ ، قال : وأنكر الأصمعىُّ تأنيثه ، قال : فأنشدْناه قولَ دُكَيْن الراجز :

ففُقِئتْ عينٌ وطَنَّتْ ضِرْسُ

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٧٦ ، والبَلَق : سوادٌ وبياض . يقال : فرسٌ أبلق ، وفرسٌ بلقاء .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص ١٤٢ (النوع الخامس والثلاثون) .

فقال : « إنما هو : « وطنّ الضِّرْسُ » فلم يفهمه الذى سمعه ، أخطأ سَمْعُه » [١] .

سادسا : خفاء معنى الكلمة عند الناسخ ، أو القارئ ، فيعدل بها إلى كلمة مأنُوسة ، تؤدِّى المعنى ، على وجهٍ يتمشَّى مع السِّياق .

ومن ذلك ما جاء فى حديث استسقاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بالعباس بن عبد المطلب ، رضى الله عنه ، قال عمر : « اللهمّ إنا نتقرَّب إليك بعمِّ نبيِّك وقَفِيّةِ آبائه ، وكُبْرِ رجاله » . قوله : « قفيّة آبائه » أى تَلْوُهم وتابِعُهم الذى يَقْفُوهم . وجاء فى بعض الكتب : « وبقيّة آبائه » وليس بشئ [٢] .

وجاء فى (باب فيما يُحكَم به القياس ممّا لا يسوغ به النطق) من كتاب الخصائص ، قال ابن جِنّي : « فاعرف مما ذكرناه حالَ الساكنَيْن حَشْواً ؛ فإنه موضعٌ مغفولٌ عنه ، وإنما يُسْفِر ويَضِحُ مع الاستقراء له ، والفحص عن حديثه [٣] » . وقوله : « يسفر ويضح » جاء فى نسخة واحدة من الخصائص ، وجاء فى ثلاث نُسَخٍ أخرى : « يصحّ ويستقرّ » وفى نسخة رابعة : « يستقرّ ويصحّ » ، فانظر إلى فطنة الشيخ محمد على النجار رحمه الله ، محققِ الكتاب ، كيف آثر قراءة نسخةٍ واحدة ، على قراءة أربع نسخ ؛ لأن « يُسْفِر ويضح » أشبَهُ بكلام ابنِ جنى من « يستقرّ ويصح » . وقد

---

(١) المذكر والمؤنث ص ٢١٤ ، واللسان (ضرس) . وانظر مثالاً آخر للتصحيف السمعىّ فى النهاية (نجد) ١٨/٥ : « أرأيتك النجدة » و : « أرأيت كالنجدة » .

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ١٨٢/٢ ، وغريب الحديث للخطابى ٢٤٣/٢ ، ومنال الطالب ص ٤٣٣ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٣٣٠/٢ ، وانظر التوسّل بالعباس رضى الله عنه ، فى مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٠/١ ، وكتابه : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٣٩٨

(٣) الخصائص ٤٩٧/٢ . وقوله : « يضح » هو مضارع « وضح » كما لا يخفى .

علَّمنى أحدُ شيوخى فى علم المخطوطات : أننى إذا وجدت فى نسختين من الكتاب ، كلمتين متساويتين فى الصحة ، إحداهما غريبة ، والثانية قريبة ، فإن علىَّ أن أختار الغريبة ؛ لأن الظنَّ بالناسخ أنه يعدلُ عن الغريب إلى القريب .

ومن ذلك ما جاء فى الخصائص أيضا ، فى (باب فى المستحيل ، وصحة قياس الفروع على فساد الأصول) ، قال ابن جنىّ : « والمسائل من هذا النَّجْر تمتدُّ وتنقاد [1] » . والنجر : الأصل ، والنجر : شكل الإنسان وهيئته . وجاء فى نسخة أخرى من الخصائص : « على هذا النحو » .

سابعا : الجهل بغريب كلام العرب . وأمثلة التصحيف فى هذا الباب لا تقع تحت حصر . وأجتزئ ببعض الأمثلة :

قرأت فى بعض الكتب ، فى ترجمة أحدهم : « أنه احتُضِرَ سنةَ كذا » واحتُضِر بالحاء المهملة ــ فى هذا الموضع ــ خطأ ، والصواب : « اختُضِر » بالخاء المعجمة ، يقال : اختُضِر الشابُّ : أى مات فتياً ، كأنه أُخِذ طرياً غضاً .

وقرأت فى بعض الكتب ، بيتَ فروةَ بن مُسَيك المرادىّ هكذا :

وما إن ظَنُّنَا جُبْنٌ ولكن ... منايانا ودولـةُ آخرينـا

« وظَنُّنا » خطأ ، والصواب : طِبُّنا » والطِّبُّ : الشَّأْنُ والعادة .

ورأيت فى ترجمة الخليل بن أحمد ، فى بعض الكتب هذا الخبر : « ورد الخليلُ بن أحمد ، إلى سليمانَ بنِ حبيب بنِ المهلَّب ، إلى الأهواز ، وكان صديقاً له ، فأقام عنده مدَّة ، فكتب رقعةً وانصرف ، فلم يجده عند

---

(١) الخصائص ٣/٣٤١

ظنِّه به ، فكتب رُقْعةً ، وكان فى الرقعة :

وَرَدَ العُفاةُ المعطشون فأصدروا ... رِياًّ وطاب لهم لديك المشرعُ

ووردت دونك طاميا متدفِّقاً ... فرَدَدْتَ دلوِىَ شَنُّها يتقعقعُ

وأراك تُمطِر جانباً عن جانبٍ ... وفضاءُ أرضَى من سمائك بلقعُ

ألِحُسْنِ منزلتى تؤخِّر حاجتى ... أم ليس لى فيه بخير مطمعُ

فأنفذ إليه مالاً فردَّه ، وقال : هيهات ، أفلتت فائتةٌ من فَوْتِها » انتهى الخبر .
وقوله : « أفلتت فائتةٌ من فَوْتِها » كلام مصحَّف ، وصوابه : « أفلتَتْ قائبةٌ من قُوبِها » ، وتفسير ذلك : أن القائبة : البيضةُ المُفرِخة ، فاعلة بمعنى مفعولة ، مِن قُبْتُها قَوْباً : أى فلقْتُها . والقُوبُ : الفرخ ، ومنه المثل : « تخلَّصتْ قائبةٌ مِن قُوب » أى تخلّصت البيضةُ من الفرخ ، فلا يعود إليها بعد خروجه مِنْها ، ويُضرَب ذلك مثلاً للرجلين ينقطع ما بينَهما . قال الكميت :

لهنّ وللمشيب ومَن علاه ... مِن الأمثال قائبةٌ وقُوبُ [(١)]

ومن ذلك قولُ عروةَ بنِ أُذَيْنَة :

لقد علمتُ وما الإشراف من خلقى ... أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

أسعى له فيُعَنِّينى تطلُّبُه ... ولو قعدت أتانى لا يُعَنِّينِى

قوله : « وما الإشراف من خلقى » فالإشراف : الحِرْصُ . ويأتى فى بعض الكتب : وما الإسرافُ . وكأن الذى أوقع فى التصحيف وجودُ الكلمة فى سياق الرِّزق وطلبه .

---

(١) الأمثال لأبى عبيد ص ٣٣٧ ، وجمهرة الأمثال ١/٢٨٠ ، وقد جاء هذا ، فى كلام لعمر ابن الخطاب ، رضى الله عنه . انظر الفائق ١١/٢ ، ومنال الطالب ص ٣١١ ، وحواشيه .

ومما يتصل بالجهل بغريب كلام العرب ، الجهلُ بأنماطِ التعبير عند القدماء ، قرأت فى ترجمة أحدهم : « وكان فيه عِزّةٌ واثقة » ، وهذا الوصف ، وإن كان له وجهٌ ومَحْمِل ، فإنه لم يُعرف فى تعبيرات الأقدمين ، أصحابِ كتب التراجم ، وصِحّة العبارة : « وكان فيه غَيْرةٌ وأنَفَة » .

ويتصل بذلك أيضا الجهلُ بسِياق الكلام ، فمن ذلك ما رأيته فى بعض الكتب ، فى أثناء الحديث عن قراءة : ﴿ هؤلاء بناتى هُنَّ أطهرَ لكم ﴾ [(١)] بنصب « أطهر » ، قال : « وقال أبو عمرو بن العلاء : « من قرأ : هن أطهرَ ، بالفتح ، فقد تربَّع فى الجنّة » ، وقوله : « فى الجنة » تصحيفٌ منكر ، والصواب : « فقد تربَّع فى لَحْنِهِ » ، وهذا التصحيف إنما نشأ عن الجهل بسياق الكلام ، فإن مقتضاه أن أبا عمرو يحبُّ هذه القراءة ، ويُصحِّحها ، مع أنه يكرهها ، ويشنِّع على من قرأ بها . ولو أن المحقِّق عُنِي بتخريج هذه القراءة من مظانِّها لوجد التصريح بكلمة « اللحن » عند سيبويه ، وابن جِنّى ، وابن الجزرى [(٢)] .

ثامنا : الجهل بمصطلحات العلوم . فمن ذلك ما سمعته من شيخنا عبد السلام هارون ــ حفظه الله ــ وكان يناقش رسالةً جامعيَّة ، وجاء فيما كتبه الطالب ، عن بعض من يتحدث عنهم ، قال : « وفقد سُمْعتَه فى البلد الفلانى » فسأله شيخنا : ما معنى « فقد سُمْعتَه » « فأجاب الطالب : لعله فعل فعلا شائنا استحقّ به أن يُعاب ويفقد ذِكْرَه وسمعتَه . فقال الشيخ : ليس الأمر هكذا ، وإنما الصواب : « وفقد أسْمِعَتَه » أى سماعاتِهِ

---

(١) سورة هود ٧٨

(٢) ينظر الكتاب ٣٩٦/٢ ، والمحتسب ٣٢٥/١ ، وطبقات القراء ٢٦١/٢ ، وهذا التصحيف المنكر جاء فى كتاب « مختصر فى شواذ القرآن » ص ٦٠ ، وقد صرحت باسم الكتاب هنا ــ وخالفت منهجى فى عدم ذكر أسماء الكتب التى وقع فيها التصحيف ــ لأن ذلك يتصل بكتاب ربنا عز وجل ، وهو أعلى وأجلّ من أن يجامل فيه .

ومروياتِه التى حصَّلها من شيوخ ذلك البَلَد ، كما تقول : فقد كتبه ، أو متاعَه . والأسمِعة : جمع سَماع .

ويتصل بهذا أيضا : أنى حضرت مناقشة علميّة ، وجاء فى كلام الطالب ، عن بعض العلماء ، قال : « وسَمِعه أبوه » فسأل المناقشُ الطالب : هل يُعقَل أن يَسمع الولدَ أبوه ؟ فلم يُحِر الطالبُ جَوابا ، وتوقف المناقشُ فى هذه العبارة ، ثم قال : إنها قلقة ، قلت : والعبارة صحيحة ، ولكنْ فيها تصحيف الضبط ، وصوابها : « وسَمَّعه أبوه » أى أحضره معه مجلسَ السماع ، وهذا شيءٌ معروف فى اصطلاح علوم الحديث . قال الحافظ ابن كثير : « وينبغى المباراةُ إلى إسماع الولدان الحديثَ النبوىّ ، والعادة المطّرِدَة فى أهل هذه الأعصار ، وما قبلها بمُدَد متطاولة ، أن الصغير يُكتَبُ له حضُورٌ إلى تمام خمس سنين من عمره ، ثم بعد ذلك يُسَمَّى سماعاً ، واستأنسوا فى ذلك بحديث محمود بن الربيع : « أنه عَقَل مَجَّةً مجَّها رسولُ الله ﷺ ، فى وجهه ، من دلوٍ فى دارهم ، وهو ابن خمس سنين » رواه البخارى ، فجعلوه فرقاً بين السَّماع والحضور ، وفى رواية : « وهو ابن أربع سنين » . وضبطه بعض الحفاظ بسِنّ التمييز ، وقال بعضهم : أن يفرِّق بين الدابّة والحمار ، وقال بعض الناس : لا ينبغى السماعُ إلاّ بعد العشرين سنة ، وقال بعضٌ : عشر ، وقال آخرون : ثلاثون ، والمدار فى ذلك كلّه على التمييز ، فمتى كان الصبىُّ يعقِل ، كُتب له سماع » [١] .

ومن الجهل بمصطلحات العلوم : قرأت فى بعض ما كتب عن

---

(١) الباعث الحثيث ص ١٠٨

المعتزلة : « التجويز » بالزاى ، والصواب : « التجوير » بالراء ، ومن مبادئهم : التعديل ، والتجوير ، وعدل ، وجار .

ومن ذلك أيضا : أن يصف أحدُهم مخطوطةً بها سَقْط ، فيقول : وبالنُّسخة خُرْم ، بضم الخاء المعجمة ، والصحيح : « خَرم » بالفتح ، وهو مصطلحٌ عروضىّ ، نقله علماء المخطوطات ، واستعملوه للدلالة على ما يكون بالنسخة من سقط .

على أن مصطلحاتِ العلوم نفسَها قد تَغُرّ وتجُرُّ إلى التصحيف ، فمن ذلك ما رأيته فى بعض كتب التراجم : « حدَّث بيسير » ، وهذا من اصطلاحات علماء الجرح والتعديل ، فإذا أكثر الراوى من التحديث ، قالوا : « حدَّث بالكثير » أو : « حدَّث الكثير » ، وإذا كان مقلاًّ ، قالوا : « حدَّث بيسير » . فالعبارة صحيحة ، ولكن لم يكن الموضعُ موضعَها ، والصواب : « وحدَّث بتُسْتَر » ، كما تقول : وحدَّث بمكة ، أو بمصر ، أو ببغداد . وتُستَر : بلد معروف . وهذا مدخلٌ صالح للحديث عن التصحيف الناشئ عن الجهل بأسماء البُلدان :

وهو النوع التاسع : قرأت فى بعض الكتب ، فى أثناء سَنَد : « وعلى بن عثمان بن محمد بن الشمس لؤلؤ ، وأخته زينب ، بقراءتى عليهما ، ببيتٍ لَها من غوطة دمشق » ، وقوله : « ببيتٍ لَها » تصحيف ، والصواب : « ببيت لِهْيا » ، وبيت لِهْيا ، كما ضبطه ياقوت : بكسر الكلام وسكون الهاء ، وياء ، وألف مقصورة : قرية مشهورة بغُوطة دمشق [١] .

ومن ذلك أنى قرأت فى بعض الكتب ، قولَ ابنِ أحمر :

لو كنتَ بالطَّبسَيْن أو بالآلةِ   أو بَرْبَعَيص مع الجنان الأسودِ

---

(١) معجم البلدان ٢/٣٢٤

وقوله : « أو بالآلة » عَلّق المحقّق عليه بقوله : « الآلة : اسم موضع ، لم أجد لها ذكراً إلاَّ هنا » قلت : وهذا تصحيف ، والصواب : « أو بالألالة » وألُالة ، بوزن حُثالة : موضعٌ بالشام ، ذكره ياقوت ، وأنشد البيت [١] .

ومما يتصل بذلك الجهلُ بأسماء الكتب ، ويقع فيها تصحيفٌ كثير ، أذكر منه : أنى سمعت بعضهم يقول فى حديثٍ إذاعى : « ذكره الراغب فى مقرّراته » والصواب : « فى مفرداته » ، وكتاب المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الأصبهانى معروف .

ومنه ما سمعته من طالب فى مناقشة رسالة جامعيّة ينسُب للأصمعىّ كتابَ النساء ، وليس للأصمعىّ كتاب بهذا الاسم ، وإنما هو كتاب الشاء .

عاشراً : الإلْف . وهذا بابٌ للتصحيف واسع ، يدخلُ منه الوهمُ إلى كثير ممّا يقرأ الناس ويكتبون . رُوى أن عثمان بنَ أبى شيبة قرأ أوّلَ سورة الفيل هكذا : « ألَم [ألفْ لامْ ميمْ] تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل [٢] » ، وكأنّ ذلك منه لِما ألفه من هذا الافتتاح فى أول سورة البقرة ، وآل عمران ، ونحوهما ، قال الحافظ الذهبىُّ بعد أن حكى هذا التصحيف : « قلت : لعلّه سبقُ لِسان ، وإلاَّ فقطعاً كان يحفظ سورة الفيل ، وهذا تفسيره قد حمله الناسُ عنه » [٣] .

وأكثر ما يظهر تصحيفُ الإلف ، فى ضبط الأعلام والأنساب : ومن ذلك أن العادة جرت بأن كلَّ اسم مكوّن من العين واللام والياء ، فهو : عَلِىّ ، وعلى ذلك يقرأون : عَلِىّ بن رباح ، والصواب فى هذا : عُلَىّ ، بضم

---

(١) معجم البلدان ٣٢١/١

(٢) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٢ ، وتحقيق النصوص ونشرها ص ٦٤

(٣) ميزان الاعتدال ٣٨/٣ ، وقد سبق دفاع الحافظ ابن كثير عن عثمان بن أبى شيبة .

العين مصغرا ، وهو عُلَىّ بن رباح ، كان ثقةً عالما ، واسمه عَلِىّ ، وإنما صُغِّر ، قال أبو عبد الرحمن المقرئ : كانت بنو أميّة إذا سمعوا بمولودٍ اسمه عَلِىّ ، قتلوه ، فبلغ ذلك رَباحاً ، فقال : هو عُلَىّ ، قال الحافظ الذهبىّ بعد ذِكْر هذا الخبر : « قلت : عُلَىّ بن رَباح ، ولد فى صدر خِلافة عثمان ، فلعله غُيِّر وهو شاب . توفى سنة ١١٤ هـ ـــ وقيل ١١٧ هـ » [١] وابنه موسى بن عُلَىّ بن رباح ، إمام حافظ صالح ، وكان من ثقات المصريين فى الحديث ، مات بالأسكندرية سنة ١٦٣ هـ ، قيل : كان يكره من يسمِّى أباه عُلياًّ ، ويقول : لا أجعل فى حِلٍّ من يقول : عُلَىّ [٢] .

وكذلك جرت عادةُ الناس ، أن يقرأوا كلَّ اسم مكون من العين والباء والياء والدال والتاء : عُبَيْدة ، بالتصغير ، وعلى ذلك يقولون : عُبَيدة السَّلمانى ، والصواب : عَبِيدة ، بفتح العين وكسر الباء ، وهو عَبيدة بن عمرو السَّلمانى ، الفقيه الكوفى ، كان أحدَ الأعلام . توفى سنة ٧٢ هـ

وفيما يتصل بتصحيف الأنساب : أَلِف الناسُ أن كلَّ نسبة ، حروفُها القاف والراء والشين ، فهى القُرشِىّ ، نسبة إلى قريش ، وعلى ذلك يقولون فى ترجمة ابن النفيس ، الطبيب المشهور : « على بن أبى الحزم القُرشىّ» والصواب : القَرْشِىّ ، بفتح القاف وسكون الراء ، نسبة إلى قَرْش ، وهى بلدة فيما وراء النهر [٣] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤١٣/٧ ، وانظر ١٠١/٦

(٢) الجرح والتعديل (القسم الأول من المجلد الرابع) ص ١٥٣

(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ٢٤٩/٢ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٣٠٥/٨ ، والأعلام ٢٧٠/٤

والتصحيفات من هذا الباب إلى الكثرة ما هى [(١)] .

وبعد : فهذه عشرةُ أسباب للتصحيف ، ولست أزعم أنها الأسباب الوحيدة لحدوث هذه الظاهرة ، ولكنها ــ فيما أرى ــ تمثّل جِماعَ القول فيها .

وواضحٌ من ذكر هذه الأسباب وشواهدها ، أنّ علاجَ هذه الظاهرة الخطيرة لا يكون إلا بمعرفة دقيقة بأسرار اللغة وخصائص مفرداتها وتراكيبها ، وتصرُّفِ هذه المفردات والتراكيب فى كلام العرب ، ثم إلمامٍ كاشف بتاريخ هذه الأمة العربية ، وأحوال رجالها وكتبها ومصطلحات علومها ، وكلِّ ما يمتُّ إليها بسبب . وهذا لازمٌ لكل من يشتغل بتراث الأمة ، ويستوى فيه من ينشر نصاً ، أو يقيمُ دَرْساً .

وأحبّ قبل ختام كلمتى هذه ، أن أذكر مثالين من التصحيف ،

---

(١) ولن أدع الحديث عن تصحيفات الأعلام ، حتى أشير إلى ما يقع فيه بعضُهم من قراءة فِعل من الأفعال على أنه اسم علم ، أو قراءة اسم على أنه فعل .

ومن ذلك ما جاء فى كتاب « حياة محمد » ﷺ ، ص ٤٣ ، فى أثناء الحديث عن ضلالات الوثنية وعبادة الأصنام . يقول مؤلفه الدكتور محمد حسين هيكل ، رحمه الله :

« وإن الذين زاروا كنيسة القدِّيس بطرس ، فى رومية ، ورأوا قدم تمثال القدِّيس تَبْريها قبلاتُ عبادة المؤمنين ، حتى لتضطرّ الكنيسة إلى تغييرها كلما انبرت ، ليعذزون أولئك الذين لم يكن الله قد هداهم إلى الإيمان ، إذ يرون تناحر جيرانهم النصارى ، وبقاء طقوس الوثنية فيهم » . إلى آخر ما قال .

وجاء فى فهرس الأعلام من الكتاب ص ٥١٢ ، فى حرف التاء : « القدّيس تبريها » .

فهذا الذى صنع الفهرس ظنَّ أن الفعل « تبريها » إنما هو اسم القدِّيس . والدكتور هيكل رحمه الله برئ من هذا الوهم ، فقد ذكر فى كلمة الشُّكر ، من ص ٤٩٧ ، أسماء الأساتذة الذين وضعوا فهرس الأعلام .

وانظر شبيهاً لهذا فيما ذكرته من قبل عن أوهام المستشرقين ، من اعتبار الفِعل « سمل » علماً من الأعلام .

كشفهما وأصلحهما عالِمان من المعاصرين ، تمثلت فيهما هذه المعرفةُ الدقيقة باللغة وأسرارها :

المثال الأول : ما شاع وذاع عن الشاعر الشيخ أحمد الزين ، حين كان يعمل مع الأستاذ أحمد أمين ، فى تحقيق كتاب « الإمتاع والمؤانسة » لأبى حيان التوحيدى ، ووقفا أمام قول أبى حيان فى وصف مسكويه : « وأما مسكويه ففقير بين أغنياء وغبى بين أنبياء [١] » . وواضح أن هذه الجملة الثانية غير مستقيمة ، فما هى الصلة بين الغباوة والنبوّة . وانقضى المجلس دون أن يصلا فى العبارة إلى حلّ . فلما كان الغد أقبل الشيخ الزين متهلّلاً فرِحاً ، وقال : وجدتُها ؛ لابد أن تكون : « وكان عَيياًّ بين أبْيناءَ » وإن تَعْجَبْ فعَجَبٌ أن الشيخ أحمد الزين هذا كان كفيفَ [٢] البصَر ، وصدق أحكم الحاكمين : ﴿ فإنها لا تعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوبُ التى فى الصدور ﴾ [٣] .

والمثال الثانى : حدثنى به شيخى الجليل عبد السلام هارون ــ حفظه الله ــ قال : كنت أعمل فى تحقيق كتاب الحيوان للجاحظ ، وجاءت هذه العبارة ، فى الحديث عن أثر البيئة فى العقيدة . قال الجاحظ : « فإن تعجّبْتَ من استسقاطى لعقل كِسْرى أبْرويز وآبائه وأحبَّائه ، وقرابينه وكتّابه وأطبّائه [٤] » يقول شيخى عبد السلام : فضبطت كلمة « أحبائه » بكسر الحاء وتشديد الباء ، على أنها جمع حبيب ، وقد نبّهنى الشيخ

---

(١) الإمتاع والمؤانسة ٣٥/١

(٢) أحمد الزين هذا : شاعر مصرى ، كان يقال له : الراوية ، لكثرة ما يحفظ ، وكان يعمل بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية . توفى سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م . الأعلام ١٢٩/١

(٣) سورة الحج ٤٦

(٤) الحيوان ٣٢٧/٥

عبد الرحيم محمود [١] ، إلى أن هذا الضبط خطأ ، وأنّ صوابه : « وأحْبائه » بسكون الحاء وتخفيف الباء . والأَحْباء : جمع حَبَأ ، بالتحريك ، وهو جليسُ الملك وخاصَّته ، وذلك هو المناسب لسياق الكلام .

ولعلّ فى كل هذا الذى ذكرت دليلاً على أن تحقيق النصوص ليس بالأمر الهيّن ، وأننا حين ندعو أبناءنا طلبةَ الدراسات العليا ، إلى تحقيق النصوص ، لا ندعوهم إلى كسل عقلىّ ، أو نُعطِّل ملكاتهم فى الدرس والبحث ، ولكننا نأخذهم أخْذاً إلى تاريخهم ولغتهم ، ونعمِّق انتماءَهم إلى هذه الحضارة الشامخةِ الذرى ، المترامية الأطراف ، ولسنا فى دعوتنا هذه نريد أن يتحول أبناؤنا كلُّهم إلى محقّقى تراث وناشرى نصوص ، لكننا نستمسك بقوله تعالى : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهّوا فى الدِّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [٢] .

وكلمة أخيرة : إن الاشتغال بالتراث موقف حضارىّ ، وليس نَبْشاً فى القبور واهتماماً بالرِّمَم والبِلىَ :

وعيَّرها الواشون أنى أحبُّها وتلك شكاةٌ ظاهرةٌ عنك عارُها [٣]

ونستغفر الله مما طغا به القلم ، أو زَلَّ به اللسان . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

---

(١) كان رحمه الله من جلّة المشايخ بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، وهو الذى صحح طبعة دار الكتب الأولى من « أساس البلاغة » ، ويقولون : إن له فضلا ظاهراً على الدكتور طه حسين ، ولم أعرف تاريخ وفاته ، يرحمه الله .

(٢) سورة التوبة ١٢٢

(٣) البيت لأبى ذؤيب الهذلى .

وتمثل به عبد الله بن الزبير ، رضى الله عنهما ، لمّا قيل له : يا ابن ذات النطاقين ، أراد أن نطاقها لا يغضّ منه فيعيَّر به ، ولكنه يرفع منه ويزيده نُبْلا . النهاية ١٦٥/٣

فهرس الفهارس

١ - فهرس الموضوعات

صفحة

نشر التراث العربيّ خارج مصر :

صفحة

٢ – فهرس الآيات القرآنية

٣ - فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة

٤ – فهرس الأمثال والأقوال

٥ – فهرس الأشعار

(حرف الهمزة)

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
شاءُوا	البسيط	أبو نواس	١١٤
الجزاءُ	الوافر	حسّان بن ثابت [١]	١٣٥
بالخليصاءِ	البسيط	–	١٩١

(حرف الباء)

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
كوكبُ	الطويل	النابغة الذبياني	٧٦
وقوبُ	الوافر	الكميت	٣٠٨
رهبُ	المنسرح	الكميت	١١٧

(حرف التاء)

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
مُقْلَتِي	الرمل	بالمر	٢٢٧

(حرف الدال)

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
وجليدُ	الطويل	سويد بن خَذّاق العبدى وقيل : المعلوط بن بدل القريعى	١٠١
الأسودِ	الكامل	ابن أحمر	٣١١

(حرف الراء)

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
تامِرْ	مجزوء الكامل	الحطيئة	٢٩٣
جرجرا	الطويل	إمرؤ القيس	٣٠٢
يأتمُرُ	البسيط	أعشى باهلة	٩٤
شكيرُها	الطويل	–	٤٦

---

(١) ديوانه ١/١٨ من قصيدة يهجو فيها أبا سفيان بن الحارث ، قبل فتح مكة . وصدر البيت :

★ هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ★

(١) ويروى : الضرسُ .

---

(١) صدره :

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده

(٢) صدره :

* بلادٌ بها كُنَّا وكُنَّا نُحِّبها *

ويروى عجزه :

* إذ الناسُ ناسٌ والبلادُ بلادُ *

راجع الخصائص ٣٣٧/٣ ، وشرح أبيات مغنى اللبيب ٢٠/٨

(٣) صدره :

أنتم سكنتم فؤادى وهْو منزلكُم

ويوسف هذا قائل البيت ، من فقهاء الشافعية . وتوفى سنة ٦٤٧ – طبقات الشافعية ٣٦٤/٨

(١) تمامه :

سبعٌ إذا الغيث عن أفْنائِنا حُبِسا

(٢) تمامه :

أو كنت أعلم ما تقول عذرتكا

٦ – فهرس أسماء المطابع والمكتبات ودُور النَّشْر

---

(١) وانظر : المجلس العلمى .

(٢) وانظر : الإدارة الثقافية ، ومعهد المخطوطات .

(حرف الشين)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

---

(١) وانظر : مطبعة بريل .

---

(١) وانظر : دار الكتب المصرية .

---

(١) وانظر : مطبعة بريل .
(٢) وانظر : مكتبة محمد على صبيح .
(٣) وانظر : المكتبة التجارية .

---

(١) وانظر : مطبعة مصطفى محمد .
(٢) وانظر : مكتبة ليدن .

(حرف الهاء)

(حرف الواو)

---

(١) وانظر : مكتبة جامعة ليدن .

(٢) وانظر : مطبعة محمد على صبيح .

٧ – فهرس الأعلام والقبائل والأُمم والفِرَق والطَّوائف

(حرف الألف)

---

(١) وانظر : الفرنجة .

(حرف التاء)

(حرف الثاء)

(حرف الجيم)

---

(١) ويقال : « غويه » بالغين المعجمة .

---

(١) ويقال : سخاو .
(٢) ويقال : زترستين .

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(١) هكذا عرف واشتهر . وتمام اسمه : محمد عبد الحىّ بن عبد الكبير بن محمد الحسنى الإدريسى . وهو من كبار العلماء بالحديث ورجاله ، فى العصر الحديث . ومن أشهر تصانيفه : التراتيب الإدارية ، وفهرس الفهارس ، وكان كثير الرحلة ، جمّاعا للمخطوطات ، عارفاً لنوادرها ، وهو فى المغرب يشبه أحمد تيمور باشا فى المشرق . وفى حياته السياسيّة مغامز . يقول عنه الزركلى : « وكان على ما فيه من انحراف عن الجادة فى سياسته ، صدراً من صدور المغرب ، ومرجعا للمستشرقين خاصة » الأعلام ١٨٨/٦ . توفى رحمه الله سنة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م

(١) وينطقها المغاربة « جنون » بالجيم القاهرية .

(٢) اختلف فى اسم أبيه ، على ما تراه فى ترجمته من سير أعلام النبلاء ١٤٨/٦

(٣) هكذا يكتبه صاحبه على أغلفه الكتب التى حقّقها : « عزة » بالتاء المعقودة أو المربوطة ، وهو الصواب . وبعضهم يكتبه : « عزت » بالتاء المفتوحة ، كما تراه فى الاسم التالى : « عزت العطار » . وهذا غير صحيح ، وواضح أنه من أثر النطق التركى ، كما يكتبون : حكمت ، وبهجت ، وثروت . وسبيل هذا وما أشبهه أن يكون بالتاء المعقودة .

(حرف الغين)

(١) قيل : اسمُه زبّان . وقيل غير ذلك ، وقيل : اسمه كُنْيته .

(١) وانظر : الإفرنج .

(حرف اللام)

(حرف الميم)

---

(١) هكذا يأتى اسمه مختصرا – حفظه الله – وتمامه : أحمد لطفى عبد البديع .
(٢) تنطق اللام ممالة .

(حرف النون)

(حرف الهاء)

٨ – فهرس الأماكن والبلدان وما أشبههما

(١) وانظر فهرس المطابع ودور النشر .

---

(١) وانظر : مصر .

(حرف اللام)

(حرف الميم)

---

(١) وانظر فهرس المطابع ودور النشر .
(٢) وانظر : القاهرة .

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الياء)

---

(١) وانظر فهرس المطابع ودور النشر .
(٢) المراد : المغرب الكبير ، والمغرب الأقصى .

٩ – فهرس الكتب

(حرف الألف)

---

(١) ويسمى : مثالب الوزيرين . والوزيران هما : ابن العميد ، والصاحب بن عباد .

---

(١) ويسمى : الطارقيّة .

---

(١) طبع عدة طبعات ، باسم : « إملاء مامنّ به الرحمن » . وهى تسمية خاطئة . والصواب : « التبيان فى إعراب القرآن » كما جاء فى الطبعة الأخيرة التى أصدرتها مطبعة عيسى البابى الحلبى ، بتحقيق المرحوم الأستاذ على محمد البجاوى . عام ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م

(حرف الباء)

(حرف التاء)

(حرف الثاء)

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

---

(١) طبع الجزء الأول من هذه الحاشية ، بمطابع دار صادر ببيروت عام ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م فى سلسلة النشريات الإسلامية ، التى تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية . ويقع هذا الجزء فى (٧٥٢) صفحة ، وهو بتحقيق نظيف محرَّم خواجه . وقد اعتمد فى نشرته على مخطوطات استانبول . وفاته الرجوع إلى نسخة جيدة ، مجدولة بالذهب ، ومكتوبة سنة ١٠٨٤ هـ وهى محفوظة بمكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة ، برقم (٩) قصائد نبوية ، ومنها صورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة .

(حرف الخاء)

---

(١) واسمها : التنبيه والإيضاح .

(حرف الدال)

(حرف الذال)

(حرف الراء)

---

(١) واسمه : بغية العلماء والرواة .

(حرف الزاى)

(حرف السين)

(حرف الشين)

---

(١) انظر التعليق على هذه التسمية فى الموضع المذكور .

---

(١) ويقال له : الإيضاح الشعرى . وشرح الأبيات المشكلة الإعراب . أسأل الله أن يعيننى على إخراجه .

(حرف الصاد)

(حرف الضاد)

(حرف الطاء)

(حرف الظاء)

(حرف العين)

(حرف الغين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

---

(١) وانظر : سمط اللآلى .

(حرف الميم)

---

(١) وسميت فى السنوات الأخيرة : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .

---

(١) ويسمّى : إرشاد الأريب .

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الواو)

(حرف الياء)

١٠ - فهرس المراجع

(أ)

أباطيل وأسمار . لمحمود محمد شاكر . مطبعة المدنى بمصر . الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ = ١٩٧٢ م

الإبانة عن معانى القراءات . لمكى بن أبى طالب . تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى . نهضة مصر ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م

الأخبار التاريخية فى السيرة الزكية . لزكى محمد مجاهد . القاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م

الأخبار الطوال . لأبى حنيفة الدينورى . تحقيق عبد المنعم عامر ، ومراجعة الدكتور جمال الدين الشيال . وزارة الثقافة المصرية . مطبعة عيسى البابى الحلبى . القاهرة ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م

الاشتقاق . لابن دريد . تحقيق عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجى . القاهرة ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨

الأعلام . لخير الدين الزركلى . الطبعة الثانية بالقاهرة ١٩٥٧ م . والرابعة ببيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م

الأغانى . لأبى الفرج الأصبهانى . دار الكتب المصرية ، والهيئة المصرية العامة للكتاب .

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم . لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق محمد حامد الفقى . مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م

اكتفاء القنوع بما هو مطبوع . لإدوارد فنديك . تصحيح السيد محمد البيلاوى . مطبعة الهلال بمصر ١٣١٣ هـ = ١٨٩٦

أمالى ابن الشجرى . حيدر آباد الدكن . الهند ١٣٤٩ هـ

الإمتاع والمؤانسة . لأبى حيان التوحيدى . تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م

الأمثال . لأبى عبيد القاسم بن سلام . تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش . مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى . جامعة الملك عبد العزيز . مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م

إنباه الرواه على أنباه النحاه . للقفطى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٣٦٩ هـ

الأنساب . للسمعانى . الجزء الثانى . تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلّمى . حيدر آباد الدكن . الهند ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م

إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون . لإسماعيل باشا البغدادى . إستانبول ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥

(ب)

الباعث الحثيث ، شرح اختصار علوم الحديث . لابن كثير . شرح الشيخ أحمد محمد شاكر . دار الكتب العلمية – بيروت بدون تاريخ . مصورة عن الطبعة المصرية ، بمطبعة محمد على صبيح ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١

ببليوغرافيا العصر الجاهلى . للدكتور عفيفى عبد الرحمن . مجلة المورد العراقية . المجلد التاسع – العدد الثالث ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠

البخلاء . للجاحظ . تحقيق الدكتور طه الحاجرى . دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م

برنامج طبقات فحول الشعراء . لمحمود محمد شاكر . مطبعة المدنى . القاهرة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م

البرهان فى وجوه البيان . لأبى الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب . تحقيق الدكتور أحمد مطلوب ، والدكتورة خديجة الحديثى . بغداد ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م

البيان والتبيين . للجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجى . القاهرة ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م

(ت)

تاج العروس ، شرح القاموس . للمرتضى الزَّبيدى . المطبعة الخيرية القاهرة ١٣٠٦ هـ

تاريخ الأدب الجغرافى العربى . للمستشرق كراتشكوفسكى . ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم . الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية . القاهرة ١٩٦٣ م

تاريخ الأدب العربى . للمستشرق بروكلمان . ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار . دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م

تاريخ الطباعة . للدكتور خليل صابات . دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م

تاريخ الطبرى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م

تحقيق النصوص ونشرها . لعبد السلام محمد هارون . مطبعة المدنى . الطبعة الثانية القاهرة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥

تحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب . لعبد السلام محمد هارون . مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بجامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م

تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى . للسيوطى . تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف . دار الكتب الحديثة . القاهرة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

التراث العربى . لعبد السلام محمد هارون . دار المعارف بمصر ١٩٧٨ (سلسلة كتابك) العدد ٣٥

التراث العربى فى المغرب وقضية التواصل بين المشرق والمغرب . لمحمود محمد الطناحى . مجلة الثقافة المصرية . ديسمبر ١٩٧٥ ، يناير ١٩٧٦ م

التصحيف والتحريف = شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف

تصحيفات المحدّثين . لأبى أحمد العسكرى . تحقيق الدكتور محمود ميرة . القاهرة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م

تفسير الطبرى . تحقيق محمود محمد شاكر . دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ

تقدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوربا . لعبد الله بن العباس الجرارى . دار الفكر العربى . القاهرة ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م

تلخيص خواتم جامع الأصول . لمحمد طاهر الفتّنى . تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى . علمى بريس – الهند . بدون تاريخ .

التنبيه على حدوث التصحيف . لحمزة بن الحسن الأصفهانى . تحقيق محمد أسعد طلس ، ومراجعة أسماء الحمصى وعبد المعين الملّوحى دمشق ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م

التنكيل بما فى تأنيب الكوثرى من الأباطيل . لعبد الرحمن بن يحيى المعلّمى . تحقيق وتعليق محمد ناصر الدين الألبانى . لاهور – باكستان ١٤٠١ = ١٩٨١ م

تهذيب التهذيب . لابن حجر العسقلانى . حيدرآباد . الهند ١٣٢٥ هـ

تهذيب اللغة . للأزهرى . الجزء الأول . تحقيق عبد السلام محمد هارون . المؤسسة المصرية العامة . القاهرة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م

(ث)

الثبت الببليوجرافى للأعمال المترجمة فى الفترة ما بين ١٩٥٦ م – ١٩٦٧ م ضمن مقالة للدكتورة نعمات أحمد فؤاد . جريدة الأهرام المصرية ١٤٠٤/٨/٩ هـ = ١٩٨٤/٥/١٠ م

ثمرات الأوراق . لابن حجة الحموى . تصحيح محمد أبو الفضل إبراهيم . مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٧١ م

(ج)

الجرح والتعديل . لابن أبى حاتم الرازى . تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلّمى . حيدرآباد الدكن . الهند ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م

جمهرة الأمثال . لأبى هلال العسكرى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، والدكتور عبد المجيد قطامش . المؤسسة العربية الحديثة . القاهرة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م

جواهر الألفاظ . لقدامة بن جعفر . تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد . مكتبة الخانجى . القاهرة ١٣٥٠ هـ

(ح)

حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مطبعة عيسى البابى الحلبى . القاهرة ١٩٦٨ م

حماسة أبى تمام . تحقيق الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان . المجلس العلمى بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

حياة محمد . للدكتور محمد حسين هيكل . مطبعة مصر ١٣٥٤ هـ

الحيوان . للجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هارون . مطبعة مصطفى البابى الحلبى . القاهرة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

(خ)

خزائن الكتب العربية فى الخافقين . للفيكونت فيليب دى طرَّازى . بيروت ١٩٤٨ م

خزانة الأدب . للبغدادى . طبعة بولاق بمصر ١٢٩٩ هـ ، والطبعة المحققة لعبد السلام محمد هارون . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، والخانجى ١٣٨٧ هـ

الخصائص . لابن جنى . تحقيق الشيخ محمد على النجار . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م

(د)

دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبى فهر محمود محمد شاكر ، بمناسبة بلوغه السبعين . مطبعة المدنى . القاهرة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م

دراسات فى الأدب العربى . للمستشرق كراتشكوفسكى . دار النشر « علم » موسكو ١٩٦٥ م

الدرر الكامنة فى أعيان علماء المائة الثامنة . تحقيق محمد سيد جاد الحق . دار الكتب الحديثة . القاهرة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

ديوان امرئ القيس . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م

ديوان حاتم الطائى . تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال . مطبعة المدنى . القاهرة ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م

ديوان حسَّان بن ثابت . تحقيق الدكتور وليد عرفات . سلسلة جب التذكارية بيروت ١٩٧١ م

ديوان ابن دَّراج القسطلّى . تحقيق الدكتور محمود على مكى . المكتب الإسلامى للطباعة والنشر بدمشق وبيروت ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م
ديوان أبى دهبل الجمحى . تحقيق عبد العظيم عبد المحسن . النجف الأشرف ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م
ديوان صريع الغوانى (مسلم بن الوليد) تحقيق الدكتور سامى الدهان . دار المعارف بمصر ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م
ديوان الطرمّاح بن حكيم . تحقيق الدكتور عزة حسن . دمشق ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م
ديوان النابغة الذبيانى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر ١٩٧٧ م
ديوان أبى نواس . نشرهُ أحمد عبد المجيد الغزالى . مطبعة مصر ١٩٥٣ م

(ذ)

الذهبى ومنهجه فى كتابة تاريخ الإسلام . للدكتور بشّار عوّاد معروف البغدادى . مطبعة عيسى البابى الحلبى . القاهرة ١٩٧٦ م
ذيل مشتبه النسبة للذهبى . تأليف تقى الدين محمد بن رافع السّلامى . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . دار الكتاب الجديد . بيروت ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦

(ر)

ربيع الأبرار . للزمخشرى . تحقيق الدكتور سليم النعيمى . بغداد ١٩٧٦ م
الرسالة . للإمام الشافعى . تحقيق وشرح الشيخ أحمد محمد شاكر . مطبعة مصطفى البابى الحلبى . القاهرة ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م
رغبة الآمل من كتاب الكامل . للشيخ سيد بن على المرصفى . مصوّرة مكتبة الأسدى بطهران ، عن طبعة مصر ١٣٤٦ هـ
روضة الآس العاطرة الأنفاس فى ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس . للمقّرى . نشر عبد الوهاب بن منصور . المطبعة الملكية بالرباط ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م
ريحانة الألبّا . للشهاب الخفاجى . تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو . مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م

(ز)

الزاهر فى معانى كلمات الناس . لأبى بكر بن الأنبارى . تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن . وزارة الثقافة والإعلام . بغداد ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م

(س)

سير أعلام النبلاء . للذهبى . الجزء السادس . تحقيق حسين الأسد ، والجزء السابع تحقيق على أبو زيد . أشرف عليهما وخرَّج أحاديثهما الشيخ شعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

السيرة النبوية . لابن هشام . تحقيق مصطفى السقّا ، وإبراهيم الأبيارى ، وعبد الحفيظ شلبى . مطبعة مصطفى البابى الحلبى . القاهرة ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م

(ش)

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . لابن العماد الحنبلى . نشر حسام الدين القدسى . القاهرة ١٣٥٠ هـ

شرح أبيات مغنى اللبيب . للبغدادى . تحقيق عبد العزيز رباح ، وأحمد يوسف الدقاق . دار المأمون للتراث . دمشق ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م

شرح أشعار الهذليين . صنعة السّكّرى . تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ومراجعة محمود محمد شاكر . دار العروبة . مطبعة المدنى . القاهرة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م

شرح القصائد العشر . للتِّبريزى . تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة . دار الآفاق الجديدة . بيروت ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م

الشعر والشعراء . لابن قتيبة . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر . الطبعة الثانية . دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م

(ص)

الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهرى . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . مطبعة دار الكتاب العربى بالقاهرة (محمد حلمى المنياوى) ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م

صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . مطبعة عيسى البابى الحلبى . القاهرة ١٣٧٤ هـ

الصناعتين . لأبى هلال العسكرى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوى . مطبعة عيسى البابى الحلبى . القاهرة ١٩٥٢ م

(ط)

الطابع الخاص للحضارة المغربية فى العصر الوسيط . للشيخ محمد المنونى – فصلة غير مؤرخة من العدد الثالث والرابع من مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط .

طبقات الشافعية الكبرى . لابن السبكى . تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحى . مطبعة عيسى البابى الحلبى . القاهرة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م

طبقات فحول الشعراء . لابن سلام . تحقيق محمود محمد شاكر . مطبعة المدنى . القاهرة ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م

طبقات القراء المسمى غاية النهاية . لابن الجزرى . نشره براجستراسر – مكتبة الخانجى – مطبعة السعادة . القاهرة ١٣٥٢ هـ

ابن الطراوة النحوى . للدكتور عياد عيد الثبيتى . مطبوعات نادى الطائف الأدبى – المملكة العربية السعودية ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م

(ع)

عبد السلام هارون – عالمٌ وتاريخ . لمحمود محمد الطناحى . جريدة المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية – ثلاثة أعداد – ربيع الآخر – جمادى الأولى ١٤٠١ هـ

عيون الأخبار . لابن قتيبة . دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء . لابن أبى أصيبعة . القاهرة ١٣٠٠ هـ

(غ)

غريب الحديث . للخطابى . تحقيق عبد الكريم العزباوى . وخرَّج أحاديثه عبد القيوم عبد رب النبى . مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى ، بجامعة أم القرى – مكة المكرمة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م

غريب الحديث . لابن قتيبة . تحقيق الدكتور عبد الله الجبورى . وزارة الأوقاف العراقية . بغداد ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م

الغريبين – غريبى القرآن والحديث . لأبى عبيد الهروى . تحقيق محمود محمد الطناحى . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

الغيث المسجم فى شرح لامية العجم . لصلاح الدين الصفدى . دار الكتب العلمية . بيروت ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م

(ف)

الفائق فى غريب الحديث . للزمخشرى . تحقيق على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم . مطبعة عيسى البابى الحلبى . القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م

فضائح الباطنية . لأبى حامد الغزالى . تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى . الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م

فهارس الشعر واللغة لكتاب غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام – وفيها كلمة عن

فهارس الكتب وقيمتها العلمية . لمحمود محمد الطناحى . مجلة البحث العلمى والتراث الإسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة – العدد الرابع ١٤٠١ هـ
فهرس المخطوطات العربية فى الامبروزيانا . للدكتور صلاح الدين المنجد . معهد المخطوطات القاهرة ١٩٦٠ م
الفهرست . لابن النديم . تحقيق رضا تجّدد بن على . طهران ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م
فهرسة ما رواه عن شيوخه أبو بكر بن خير الإشبيلى . مصورة المكتب التجارى – بيروت ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م عن طبعة سرقسطة ١٨٩٣ م

(ق)

قائمة مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن . الهند ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م
القاموس المحيط . للفيروزابادى . القاهرة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م
قصة الطبّ عند العرب . لأحمد حسنين القرنى . الدار القومية للطباعة والنشر (سلسلة من الشرق والغرب) العدد ٤٩ – القاهرة . بدون تاريخ .

(ك)

الكتاب . لسيبويه . تحقيق عبد السلام محمد هارون الهيئة المصرية العامة للكتاب ، والخانجى . القاهرة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م
كتاب الفَرْق ، لثابت بن أبى ثابت ونسخته الثانية . لمحمود محمد الطناحى . مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٦ م
كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون . للحاج خليفة . استانبول ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م

(ل)

لباب الآداب . لأسامة بن منقذ . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر . المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م
لسان العرب . لابن منظور . بولاق بمصر ١٣٠٠ هـ
لطائف المعارف . للثعالبى . تحقيق حسن كامل الصيرفى ، وإبراهيم الأبيارى . مطبعة عيسى البابى الحلبى . القاهرة ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م

(م)

ما تلحن فيه العامة . للكسائى . تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب . مكتبة الخانجى . القاهرة١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢م

مجمع الأمثال . للميدانى . تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد . مطبعة السنة المحمدية . القاهرة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم . طبعة مكتبة المعارف . الرباط – المغرب الأقصى ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

محاضرات الأدباء . للراغب الأصبهانى . جمعية المعارف المصرية . القاهرة ١٢٨٧ هـ

المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات . لابن جنى . تحقيق عبد الحليم النجار ، وعلى النجدى ناصف ، وعبد الفتاح شلبى . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٣٨٦ هـ

مختصر فى شواذّ القرآن [1] . لابن خالويه . نشره براجستراسر . المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤ م

مختلف القبائل ومؤتلفها . لابن حبيب . تحقيق حَمْد الجاسر . النادى الأدبى بالرياض – المملكة العربية السعودية ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م

المذكر والمؤنث . لأبى بكر بن الأنبارى . تحقيق الدكتور طارق عبد عون الجنّابى . وزارة الأوقاف العراقية . بغداد ١٩٧٨ م

المسائل العسكرية . لأبى على الفارسى . تحقيق محمد الشاطر أحمد . مطبعة المدنى . القاهرة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م

المستشرقون . لنجيب العقيقى . دار المعارف بمصر . الطبعة الثالثة ١٩٦٤ ، والرابعة ١٩٨١ م

مظاهر يقظة المغرب الحديث . لمحمد المنونى . الرباط . مطبعة الأمنية ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٣ م

مع المخطوطات العربية – صفحات الذكريات عن الكتب والناس – للمستشرق كراتشكوفسكى . دار التقدم – موسكو ١٩٦٣ م

المعارف . لابن قتيبة . تحقيق الدكتور ثروت عكاشة . دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب . لعبد الواحد المرّاكشى . تحقيق محمد سعيد العريان . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م

معجم البلدان . لياقوت الحموى . مكتبة الخانجى . القاهرة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٦ م

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . لأبى عبيد البكرى . تحقيق مصطفى السقا . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م

معجم المؤلفين . لعمر رضا كحّالة . دمشق ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م

---

(١) هكذا أثبته الناشر على صفحة العنوان ، وصوابه : « القراءات » .

معجم المطبوعات العربية والمعربة . ليوسف إليان سركيس . مصورة مكتبة المثنى ببغداد ، عن طبعة مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م

معرفة علوم الحديث . للحاكم النيسابورى . تصحيح الدكتور السيّد معظّم حسين . المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٧٧ م

مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب . لابن هشام . تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد . مطبعة المدنى . القاهرة ١٣٨٧ هـ

مفتاح السعادة ومصباح دار السّيادة . لطاش كبرى زادة . تحقيق كامل بكرى ، وعبد الوهاب أبو النور . دار الكتب الحديثة . القاهرة ١٩٦٨ م

المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة . لشمس الدين السخاوى . تصحيح الشيخ عبد الله محمد الصديق الغمارى ، وتقديم الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف – بيروت ١٣٩٩ هـ ، مصورة عن طبعة القاهرة مكتبة الخانجى ١٣٧٥ هـ

مقالتان فى الحواسّ . لعبد اللطيف البغدادى . تحقيق بول غليونجى ، وسعيد عبده . وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م

مقدمة ابن الصلاح . دار الحكمة بدمشق ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م . والطبعة المصرية التى حققتها الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م

من أعلام الطب العربى . لأبى الفتوح التوانسى . الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٦ م

من تاريخ الطب عن العرب . للدكتور فهيم أبادير . المؤسسة المصرية العامة للأدوية . القاهرة – بدون تاريخ .

منال الطالب فى شرح طِوال الغرائب . لمجد الدين بن الأثير . تحقيق محمود محمد الطناحى . مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى – مكة المكرمة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م

المنتقى من دراسات المستشرقين . للدكتور صلاح الدين المنجد . القاهرة ١٩٥٥ م

المواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية . للشيخ حمزة فتح الله . مطبعة بولاق بمصر ١٣١٢ هـ

الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب . تأليف لجنة من الأطباء ، وإشراف الدكتور محمد كامل حسين . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . القاهرة بدون تاريخ ، ولكنه نشر منذ ثمانى سنوات .

الموسوعة العربية الميسَّرة . بإشراف محمد شفيق غربال – مؤسسة فرنكلين للطبع والنشر . القاهرة ١٩٥٩ م

ميزان الاعتدال فى نقد الرجال . للذهبى . تحقيق على محمد البجاوى . مطبعة عيسى البابى الحلبى . القاهرة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م

الميسر والقداح . لابن قتيبة . تحقيق محب الدين الخطيب . المكتبة السّلفية بمصر ١٣٤٢ هـ

(ن)

نظرة فى تحقيق الكتب – علوم اللغة والأدب . للدكتور أحمد مطلوب . مجلة معهد المخطوطات . الكويت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . للمقّرى . تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار صادر – بيروت ١٩٦٨ م

النهاية فى غريب الحديث والأثر . لمجد الدين بن الأثير . تحقيق محمود محمد الطناحى . مطبعة عيسى البابى الحلبى . القاهرة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م

(و)

وصف إفريقيا . للحسن بن محمد الوزّان . ترجمة الدكتور عبد الرحمن حميدة . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٣٩٩ هـ

وفيات الأعيان . لابن خلكان . تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٤ م . وتحقيق الدكتور إحسان عباس . دار صادر – بيروت ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م

تصويبات واستدراكات

الصفحة	السطر	
٣٤	١٥	الإصلاح
٣٥	١١	الدنيا
٣٥	١٢	للمَقَّرى
٤٣	١٣	الدين
٥٩	٧	بِنَسْخ
٦٧	٧	تحذف كلمة « كثير »
٨٢	٣	وله إلمام باللاتينية
٨٧	٧	كلَّ .... يُبْعَثَ
١٠١	١٤	والمحدِّث
١٠٣	٦	وفكرا
١٠٧	٦	كإدارة
١٠٨	١٦	يفور
١٢٨	١١	كتاب الوحشيات أو الحماسة الصغرى لأبى تمام بمشاركة شيخ ، ويحذف السطر رقم ١٢
١٢٩	٤	توفى الشيخ عبد العزيز الميمنى فى اليوم السابع والعشرين من شهر أكتوبر ، سنة ١٩٧٨ م . وقد أفادنى ذلك الدكتور محمد مظهر بقا ، وهو من علماء الباكستان ، ويعمل أستاذا بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .
١٤٣	٩	عبد السلام
١٧٤	١٣	كثيرٍ
١٧٥	١٥	نفائِسَ
١٩٩	١٤	يتحمَّسُون

الصفحة	السطر	
٢١٦	٨	وهذه
٢١٧	٢ في الحاشية	ببليوغرافيا
٢٢٧	الأخير	فظنّ
٢٣٢	٧	جريفيني
٢٣٣	١	جريفيني
٢٣٥	٣	البارون
٢٥٧	١٦	مجموع أشعار العرب ، الذى نشره آلورد ، يقع فى ثلاثة أجزاء : الجزء الأول ، ويشتمل على الأصمعيات ، وبعض قصائد لأبى حِزام العكلى . والثانى : وفيه أراجيز رؤبة بن العجاج . والثالث : وفيه أراجيز العجاج ، والزفيان .
٢٧٣	٧	فيه
٢٨٧	١٣	يروُونه
٢٨٨	١٦	مع الألِف
٣٠٦	٧	تِلْوُهُم
٣١٦	١٠	ليتفقَّهُوا
٣١٨	١٢	بعد محب الدين الخطيب اكتب محمد منير الدمشقى ص ٦٤ بالفهرس
٣٣٥	الأخير	أحمد زكى